حرب العصابات السوفييتية

تأليف:

الجنرال ج. اوبري ديكنسون
أوتو هيلبرون

تعريب:

أكرم ديري
المقدّم الهيثم الأيوبي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر



حرب العصابات السوفييتية

تأليف :

الجنرال ج. أوبري ديكنسون و أوتوهيلبرون

تعريب :

أكرم ديري و المقدم الهيثم الأيوبي

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون ـ ساقية الجنزير
ت : ٣١٢١٥٦ ـ برقياً « موكيالي » بيروت
ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

مقدمة المعربين

يعالج هذا الكتاب حرب العصابات السوفييتية وراء خطوط الألمان في الحرب العالمية الثانية . ويستشهد المؤلفان في عرضهما لمهمات الأنصار بالأوامر والوثائق التي صدرت عن القيادة العامة لقوات الأنصار في روسيا . ويعددان المهام التي قاموا بها لصالح الجيش الأحمر ، ويحللانها . . وفي الشق الثاني من الكتاب عرض شيق وتاريخي لكل الأوامر والمهمات الصادرة عن قيادات القوات الألمانية المضادة للعصابات الروسية.

ولم يقتصر الكاتبان في بحثهما على الأنصار السوفييت فقط ، بل تعدياه أحيانا الى المقاومة السرية الفرنسية ، والى حركات عصابات أخرى جرت في الحرب العالمية الثانية ، الا أن تعميقهما للموضوع كان خاصا بالأنصار السوفييت ، وكيف جابه الألمان عملهم . فرغم الجهود المبذولة من قبل الألمان ، ورغم ضخامة آلتهم الحربية ، وذكاء ونشاط قياداتهم العسكرية ، فان عملية مقاومتهم للأنصار لم تؤد الى أية نتيجة ، ولم تصل الا الى القمع والارهاب والاعدام . ولقد خصص الألمان مالا يقل عن (١٥) فرقة لتدعيم الأمن على خطوط مواصلاتهم ، لأن الأنصار كانوا يضايقونهم عليها .

ويحاول المؤلفان تنبيه الدول الغربية الاستعمارية الى ضرورة اعداد نفسها لمجابهة العصابات في الأراضي التي قد تحتلها في حرب مقبلة ، ولكن هذا بعيد عن اهتمامنا ، ولا يهمنا هنا سوى دراسة هذه الحرب التي تجرى على مؤخرات العدو وضد نقاطه الحيوية ، والمبادىء الأساسية التي ينبغي أن لا تحيد عنها .

ولهذا الكتاب أهمية أكيدة لأنه حصيلة وثائق تاريخية ، وأحداث وقعت بالفعل فوق أرض الاتحاد السوفييتي الشاسعة .

ويؤكد الجنرال دييننغ أن العصابات ينبغي أن توضع بامرة قائد مسرح العمليات التي تعمل ضمن منطقته ، لأن الأعمال المستقلة قد تمنعها من بلوغ هدفها الرئيسي ، ألا وهو هزيمة العدو ، كما يرفض أيضا وضع

هذه العصابات بامرة سلطة مستقلة لأن ذلك يعود بنا الى زمن « الجيوش الخاصـــة » .

وهو يحبذ وضعها تحت امرة القائد العام لمسرح العمليات لأن هذا القائد وحده قادر على « تقرير الشروط التى يتمكن الأنصار فى ظلها من مساعدته لبلوغ أهدافه » .

لقد عرفت الحرب العالمية الثانية عصابات الأنصار ، عرفتها فى الاتحاد السوفييتى ، وهو الهدف الذى تنصب عليه بحوث هذا الكتاب ، وعرفتها فى الصين ويوغوســلافيا واليونان وبولونيا وفرنســا وبورما .. الخ ولكن ألمانيا الهتلرية هى الدولة الغربية الوحيدة التى كان عليها أن تحل مشكلة العصابات . أما دول الغرب الأخرى فلم تعرف عمليات العصابات ضدها فى الحرب العالمية الثانية . لقد كان على الألمان أن يحاربوا عــلى جبهتين : الجبهة الأمامية حيث كانت الجيوش النظامية تتصدى لهم فى عمليات هجومية أو دفاعية أو تراجعية ، والجبهة الخلفية ، تلك الجبهة التى فتحها الأنصار الروس . وكان الأنصار الروس يتمتعون بمرونة هائلة ويضربون بعنف وشراسة ، ضد المستودعات والمخازن وخطوط المواصلات والوحدات الصغيرة المنعزلة ، وقطارات المؤن والذخــائر والجسور . لقد كانوا فى كل مكان ، الا أنهم كانوا عدوا خفيا ، اذ انهم سرعان ما يتوارون ويعودون الى مخــابئهم فى المســتنقعات والأدغال والجبال . وكان الحزب الشيوعى السوفييتى هو منظم هذه الحركات ، وكان أعضاؤه يرسلون بمهام فدائية الى كل مكان من الأرض السوفييتية الشاسعة . ولقد ضرب هذا الحزب فى الحرب الوطنية الكبرى أروع الأمثلة لكل حزب سياسى يحكم البلاد . فضريبة الدم فى مثل هذه الحرب الوطنية ليست وقفا على الجيش ، ولا على المواطنين ، بل هى ضريبــة تقع على عاتق الحزب وأعضائه قبل أى مواطن ، وقبل أى عنصر من عناصر الجيش . لقد شكل الحزب الشيوعى السوفييتى خلف الخطــوط الألمانية ، متلاحما مع الشعب السوفييتى ، رتلا (طابورا) سادسا فعالا . انه لم ينسحب من الأرض حتى بعد أن انسحب منها الجيش النظامى ، ولم يترك المعركة ، بل بقى على أرضها يواجه القمع والارهاب والاعدام .

لقد كان الأنصار السوفييت يعملون أنصارا لجيوشهم النظامية . فكثيرا ما نراهم وكأنهم ذابوا ذوبانا كاملا وانمحى نشاطهم ، لأن الجيش الأحمر أمرهم بالتزام الصمت والسكون . وبعد أربع وعشرين ساعة كانوا يعاودون العمل بعنف وقسوة خلف خطوط الألمان بناء على أمر من قيادة

الجيش الأحمر . وكان عملهم يتم بالتنسيق مع عملية هجوم معاكس يقوم به هذا الجيش لطرد الألمان من منطقة من المناطق .

ان حرب العصابات حرب قديمة ، تتوارثها الأجيال جيلا بعد جيل . فقد عرفت هذه الحرب لأول مرة فى الصين عام ٣٦٠ ق . م الا أن كارل ماركس استطاع بكلمات بسيطة قليلة ، وقبل مائة عام أن يعرض أكثر نظريات الحرب ثورية .

لقد عرف العالم العصابات فى الحرب الأهلية الأمريكية ، والحرب الأسبانية من ١٨٠٨ الى عام ١٨١١ ، ثم حرب الأنصار الروس فى عام ١٨١٢ ضد القطعات النابليونية المتراجعة من موسكو . ولكن كارل ماركس هو أول من فهم أهمية هذه الحرب وقيمتها الثورية . ثم تعرض تكتيك هذه الحرب بعد ذلك لكثير من التعديلات الجذرية ، بفضل الكولونيل لورانس والعصابات العربية ، فى الجزيرة العربية . فقد استطاعت هذه العصابات القيام بحركات ضد الأتراك كأنها وخزات الابر — كما عبر عن ذلك ليدل هارت — ووسعت التهديد الذى تشكله هذه الحرب أفقيا على مساحات شاسعة من الأرض ، دون أن تجبر القوات التركية على الانسحاب ، بل اضطرتها الى الانتشار وحماية نقاط كثيرة . وينبغى أن لا ننسى حقيقة أساسية هى ان حركة لورانس فى الجزيرة العربية كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا مع القوات البريطانية المتقدمة من مصر الى سوريا عبر فلسطين تحت قيادة اللنبى .

ويحاول المؤلف التقليل من أهمية الدور الذى قامت به العصابات العربية ضد الأتراك فى هذه الحرب ، الا أن عودة بسيطة الى التاريخ العسكرى لهذه الحقبة يثبت بما لا يدع مجالا للشك بأن العصابات العربية هى صانعة الانتصار الذى تحقق فى المرحلة الثانية من معركة فلسطين التى قادها اللنبى . ويشرح ليدل هارت فى كتابه الاستراتيجية وتاريخها فى العالم كيف كان الفضل فى انتصار المرحلة الثانية من مخطط معركة فلسطين عائدا الى العرب الذين قطعوا السكة الحديدية فى درعا مما أدى الى نتيجة مادية تمثلت فى توقف تيار التموين التركى بعض الوقت وهذا أمر كبير الأهمية ، كما أدى الى نتيجة معنوية دفعت القيادة التركية الى ارسال جزء من قواتها الى أمكنة الحوادث .

وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر ماوتسى تونج وحول هذا القائد حرب الأنصار من حرب تعتبر الى حد ما نظرية بحتة ، الى حرب مخططة ميدانيا ومصممة للحصول على النتيجة الحاسمة بواسطة العصابات .

فمنذ عام ١٩٢٧ كان الجيش الأحمر الصيني بقيادة ماو هو أخطر الأعداء الداخليين لتشانغ كاي تشيك . ويدين هذا الجيش بانتصاراته الى حرب العصابات التي كان يخوضها على نطاق واسع جدا . فقد جعل ماوتسي تونج هذه الحرب حقيقة استراتيجية مستندة الى المقاومة الشاملة والمستمرة للجماهير .

ويرى ماوتسي تونج أن قوة عسكرية ضعيفة لا تستطيع مجابهة عدو متفوق الا بمعونة العصابات. ولقد ساعدته الأرض الصينية الواسعة على تصميم مناورات هجومية ، وتراجعات سريعة جدا وطويلة ، وانتشارات مفاجئة لقواته . فاستطاع بحكم الوضع الجغرافي لبلاده تجنب المعارك الدفاعية الكبرى ، واستطاع تبني استراتيجية انهاك مستمر لخصمه ، أضعف فيها معنوياته وروحه القتالية وفعاليته العسكرية . الا أننا ينبغي أن لا نؤخذ كثيرا بثقل كلمة العصابات وأهميتها ، بل لنقف هنا قليلا لنرى ماوتسي تونج يقول : « ففي حربنا ، نجد الشعب المسلح ، والجيش الأحمر ... يشكلان ذراعي رجل واحد . ان معنويات الشعب هي معنويات الأمة المسلحة . وهذا بالضبط ما يخشاه العدو .

ويعتمد ماوتسي تونج على عمل العصابات ، التي تزعج العدو وتضايقه أربعا وعشرين ساعة في اليوم ، فلا تترك له مجالا للراحة ، لأن هدف الحرب الرئيسي هو تدمير القوات المعادية ، ريثما يصبح الجيش الصيني قويا قادرا على مجابهة العدو » .

وهو لا يفتش في البدء عن مدن أو مواقع ليحتلها . ولا يقوم بالهجوم المعاكس الا عندما يتعب اليابانيون وتنهد قواهم ، ويصبح هو قادرا على التفوق الاستراتيجي عليهم .

أن ماوتسي تونج يعتبر كل نشاطات العصابات ملحقة وتابعة لنشاط القطعات النظامية . ان العصابات لا تستطيع التغلب على العدو لوحدها ، كما لا يمكن التغلب على العدو دون تدخل العصابات . فالجيش النظامي هو الذي يلعب الدور الرئيسي ، وعلى العصابات أن تساعده في أنتزاع النصر .

وقد حرصنا على ابراز هذه الناحية والتأكيد عليها ، لما يعتور هذا الموضوع من غموض وملابسات في أذهان البعض . ففي المحنة التي نعيشها اليوم ، يتنادى الكثيرون الى شن حرب العصابات في الأرض المحتلة .. ومع ايماننا بضرورة هذا العمل ، الا أننا نؤمن من خلال جميع التجارب

المماثلة التى مرت فى التاريخ المعاصر ، ان هذا العمل ينبغى أن يتم بعصابات موحدة ، تعمل بشكل مستقل وببداهة قواد المناطق والأقسام ، ولكن بناء على توجيه قيادة عصابات مركزية ، مع تحقيق تعاون وثيق بين الجيوش النظامية وقيادات العصابات فى كل مسرح من مسارح الدول العربية التى احتلت اسرائيل جزء من أرضها بعد العدوان الأخير . وسيرى القراء فى هذا الكتاب ان تشكيل الأنصار السوفييت وعملهم خلال الحرب العالمية الثانية كانا مبنيين طبقا لهذا المفهوم الذى وضعه ماوتسى تونج .

ان دور الأنصار والفدائيين هو نقل الحرب الى مؤخرات العدو ، واجباره على الشعور بأن المنطقة التى احتلها من أرضنا بحجة حماية اسرائيل وتأمين أمنها ستكون بالنسبة لقواته جحيما لا يطاق ، واجباره على بعثرة قواته باستمرار وانهاكها بوضعها فى تعبئة دائمة .

ان استراتيجية العمل الفدائى فى فلسطين استراتيجية مثمرة ، ولكنها ستصل الى ذروة فائدتها اذا ما قامت الجيوش العربية بمعارك الثأر بعد استعادة تسليحها وتدريبها ، وسيكون عمل الفدائيين آنذاك مشابها لعمل الأنصار السوفييت عندما بدأ الجيش الأحمر هجومه الكبير طاردا أمامه القوات النازية . والحد الأدنى الذى يساعد عمل الفدائيين ويجعله معقولا ، هو وجود جبهات عربية قوية قادرة على صد أى عدوان تقوم به اسرائيل على الأرض العربية ، بحجة مطاردة الفدائيين أو ضرب قواعد انطلاقهم وتموينهم ، وفى هذه الحالة يكون عمل الفدائيين مشابها لعمل الأنصار السوفييت فى بداية الحرب العالمية الثانية عندما تجمدت الجبهة الروسية الألمانية على أبواب موسكو وستالينجراد .

وقد ذكر مؤلفا الكتاب النصائح التى وجهها ماو الى الأنصار والعصابات ، ولا ننوى تكرارها الآن ، سوى اننا نلفت النظر الى أهم نقطة فى هذه الوصايا والنصائح . وهى حشد القوات ضد أضعف وحدات العدو . وعندما يكون العدو فى حالة حركة ، أو يكون موقعه غير محروس بصورة جيدة ، لأن من الممكن عندئذ القيام بهجوم جانبى سريع وعنيف ينفذ بغتة من قبل عصابة صغيرة على نقطة حيوية أو على خط من خطوط المواصلات .

وعندما بدأ القتال فى ٢٢ يونية (حزيران) ١٩٤١ ، على حدود الاتحاد السوفييتى ، واجتاحت الجيوش الألمانية الأرض الروسية ، وجه ستالين الى شعوب روسيا السوفييتية أمره المشهور للبدء بالعمل وراء خطوط العدو . ولكن يبدو أن القيادة الألمانية كانت تعتقد أن حربا آلية خاطفة

وسريعة ستجعل الاتحاد السوفييتى يستسلم ويرضخ لها ، كما رضخت شعوب أوربا الغربية ، الا أن الأحداث وتطور المعارك أثبتت عكس ذلك ، وتبين من الأوامر والوثائق التى جمعت بعد الحرب لكلا الطرفين ، أن هيئة الأركان العامة الألمانية لم تحسب حسابا لحرب عامة يشنها الأنصار فى كل مكان . وقد اعتمد مؤلفا الكتاب على كثير من وثائق العمليات والأوامر التى أصدرها الطرفان ابان القتال ، وكلها تثبت بما لا يدع مجالا للشك ، البلبلة التى أحدثتها عمليات الأنصار على مؤخرات القوات الألمانية المحتلة التى اضطر الجيش الأحمر الى التخلى عنها . وبناء على هذه الوثائق حلل المؤلفان استراتيجية وتكتيك الأنصار . وسلطا الأضواء على الدور الذى لعبه الحزب وأعضاؤه الذين كانوا يتسللون عبر خطوط العدو ، أو يهبطون خلفها بالمظلات لقيادة عمليات الأنصار . وعندما رأى الشعب اخلاصهم واندفاعهم وتضحيتهم فى الدفاع عن الوطن بالفعل لا بالقول تلاحم معهم ، وقام بأعمال مدهشة سجلها التاريخ بفخار .

وقلب الأنصار السوفييت المنطقة المحتلة الى جحيم لا يطاق . فلم يكتفوا بضرب مؤخرات الجيوش الألمانية وتدمير المصالح الموجودة فيها ، بل أخذوا على عاتقهم ازعاج الألمان ومضايقتهم فى المناطق التى تخلى عنها الجيش الأحمر . وقد عرض المؤلفان فى هذا الكتاب وثائق ويوميات لجنرالات ألمان ، تثبت بما لا يدع مجالا للشك كم ساهم الأنصار السوفييت فى انزال الهزيمة بالعدو .

ولقد حاول جوبلز بكل الوسائل مكافحة العصابات ، الا أنه فشل فى تحطيم روح المقاومة لدى الشعب السوفييتى ، فالشعوب قوة لا تقهر أبدا . وقد فشلت كل التدابير الانتقامية التى قام بها الألمان ضد الأنصار ، كما ان بعض هذه التدابير ومنها نقل كل الرجال الى معسكرات العمل الجماعية ، أو الى معسكرات الاعتقال بعيدا عن الجبهة أوقدت من جديد شعلة الكفاح . ولم تقتصر حركة الأنصار على الرجال بل تعدتها الى النساء اللواتى قمن بدور رائع فى القتال ، وساهم الأطفال أيضا فى عمليات الاستطلاع والتجسس ونقل المعلومات . وقاموا بأعمال معجزة باهرة .

ثم يتحدث المؤلفان عن تجهيز الأنصار وتسليحهم وضرورة الاعتماد على ما يأخذونه من بين أيدى الألمان . ويذكرنا هذا بقول طارق بن زياد عندما سار الى فتح الأندلس وقال مخاطبا جنده : « واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام ، وانه لا سلاح لكم ولا زاد لكم الا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم .. » .

ولم يقم الأنصـــار السوفييت بأعمال ارتجالية ، بل كانت اغاراتهم وعملياتهم مسبوقة بعمليات استطلاع دقيقة يقوم بها رجال استخباراتهم ، وكانت المعلومات التى يجمعونها ترسل الى الأنصار ، والى الجيش الأحمر بواسطة عمال ارتباط .

والآن بعد أن وصلنا الى هذا الحد من التقديم عن حرب الأنصـــار السوفييت وعن تنظيمها والمهمات التكتيكية التى كلفت بها لابد من وقفة بسيطة نحدد فيها ، ونحن على أبواب عمل فدائى فى الأرض العربية المحتلة أهداف هذا العمل وأسلوبه والتدابير التى ينبغى أن تتخذ ليكون هـذا العمل فعالا الى أقصى الحدود .

ان الظروف التى يواجههـــا العمل الفـدائى الفلسطينى بهدف المشاركة فى تحـرير فلسـطين مختلفة عن كل الظروف التى واجهتهـا كل حـركات العصـــابات القديمـــة والمعـــاصرة . ففى فيتنـــام اليوم مثلا جبهة تحرير وطنية تتمركز فى الجزء الشمالى من فيتنام ولها أنصار فى فيتنام الجنوبية التى يحتلها الأمريكيون بمساعدة حكومة عميلة وجيش موال للاستعمار . اذن فهناك قاعدة ضخمة للثوار قادرة على الدفاع عن نفسها وردع العدوان الرامى الى ضرب قواعد انطلاق وتموين الثوار . وأرض شاسعة مساحتها ٣٣٠٫٠٠٠ كم٢ وعلى الأرض الفيتنامية يعيش ٣٠ مليون انسان . والنضال فى فيتنام ضد الاستعمار الأجنبى نضال متصل ، وحركة المقاومة المسلحة حركة سرية قديمة انتظمت خلاياها الأولى منذ عام ١٩٢١ ثم تطورت وقويت واشتد عودها فى طرد الاستعمار الفرنسى وحققت انتصارات رائعة . اذن ففى الحرب الفيتنامية ، هناك أرض واسعة تتلاءم جغرافيا مع حرب العصابات وهناك جمهورية فيتنام الديمقراطية الشعبية التى تأسست بعد نضال دام ومستمر ، وهنـاك حزب رائد يثق بالشعب ويثق الشعب به ، يعمل ضمن اطار جبهة وطنية يقوم فى داخلها بدور الطليعة فى الكفاح المسلح . وكل هذه عوامل تتطلب التأمل والمقارنة .

وينبغى هنا أن نفرق بين الاستعمار الاستيطانى الذى تهدف اليه الحركة الصهيونية ، وبين الاستعمار القديم والجديد الذى لا يستهدف الاقامة والاستيطان الدائم . فاسرائيل تدّعى دوما بعدوانها وبتوسعها عودتها الى دولة اسرائيل التى فقدتها منذ مئات السنين . وهذا الموضوع ينبغى أن يؤخذ دوما بعين الاعتبار .

ولو عدنا تاريخيا الى حرب الأنصار السوفييت ، لوجدنا أن هذه الحرب تتمثل بما يلى : هناك أرض محتلة من قبل الفاشستية الهتلرية ،

وهناك جيوش نظامية تقاتل ، وهناك أنصار يقاتلون فى أرض محتلة .. وهناك حزب رائد ، كان طليعة الكفاح المسلح ، وبذل كثيرا من التضحيات فى تحرير الأرض السوفييتية . وعندما احتل الألمان الأرض السوفييتية اختبر هذا التنظيم فكان جاهزا للقتال .

فاذا انتقلنا الى حركة المقاومة السرية الفرنسية وجدنا انها حركة نظمها الديجوليون الأحرار بقيادة الجنرال ديجول . وكانت تعتمد على قوات عسكرية تحتل كثيرا من المستعمرات الفرنسية ، وعلى بقايا الجيش والأسطول الفرنسى فيما وراء البحار من جهة ، وعلى الحلفاء الغربيين الذين كانوا يعدون العدة لاستعادة أوروبا ، وتدمير القوات الألمانيـة الهتلرية .

فكلتا الحركتين اذن ، فى روسيا وفى فرنسا استفادتا من التدخلات العسكرية التقليدية من عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ ، كما استفادت الحـرب الأسبانية من هـذه التدخلات فى عام ١٨١٣ - ١٨١٤ ، ضد نابوليون بارتباطها مع حملة ويلنجتون .

وليست حرب العصابات الملائمة فى فلسطين حركة كاستروية تعتمد على طليعة تشكل بؤرة ثورية تجمع حولها قوى الشعب لتعمل وحدها وتتصاعد حتى تصل الى التحرير ، لأن كاسترو وصحبه كانوا فى البداية لوحدهم ولم يكن عندهم حدود مع دول مجاورة صديقة تعسكر عليها جيوش نظامية صديقة . ولا على غرار حـرب العصابات السوفييتية أو اليوغوسلافية أو اليونانية ، لأن طبيعة الأرض مخالفة كلية لطبيعة فلسطين ولأن الاحتلال الذى تعرضت له هذه البلاد مختلف عن الاحتلال الاستيطانى الاسرائيلى الرهيب ، كما انها لا تشابه الثورة الجزائرية ، ففى الجزائر استطاع حوالى ٣٥ ألف مناضل تجميد ٣٠٠ ألف جندى فرنسى ، رغم وجود جالية أجنبية موالية للاستعمار ، ويعود نجاحهم الى استفادتهم من مساحات الأرض الشاسعة ، التى كانوا يتحركون فيها بحرية دون أن يستطيع العدو مراقبتها والسيطرة عليها بقواته المحدودة .

ان حرب العصابات التى نحتاج اليها فى فلسطين هى خليط من حرب العصابات السوفييتية وحرب العصابات فى فيتنام الجنوبية . (مع اختلاف فى بعض التفاصيل التكتيكية المتعلقة باختلاف طبيعة الأرض) . ان حرب العصابات فى فلسطين مرتبطة ارتباطا كاملا بالدول العربية المجاورة وبقوة الردع التى تشكلها جيوشها .

وللتدليل علـــى ذلك يكفى العودة الى استراتيجية اسرائيل التى مارستها خلال عشرين عاما . فعندما كانت اسرائيل تتعرض لكثير من الضربات من قبل الفدائيين كانت ترد بضربة انتقامية ، ولم تكن الخسائر التى نلحقها بها نتيجة أعمال الفدائيين لتتناسب مع نتائج الضربة التى تلحقها بنا . فاذا لم تكن أعمال الفدائيين مقرونة مع قوة ردع عربية قادرة على أن تكيل الصاع صاعين لاسرائيل ، وأن ترد بضربة انتقام واسعة كلما ضربت اسرائيل ، تكون كمن يلعب لعبة لا يعرف نتائجها . ففكرة التصعيد الى الحدود القصوى فكرة ينبغى أن تبقى ماثلة أمامنا عند دراسة هذا العمل الفدائى وأهدافه ونتائجه . لأن العمل الفدائى لن يكون حاسما بحد ذاته ، كما كانت حروب العصابات كلهـا غير حاسمة بحد ذاتها ، رغم عظم أهميتها ، وقد اعترف بذلك ماوتسى تونج منظر حرب العصابات الثـــورية .

ومن الغريب أن يقوم بعض المفكرين العرب من المدنيين والعسكريين بالتأكيد على المقارنة بين طبيعة الأرض الكوبية أو الروسية أو الفيتنامية والأرض العربية ليستنتجوا استنتاجات خاطئة حول العمل الفدائى فى فلسطين وامكانياته . انهم يتجاهلون أو يجهلون ان العمـل الفـدائى ، او قتال العصابات والحرب الشعبية الشاملة هى أسلوب استراتيجى يعتمد على منطلقات عديدة أهمها وجود العقيدة ، والفكرة ، والحزب الرائد ، وتلاحم الحزب مع الجماهير المسحوقة ، ووجود قاعدة الانطلاق المجاورة المحمية ضد أعمال الردع ، ووضع الجيوش الصديقة المجاورة ، ووضع العدو والسكان المدنيين على مسرح العمليات ، وطبيعة أرض هذا المسرح نفسها .. الخ .. ولكنهم يهملون معظم النقاط الهامة السابقة ويتشبثون بالنقطة الأخيرة فقط ويبنون على ذلك أحكامهم .

والحقيقة أن الأرض تؤثر على التكتيك وأساليب القتـال أكثر من تأثيرها على الاستراتيجية نفسها ، وأختيار العمل الفدائى وحرب العصابات الثورية الشاملة كاستراتيجية لتحرير فلســطين ، أمر لا يتعارض مع طبيعة الأرض المحتلة ، ولكنه يتعارض مع أشياء كثيرة أخرى ، وعلل واخطاء عديدة تحتاج الى اصلاح جذرى ، فاذا ما تم اصلاح هذه الأخطاء أصبح العمل ممكنا بعد ملائمة التكتيكات مع ظروف الأرض ، وتكتيكات العدو وتسليحه ، ومع بعض المعطيات التكتيكية الأخرى .

وسنذكر فيما يلى بعض المعطيات التى يجب الانتباه اليها عند تحديد خصائص التكتيكات الجديدة لقتال العصابات فى فلسطين ، على اعتبار أننا آمنا بها كاستراتيجية :

١ ـ ان المستعمرات الاسرائيلية نفسها تشكل نقاطا دفاعية دائرية (نقاط أستناذ) تستطيع أن تدافع عن نفسها فى كل الاتجاهات . ويذكر الفلسطينيون بصورة خاصة أن هذه المستعمرات كانت منذ زمن بعيد مزودة بالحراسة والدفاع الكاملين ، وبالكشافات ، والأبراج للدفاع عن نفسها وسيرى القراء أن فكرة « القرى المسلحة » أوجدها الألمان فى الاتحاد السوفييتى لمكافحة الأنصار .

٢ ـ ان لكل مستعمرة من هذه المستعمرات واجبا دفاعيا عن نفسها ، وواجبا دفاعيا ضمن اطار خطة الدفاع الشاملة عن اسرائيل .

٣ ـ يعيش شباب الناحال فى هذه المستعمرات ، كما يعيش فيها كثير من الضباط والجنود الاحتياطيون .

٤ ـ ان أرض فلسطين الصالحة لقتال العصابات والعمل ضد أرتال العدو وقوافله والعودة الى الملاجىء للاختفاء فيها ، ومن ثم القيام بعمل وثان وثالث والخ ... هى منطقة نابلس والمواقع الطبيعية حولها وهى المنطقة التاريخية التى جرت فوق أرضها ثورة ١٩٣٦ ضد الانجليز ، الا أنها منطقة ضيقة المساحة لا تسمح بحرية الحركة المخفية . وهناك منطقة الجليل سوى انها تفتقر الى العنصر البشرى الفلسطينى .

٥ ـ لا تعتمد حرب العصابات فقط على الأغارات والكمائن ومهاجمة الأرتال وغيرها من التكتيكات الصالحة فى الأراضى الجبلية أو الغابات أو المستنقعات (مثال كوبا أو الفيتنام) ولكنها تعتمد على عمليات الاغتيال على نطاق واسع لكبار الضباط الأعداء وخاصة الطيارين ، وللمتعاونين معهم من الأهالى ، وعمليات مهاجمة المطارات ، وضرب الطائرات الجاثمة على الأرض ، وزرع الألغام على الطرق ، ونسف الطرق والجسور والسكك الحديدية ، وبث الأفخاخ فى كل مكان . ولا تحتاج كل هذه العمليات الى أرض خاصة ، فأرض فلسطين صالحة لها تماما ، على أن تتم معظم العمليات ليلا .

وهناك معطيات تكتيكية متعددة أخرى تدخل فى حساب الأساليب والطرق والتكتيكات اللازمة فى قتال العصابات ، ولكنها لا تدخل أبدا فى الاستراتيجية والذى يدخل فى هذا المضمار النقاط التالية :

١ ـ وحدة العمل الفدائى .
٢ ـ أرتباط العمل الفدائى بالجبهات العسكرية .
٣ ـ الوحدة الوطنية داخل الشعوب العربية .

٤ ـ التلاحم بين الحكومات والشعوب داخل الدول العربية وثقة الشعوب بهذه الحكومات وقدرة هذه الحكومات على الانفتاح على الشعوب وتسليحها والسير أمامها فى معركة المصير حتى النهاية .

٥ ـ قدرة الدول العربية المجاورة على تشكيل قواعد انطلاق للعصابات وحماية هذه القواعد وصد كل عدوان .

٦ ـ أمكانية قلب العمل الفدائى الفلسطينى الى عمل عربى .

ان عصابات الفدائيين العرب تبذل اليوم كل التضحيات فى سبيل انهاك العدو بوخزات ابر لا تنتهى ، ولكن نجاحها النهائى الأكيد بحاجة الى ما يلى :

١ ـ توحيد العمل الفدائى داخل خطوط عريضة واخضاع جميع العصابات الى قيادة عسكرية وسياسية واحدة . مع ترك حرية العمل للعصابات داخل قطاعاتها . والتوحيد هنا ضرورى لتبادل المعلومات عن العدو ، وعدم التشابك فى المهمات ومناطق العمل ، وعدم تبديد الجهود على أهداف واحدة .. الخ .

٢ ـ ان الخطر الاسرائيلى لا يستهدف الشعب الفلسطينى وحده ولكنه يستهدف كيان الأمة العربية ووجودها . لذا فان على جميع الدول العربية أن تساهم فى تمويل وتسليح وتدريب الفدائيين من الفلسطينيين ، أو المتطوعين من كافة البلاد العربية ليكون العمل عربيا .

٣ ـ يجب تدريب الفدائيين على استخدام أسلحة العدو وألغامه ووسائل اتصالاته مع تعليم عدد منهم اللغة العبرية لتسهيل عملية الاستطلاع وجلب المعلومات .

٤ ـ من الضرورى ممارسة عمل سياسى واسع النطاق لاستمالة الفلسطينيين الموجودين فى الأرض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وقسم كبير من هؤلاء قادر على القيام بدور هام لصالح هذه القضية .

٥ ـ لابد من ربط العمليات فى كل قطاع من القطاعات بمسرح من مسارح عمليات الدول العربية ، حتى تنسق مع قيادة هذا القطاع العمليات داخل فلسطين . لأن قيادة كل مسرح من مسارح العمليات العربية تستطيع أن تقدر الموقف تقديرا كاملا ، وتعد العدة للرد على كل عملية انتقامية قد يقوم بها الجيش الاسرائيلى برا أو جوا .

٦ ــ لابد من تنسيق هذه العمليات كلها على مستوى قيادة عربية موحدة، ونعنى بذلك قيادة عربية واحدة للعمل الفدائى ، مرتبطة بقيادة عامة عربية للعمل العسكرى على مستوى الدول العربية المجاورة لأسرائيل بما فيها العراق والدول الأخرى التى تضع قواتها فى خدمة هذه القضية .

٧ ــ اقامة قواعد سرية داخل اسرائيل منذ الآن ، على أن لا تستخدم هذه القواعد فى الوقت الحاضر ، الا عندما يقتضى الموقف العمل بتنسيق مع الجيوش العربية فى هجوم واسع النطاق لأستعادة الأرض العربية المحتلة .

٨ ــ ينبغى أن يحدد دور الطلائع العربية بدقة ووضوح . وعلى هذه الطلائع (أحزاب ، منظمات ، جماعات .. الخ) أن تدفع ضريبة الدم قبل غيرها ، وينبغى أن يقود زعماء المنظمات والأحزاب والجماعات (التى تعتبر العمل الفدائى جزءا من خطتها) هذه العمليات داخل اسرائيل وبذلك يعطون المثل ، كما أعطته أحزاب أخرى من قبلهم .

٩ ــ ان دور الجيوش العربية دور أساسى ، بل هو أساس كل هذه الأعمال . ومن الممكن لهذه المنظمات الفدائية أن تساعده ، على نطاق واسع ، عندما يتقرر الحل الحاسم عن طريق الانتصار بالمعركة العسكرية . فعلى بعد عشرات الكيلومترات من خط وقف اطلاق النار مناطق هامة ، يستطيع العمل الفدائى تأدية مهام لا حصر لها فيها لصالح الجيوش العربية وبالتنسيق معها . وأمام الجبهة السورية وديان كثيرة سحيقة ، وجبال منيعة يستطيع العمل الفدائى أن يؤدى فيها عمل عصابات ثورية لصالح الجيوش العربية وعلى نطاق واسع . وفى الجبهة الأردنية والمصرية مجالات واسعة لاحتلال ممرات اجبارية ، والتصدى لقوات الاحتلال والأهداف العسكرية والاقتصادية .

ان استراتيجية اسرائيل تعتمد على الحرب الآلية السريعة الخاطفة ، وهى تعتمد اعتمادا أساسيا على خطوط المواصلات . فبامكان القوى العربية أن تدمر هذه الخطوط وأن تشن عليها مئات الاغارات قبل بدء العمليات وأن تتصدى للمطارات وتدمر الطائرات وهى على الأرض ، على أن لا ننسى دوما الهدف الأساسى وهو تدمير القوات الأسرائيلية المعادية .

فلكي تكون حركة الفداء العربي فعـالة ، لابد من أن تكون في اللحظة الحاسمة منتشرة في كل مكان من الأرض المحتلة ، وأن تتمتع بالمرونة والاستقلال الذاتي في أعمالها في داخل الأرض المحتلة ... ان عليها أن لا تتشبث بالأرض ، بل ان تتحرك وتناور باستمرار على كل جبهة من الجبهات العربية . ومن هنا ينبغي أن تكون حركة عربية صرفة .

١٠ـ وينبغي علينا أن نتوقع منذ الآن كل ردود الفعل ضد العمل الفدائي، وأن نستفيد من كل الأخطاء التي أرتكبت خـلال العشرين عاما الماضـية . فلا بد من تأمين التوافق والتنسيق في كل أعمالنا المتعاقبة ضمن اطار ترتيب عربي عام قادر على متابعة تنفيذ مخططاتنا رغم مقاومة العدو وارادته ، ومهما كلفنا ذلك من تضحيات . ينبغي أن نتوقع الانتقام الذي يتعرض له مواطنون مسالمون ، كما ينبغي أن نتوقع تهجيرا جماعيا من مناطق بأكملها ، ونعد لكل احتمال عدته والرد المناسب له .

وفي بدء هذه العمليات علينـا أن لا نهـاجم أهدافا لا تتلاءم مع امكانياتنا ، وأن نقتصر في أغراضنا على التصدي لأهداف عسكرية واقتصادية ، وعلى المفارز المنعزلة من قوات الاحتلال العسـكرية أينما كانت .

١١ـ ومع ايماننا بالتحضيرات العالية الكفاءة التي تقوم بها بعض الجيوش العربية من أجل أزالة آثار العدوان بالقوة المسلحة ينبغي ، وريثما تتقرر المعركة العسكرية أن نعد شعوبنا للحرب المسلحة ، وأن نهيىء تنظيمات العصابات التي سنبقي في أمكنتها ، في حالة توسع اسرائيلي جديد على الأرض العربية . وأن نعد العدة من الآن لحرب العصابات في الأردن وحوران وجبل العرب ، ومنطقة دمشق وغوطتها وجبالها التي تحتضن المدينة .

ان وجود هذا التنظيم ضروري جدا ، وينبغي أن يكون قادرا على القتال ، سواء أكان بامكان الجيوش العربية أن تزيل آثار العدوان أم لا ، ففي كلتا الحالتين تشكل هذه القوات قوات مساعدة للجيوش النظامية .

وينبغي أن لا نرتكب نفس الأخطاء التي ارتكبناها قبل هذا التاريخ . فلو كان لدينا في الضفة الغربية للأردن ، وفي الجبهة الجنوبية الغربية ، وفي القدس تنظيمات سرية معدة منذ زمن طويل ، لو كان لدينا مثل هذه

التنظيمات لاستطعنا القيام فورا باستراتيجية انهاك مستمرة لاسرائيل نستنزف فيها قواتها ريثما تستعيد الجيوش العربية تسليحها وعتادها وتصل الى مستوى المسئولية الملقاة على عاتقها .

والخلاصة :

ان اسرائيل قد دأبت منذ عام ١٩٤٨ على التوسع بوثبات ، واحتلال أهداف متعاقبة تتناسب مع قوتها وعدد سكانها وقدرتها على امتصاص الهدف المحتل . وهى تركن الى السكون واجتذاب المهاجرين بعد كل عملية لتستوطن فى القسم الجديد وتثبت فيه أقدامها ، معتمدة على أن الدول العربية فى وضع الفرقة والانفصال عاجزة عن اقلاق أمنها وعرقلة عملية الهضم ، فما أن تمضى عدة سنوات وتنتهى المرحلة وتصبح أمرا راهنا حتى تقوم اسرائيل بوثبة جديدة لاقتطاع أرض عربية جديدة متذرعة بالحجج الواهية .

ولقد استطاعت اسرائيل فى يونية سنة ١٩٦٧ ، مدعومة بضمانات مبريالية عسكرية ، وحيل سياسية دبلوماسية أمريكية أن تحتل جزء من بلادنا ، ثم وقفت عندما وصل تقدمها الى النقطة الحرجة التى يؤدى التقدم بعدها الى طول خطوط المواصلات وتزايد بعثرة القوى . واختلال ميزان التفوق بشكل خطير .

ولكن خط وقوفها لا يعنى حدود أحلامها ، فهى الآن تقوم بمرحلة هضم الجزء العربى الجديد مستفيدة من ذهول العرب بعد النكسة ، واستمرار فرقتهم رغم درس يونية القاسى . ومن هنا تظهر لنا أهمية العمل الفدائى الذى يحرمها اليوم من هذه الراحة بعمليات صغيرة تقوم بها العصابات فى كل مكان وزمان ، مع الارتباط الدائب بالجبهات الثابتة ريثما تبدأ معركة الثأر لازالة آثار العدوان ، فينقلب العمل الفدائى عندئذ الى عمليات ازعاج على مؤخرات العدو لمساعدة الجيوش العربية العاملة على مختلف الجبهات .

وأخيرا ان فى طيات هذا الكتاب تجارب جليلة تفيد أمتنا فى هذا المنعطف الخطير من حياتها . ونحن ننقله الى القراء العرب كمشاركة صغيرة فى خدمة قضية كبيرة ، عسى أن يقدم الفائدة المرجوة ..

المعربان

تقديم : الجنرال السير ريجنالد ف . س . وينغ

لقد درس الجنرال ديكسون والدكتور هيلبرون حرب العصابات دراسة مستفيضة وعميقة ، وبصورة خاصة حرب العصابات التى خاضها الروس من عام ١٩٤١ الى عام ١٩٤٥ ضد الجيوش الألمانية . والغرض من هذا المؤلف هو عرض نتائج هذا العمل الذى قاموا به ، ففائدته كبيرة جدا ، وسيقدره بلا شك المسؤولون عن انشاء المخططات المعدة لمواجهة آى تهديد من هذا النوع من الحروب ، فى نزاع مقبل .

ولم ينس المؤلفان ، فى مقدمتهما الاشارة الى مسارح العمليات الأخرى، التى جرت عليها أحداث الحرب العالمية الثانية ، هذه المسارح التى بذلت فوقها العصابات نشاطا واسعا ، حيث حاولت تعطيل خطوط مواصلات العدو لاجباره على توزيع قواته على مساحات هائلة واعاقة مشروعاته العدوانية .

وبهذا الشكل يتبادر الى أذهاننا فورا ، ما حققه فى هذا المجال ، قائد قوات الحلفاء فى جنوب شرق آسيا ، الأميرال الكونت مونتباتن . ومن المعروف ان تنظيم الحلفاء الذى قام بأعمال العصابات ، فى هذه المنطقة من العالم ، كان مقادا ومدعوما من قبل القطعات الانجليزية والأمريكية التى كانت متمركزة فيها . ومع ذلك فان وحدات العصابات ، وخاصة العصابات التى كانت تعمل فى ماليزيا ، كانت مشكلة فى الغالب من سكان البلاد الأصليين ، وتتحرك بامرة ضباط وضباط صف وجنود بريطانيين وأمريكيين ، وقد ضايقت هذه التشكيلات اليابانيين وأزعجتهم بصورة كبيرة ، وساهمت الى حد كبير فى هزيمتهم . وقد أبرز سبنسر شابمان فى كتابه : « الغابات حيادية » المهارة التى أظهرها رجال العصابات فى عملهم فى هذه المنطقة :

ثم كانت هناك قوات الجنرال وينجيت (١) ـ وكان عملها على مستوى

(١) وينجيت : ضابط بريطانى ، خدم فى فلسطين فى الثلاثينات ، وعهد اليه أثناء الثورة العربية الكبيرة فى فلسطين يتدرب بعض اليهود على المقاومة العسكرية =

مختلف ـ تلك القوات التى قاتلت خلف الخطوط اليابانية فى بورما . وقد كانت هذه القوات مشكلة من وحدات عسكرية منظمة ومنضبطة ، الا أن هدفها الذى رسمته وحققته كان مماثلا للهدف الموضوع للأنصار الروس المشتبكين ضد القوات الألمانية .

وعلينا أن لا ننسى أبدا ، انه كان من المحتمل أن نجد أنفسنا فى بريطانيا نفسها مضطرين الى خوض حرب العصابات ضد الألمان ، لو نجح هؤلاء فى عملية الانزال على جزرنا ، وربما لا نعرف هذا الموضوع بصورة عامة. الا أنه من المؤكد ان شيئا جديا جدا كان قد أعد فى هذا السبيل ، بل أقول أيضا ان حرب العصابات هذه كانت معدة بصورة جيدة ، وربما كان تحضيرها واعدادها أفضل بكثير من الحرب التى نظمها الروس ووصفها المؤلفان فى هذا الكتاب .

وأخيرا لابد من الاشارة الى أعمال حركة المقاومة السرية الفرنسية فقد كان موقف هذه العصابات شجاعا وفعالا كموقف العصابات الروسية فى حربها التى لم يخمد أوارها ضد الألمان ، كما أن عددها لم يكن أقل بكثير من عدد رجال العصابات الروسية ، ويكفى أن نقرأ « أوديت » لنطلع على أهمية حركة المقاومة السرية الفرنسية وعلى المعنويات الرائعة التى كانت تدفعهـــا .

ومهما يكن من أمر ، فقد لفت المؤلفان الانتباه ، فى الوقت الملائم الى ضرورة اعداد مختلف الدول لطرق مجابهة العصابات التى تؤثر بثقلها على العمليات فى حرب مقبلة . وقد أشارا الى المضايقة والازعاج اللذان يحس بهما جيش من الجيـــوش تتعرض خطوط مواصلاته لرحمة الأنصار ، وبينا كيف اضطر الألمان الى أشغال حوالى (١٥) فرقة مشاة من قواتهم لمحاولة تدعيم أمن خطوط مواصلاتهم الأساسية فقط .

وقد أثبت المؤلفان ان لهذه الحـرب طابعين : أحـدهما استخدام العصابات العاملة لصالحنا ، وثانيهما شل وتدمير العصابات الموجهـــة ضدنا . ويوصى هذا المؤلف بوضع نظام خاص يساعد الجيش على الدخول فى المعركة مزودا بالتدريب الضرورى الذى يســـمح له بمجابهة خطط العصابات المعادية بنجاح ، مع معرفة أساليب استخدام عصاباتنا الخاصة

= والقتال الليلى . ثم شكل هؤلاء اليهود نواة الهاجاناة (جيش الدفاع) . اشترك فى حرب شمال افريقيا وطلبت الوكالة اليهودية تسليمه قيادة اللواء اليهودى التابع للجيش الثامن ولكن الجنرال ويفل رفض ذلك . نقل بعد ذلك الى الشرق الأقصى وتولى هناك قيادة قوات الحلفاء لفتح طريق بورما . وقتل هناك . (المعربان)

طبقا لحاجاتنا (وهو لا يوصى بهذا النظام للجيش البريطانى فقط وانما يوصى به لكل الجيوش الغربية) . والملحق الذى يرافق هذا الكتاب ، هو فى الواقع نظام بحد ذاته ، ويتمتع بقيمة مؤكدة وحقيقية ، لأنه يتعلق بالأوامر التى أعطتها القيادة العليا الألمانية للقتال ضد العصابات الروسية . وقد تركت قراءة هذا الكتاب الانطباعات التالية فى ذهنى :

(أ) ساهمت العصابات الروسية ، أثناء الحرب العالمية الثانية ، الى حد كبير فى هزيمة الألمان ، فقد كانت مشبعة بحقد عنيف ضد المحتلين ، وبالرغبة فى حماية الاتحاد السوفييتى الذى كان العدو ينهب أرضه ، كما حصلت العصابات العاملة لصالح الأمم المتحاربة ، فوق مسارح عمليات أخرى ، على نتائج ملموسة ولعبت فى هزم العدو المشترك دورا لا يقل عن دور العصابات السوفييتية .

(ب) ينبغى أن نضع عصاباتنا التى ستعمل على مؤخرات العدو ، تحت قيادة القائد الأعلى لمسرح العمليات المعتبر . فان لم نفعل ذلك فشلت عصاباتنا فى تأدية أعمالها للحصول على النتيجة الأساسية المرجوة ، وهى هزيمة القوات المسلحة المعادية . أما الأعمال المستقلة فقد تؤخرنا ، أو تمنعنا من بلوغ الهدف الرئيسى (وهو هزيمة العدو) . فاذا أمنت قيادة وادارة وحدات العصابات بواسطة سلطة مستقلة ، أى تحت امرة وزير مثلا تابع للحكومة ، فاننا نرجع بهذا الشكل الى زمن « الجيوش الخاصة » ، هذه الجيوش التى كانت تتمتع بدرجة عالية من الجرأة والتصميم ، والتى كان من الممكن أن تحقق نجاحات أكبر وأن تساهم بالنصر بشكل أجدى وأعظم لو أنها وضعت تحت قيادة القائد العام الذى تعمل فى مسرح عملياته ، فالقائد العام هو وحده الذى يستطيع تقرير الشروط التى يتمكن الأنصار فى ظلها تقديم مساعدتهم لبلوغ أهدافه .

(ج) عندما تشن العمليات المضادة للأنصار ، يكون لهذه الأعمال انعكاسات فورية على السكان المدنيين ، وقد اعتاد الألمان ممارسة الأعمال الانتقامية لاجبار الأنصار على التخلى عن المعركة . وكانت نتيجة هذه الأعمال الانتقامية القضاء على عدد كبير جدا من المدنيين فى مناطق نشاط الأنصار ، أو ارسال بعض المدنيين الى معسكرات الاعتقال .

ان عملية ابادة السكان المدنيين عملية غير مقبولة من قبل شعوب الغرب ، الا اذا تمت ابان المعركة . وتقتضى عملية اقامة معسكرات الاعتقال

بالضرورة انشاء تنظيم واسع وتبديد قوات كبيرة لتأمين حراستها وادارتها . والسلوك الواجب اتباعه فى هذه الحالة هو نفس السلوك الذى اتبعه الجنرال بريجز فى ماليزيا ، فقد أحاط هذا الجنرال بعض المناطق بقطعاته بعد أن طهرها من العصابات التى كانت تعبث فيها ، وكانت قطعاته جاهزة للتدخل فورا فى القطاعات المحددة لها ، لدى عودة العصابات اليها.

وبالنظر للوضع العالمى الحالى ، فان هذا الكتاب يأتى فى اللحظة الملائمة فهو يعالج موضوعا يكثر الحديث عنه ، دون أن يدرس دراسة عميقة حتى الآن . وسيساهم هذا الكتاب فى دراسة هذا الموضوع ، وسيساعد بالتأكيد كل الأشخاص المكلفين باعداد المعركة ضد العصابات ، أو اعداد قطعات من نوع العصابات للاشتباك ضد العدو .

مدخل

لم تصطدم قطعاتنا خلال الحرب العالمية الثانية بحركات كبرى من حركات العصابات التى نظمها العدو . فالقطعات اليابانية والايطالية والألمانية الضرورية لمثل هذا النوع من الحروب ، لم تكن موجودة . وقد استسلم اليابانيون عندما وطئنا أرضهم ، فحتى ولو كان فى نيتهم خوض حرب عصابات ضدنا ، فاننا لم نلاحظ لديهم أية تحضيرات لاعداد مثل هذه الحرب . كما أن الايطاليين لم يسببوا لنا أية متاعب فى هذا الموضوع . الا أن الألمان هم الوحيدون الذين حاولوا تنظيم شىء فى هذا المجال كوسيلة أخيرة من وسائل الدفاع . فخلال شتاء ١٩٤٤ ــ ١٩٤٥ سمعنا عن حركة ألمانية تدعى Wer Wolf هذه الحركة التى كانت ستتشكل تحت حماية التحصينات المبنية فى مناطق الألب البافارية والنمساوية . ففى هذه الفترة ، تكون لدى بعض القادة النازيين فكرة خلق حركة من هذا النوع ، تتابع القتال ضد قطعات الاحتلال الحليفة ، بعد الانهيار ، وتكون نقطة ازدلاف للمقاومة الألمانية . وقد أوقف بعض أعضاء هذه الحركة من قبل الحلفاء ، ثم لم نسمع عنها شيئا على الاطلاق. لقد أرهقت ست سنوات من الحرب الشعب الألمانى وجعلته فى حالة من اليأس ، ولذا لم يطلق أعضاء هذه الحركة رصاصة واحدة .

ولقد كان هناك بالطبع عصابات فى الحرب العالمية الثانية . فقد شن الروس بصورة خاصة حرب عصابات كبيرة ضد الجيوش الألمانية ، كما شهدت الصين ويوغوسلافيا واليونان وبولونيا وفرنسا والحبشة حرب عصابات ، كما لعبت قوات الشندت فى بورما دورا ملحوظا . الا أن كل هذه العصابات كانت تحارب الى جانبنا ، فى هذا الوقت ، فنحن لم نعرف أعضاءها أبدا الا « كمواطنين » . ولم نصادف عصابات أنصار تعمل ضدنا ، حتى جاءت حوادث ماليزيا وكوريا الأخيرة .

ولهذا السبب بدأنا نفهم بصعوبة معنى حرب العصابات هذه . والواقع أننا لم نقدر تقديرا كبيرا الأنتصارات التى حققتها بعض هذه العصابات فى أفريقيا الشرقية وبورما ، حيث كانت تحارب الى جانبنا .

وقد حان الوقت الآن لتقدير وتقييم نتائج مثل هذه العمليات . فقد دفع الشيوعيون حرب العصابات الى مستوى الكمال . ولو نشبت حرب بيننا وبينهم فسنضطر الى القتال ضد أنصار سيحاربون بين ظهرانينا (١) .

ولقد قلبت العصابات الفكرة التى كوناها عن الحرب ، بينما بقيت الحرب التقليدية كما عرفناها ، فقد كانت القطاعات تقاتل على جبهات كن نتمتع خلفها بالسلم التقريبى . وطبقا للمادة ٤٣ من اتفاقية لاهاى عن الحرب البرية ، فان قائد الجيش فى أرض محتلة ، هو مسئول عن النظام والأمن العام ، ويجب عليه اعادته وتأمينه حسب الامكان . ويتمتع هذا القائد بالسلطة التنفيذية ، ويمارس السيادة ، ويسن القوانين ، ويراقب حسن سير الادارة ، ويقيم السلطات التشريعية ويحمى السكان المدنيين .. ان اعادة النظام وتأمين الأمن العام كانت أمورا سهلة فى الحروب الماضية فالقائد العام كان هو المسئول فى المناطق المحتلة ، ولكي يلزم الجميع باحترام القانون والنظام ، كان يكتفى بممارسة سلطة تكبح جماح قطعاته . أما السكان المحليون فكانوا مواطنين مسالمين (٢) .

---

(١) تقاتل عصابات الأنصار عادة وراء خطوط العدو مدفوعة بفكرة وطنية سامية ، وضد قوات تقوم بحرب غير عادلة ، لا تساير مصلحة الشعوب . ومن أول أسس نجاح عصابات الأنصار فى حربها وجود هدف جماهيرى صحيح تدافع عنه وتموت من أجله . وخوف الكاتب ــ الذى يمثل هنا رأى الدول الغربية الأمبريالية ــ من حرب العصابات ، وتوقعه لها ، يعنى اعترافه الضمنى بأن حروب الدول الغربية ستكون حروبا غير عادلة تهدف قمع الشعوب واستغلالها ، ولو لم تكن كذلك لما خافت من العصابات التى لا تنشأ وتنمو وتنجح الا وسط هذه البيئة الملائمة . واذا كان الكاتب يخاف من عصابات تشكلها الجماهير داخل بلادها لضرب مؤخرات جيوشها المتجهة لقتال الاتحاد السوفيتى أو الصين ، فان خوفه دليل على أنه لا مصلحة لجماهير البلاد الغربية فى حرب مقبلة يشعلها تجار الحروب وصناع المدافع ليزيدوا ثرواتهم على حساب شقاء الملايين . (المعربان)

(٢) لا تتجاوب اتفاقية لاهاى مع حقيقة الأحداث وذلك من زاويتين :
أولا : باشارتها الى حقوق وواجبات سكان المناطق المحتلة ، فانها تعتمد على مجموعة من القواعد الموضوعة دون معرفة بما اذا كانت القوة المحتلة تمثل المهاجم ، أو أن هذه القوة نفسها قد هوجمت . وثانيا : فان قوة الاحتلال ، طبقا لاتفاقية لاهاى لا تملك اقامة ادارة مدنية مخصصة للحلول مكان الادارة العسكرية المؤقتة على أرض معادية . ودون الدخول فى تفاصيل لا جدوى منها ، نستطيع القول أن التطبيق الدولى الحالى لا يقر هذه القواعد بتاتا ، وأن هذه القواعد لا يمكن تطبيقها بالنظر للمساحات الهائلة المحتلة من قبل القطعات المتحاربة فى الحرب الحديثة . (المؤلفان)

ومن الغريب أن نلاحظ ، اننا كنا نحارب ، مؤخرا بأفكار قديمة أيضا ، ففي عـــام ١٩٤١ ، عندما هاجم الألمان الاتحاد السوفييتي ، لم يفكروا انهم سيجابهون فى يوم من الأيام نشاطا فعالا كنشاط عصابات الأنصار ، ولم يكن الموضوع مطروحا حتى عند بدء المعارك . فقــد كان كثير من الروس البيض والأوكرانيين يعتبرون الألمان محررين . الا أنه بعد فترة قصيرة ، كان على الألمان أن يحاربوا على جبهتين : أولاهما ضد الجيوش السوفيتية النظامية فى الأمام وثانيتهما ضد الأنصار السوفييت المتوغلين خلف الخطوط . فخلف الخطوط الألمانية ، كانت مستودعات الذخائر تنفجر ، وتخرج القطارات عن سككها ، كما أن جنودا كثيرين كانوا يقعـــون فى الكمائن ، وتقطع المواصـــلات وتتوقف ، وتحرق المستودعات . وكان الأنصار يظهرون من كل مكان . فقد خاضوا عمليات برمائية ، وهبطوا من السماء ، وخرجوا من كهوفهم المنتشرة فى الجبال أو من مخابئهم المموهة فى المستنقعات . وعندما كانوا يشتبكون مـــع الألمان ، كانوا يتركون أحيانا قتلاهم وجرحاهم على الأرض ، كما يقع منهم فى بعض الأحيـــان بعض الأسرى ، الا أن الباقين كانوا يتوارون ، ثم يعودون أكثر عددا وأفضل تسليحا من ذى قبل . وقد تعلم الألمان حرب العصابات بعد أن دفعوا الثمن . لذا فان اهمال هذه الدروس هو من الخطورة بمكان كبير .

ومع ذلك فان حرب الأنصار هذه ، كما عرفناها ، كانت فى أولى خطواتها ، ولم يكن على الألمان أن يقاتلوا سوى أنصار سوفييت يعملون فى روسيا فقط لا فى ألمانيا نفسها . ذلك لأن الحزب الشيوعى الألمانى كان ضعيفا بعـــد عمليات الارهاب والتنكيل التى تعرض لها . وقد لا يتكرر ذلك فى أية حرب مقبلة يشترك فيها الاتحاد السوفييتى والصين ، فالحزب الشيوعى فى كل بلد تشترك فى القتال ضد هاتين الأمتين قد ينظم حرب عصابات لمقاتلة جيوش هذه البلاد . كما ان الأحزاب الشيوعية ستشكل خلف خطوط الدول الغربية رتلا (طابورا) ســـادسا يهدد مؤخراتها تهديدا لا يستهان به . ولقــد حذر ستالين الجميع من هــذا الخطر كما سنرى فيما بعد .

وقد ازدادت أعداد الأنصار الذين يشرف عليهم الكرملين خـــلال الأعوام الماضية ، كما اتسعت وازدادت فاعليتهم . وأنشأت بلدان الكتلة الشرقية نفسها وحدات خاصة من الأنصار المعززين فى بعض الأحيـــان بكتائب تسمى الكتائب الدولية .

وقد تواجه الدول الغربية هذه العصابات فى حرب مقبلة . وليس من المستحسن أن تعتمد هذه الدول على الدروس الحديثة المستخلصة من عمليات ماليزيا أو كينيا ، لأن هذه التعاليم والدروس ليست قاطعة . ففى هذين البلدين ، كانت العصابات تقاتل لحسابها الخاص ، ولم تكن مدعومة بجيوشها الوطنية . ففى حرب مقبلة ، ستكون العصابات تابعة للجيوش النظامية كما كانت أثناء معركة روسيا . ان هؤلاء الأنصار سيقدمون المساعدة والمعونة ، بفضل تكتيكهم وفنهم الخاصين للقوات المعادية . ولهذا السبب لابد لنا من دراسة مفصلة لحرب العصابات الروسية ضد الألمان .

ان هذا الكتاب سيعالج الحرب التى خاضها الأنصار فى الاتحاد السوفييتى أثناء الحرب العالمية الأخيرة . وسنحاول جهدنا ابراز الأفكار التى عرضها ماوتسى تونج فى عام ١٩٣٧ ، عندما كان شيوعيا مجهولا ، وسنبرز كيف استفاد الاتحاد السوفييتى من هذه الأفكار ، وسنعمل على استنتاج أسباب فشل التدابير الألمانية ــ المضادة لهذه الحرب . وأخيرا سنحاول استخلاص الدروس التى تتفق مع الأحداث التى نعيشها ، واقتراح التدابير الواجب اتخاذها والوسائل التى ينبغى استخدامها لمجابهة هذا النوع من القتال .

القسم الأول

الأنصار السوفييت

الفصل الأول

كانت هذه الحرب حرباً متوقعة

(لا تسيئوا معاملة أبناء الآخرين ، بل اعتبروهم كاخوتكم وأخواتكم ، حتى ولو كانوا صغارا طائشين ، فمن المحتمل أن يكونوا أولاد أمير أو سيد قوى) .

(حكم بالفو)

ان من عادة الحكام المتمدنين الذين يحكمون ديكتاتوريا أن يكتبوا ويطبعوا برنامجهم . ولقد حذر قراء كتاب « كفاحى ـ هتلر » ، الذى كتب فى عام ١٩٢٣ ، من كل ما كان ينتظرهم فى المستقبل اذا ما وصل هتلر الى الحكم ، الا أن اليابانيين كانوا أقل ايضاحا لبرامجهم من الألمان ولكنهم كانوا دقيقين فى تنفيذ برامجهم : ففى عام ١٩٢٧ ، أعلنوا عن نيتهم فى الاستيلاء على الشرق الأقصى . الا أنهم بالغوا كالألمان مبالغة كبيرة فى ادعاءاتهم الى الحد الذى لم نصدق فيه ما قالوه . ولكن تاريخ الديكتاتوريات خلال العشرين أو الثلاثين عاما الأخيرة لن يسمح لنا أبدا بأن نثابر على تجاهل ما يقولونه كما فعلنا فى الماضى .

وفى استطاعتنا أن نذكر هنا عددا من خلاصات المؤلفات التى كتبها حكام آخرون ، يحكمون بلادهم ديكتاتوريا ، وأن نبرهن بهذا الشكل على أنهم يعبرون بسهولة وبصورة مفتوحة عن أفكارهم ، الى درجة كتابتها على الجدران . وهناك أيضا مبادىء كبرى لحرب العصابات ، درست أيضا ، دراسة تفصيلية من قبل شيوعيين مشهورين ، ككارل ماركس ولينين ، وماوتسى تونج وستالين ، ونستطيع قراءة التسجيل الأول لهذا الموضوع على الجدران بالشكل التالى :

« لا ينبغى على الأمة التى تقاتل من أجل حريتها أن تحترم قوانين الحرب المعترف بها بصورة مطلقة . فتمرد الجماهير وغضبها ، والطرق الثورية ، ومجموعات العصابات فى كل مكان ، تلك هى الوسائل التى بفضلها يستطيع شعب صغير مجابهة خصم أقوى منه عددا وعدة . وباستخدام هذه الوسائل يستطيع الأضعف أن يأمل قهر خصم أقوى منه وأفضل تنظيما » (١) .

لقد انقضى مائة عام على كتابة هذه السطور ، ومع هذا بقيت هذه الكلمات حتى الآن كلمات تساير العصر الحاضر دون جدال . ومما يدهش أن هذه الكلمات لم تصدر عن قلم جندى من الجنود. فالواقع أنها من صنع مؤلف يعرفه الجميع وهو « كارل ماركس » الذى كتب : « رأس المال » والذى شارك فى وضع (البيان الشيوعى لعام ١٨٤٨) . الا أن كارل ماركس كان يعرف فى نفس الوقت ما هى الحرب . فمن عام ١٨٥٣ الى عام ١٨٥٦ ، كان ماركس يعمل مراسلا حربيا لنيويورك تريبون ، وكان يصف فى مقالاته المتعددة الأحداث الهامة فى حرب القرم(٢). وفيما بعد ، وبين عام ١٨٦١ — ١٨٦٢ ، زود كارل ماركس ، بالتعاون مع آنجلس ، الصحافة النمساوية بتقارير صحفية عن الحرب الأهلية الأمريكية (٣) .

والمقطع الذى ذكرناه مأخوذ من تقرير عن معركة نوفار فى عام ١٨٤٩ — ويعرض كارل ماركس فى هذا المقطع ، فى بضع كلمات ، أكثر نظريات الحرب ثورية . ومع ذلك فكارل ماركس لم يخترع حرب العصابات . فقد شنت هذه الحرب لأول مرة فى الصين ، فى عام ٣٦٠ قبل الميلاد من قبل الامبراطور هوانغ الذى اشتبك فى حرب طويلة ضد سلالة المياو التى يقودها تسى ياؤو . وقد أستخدم الأمبراطور هوانغ العصابات فى هذه الحرب . وتغلب على خصمه (٤) . ولقد رأينا ، بعد ذلك عصابات تقاتل

---

(١) عن كارل ماركس — ١٨٤٩ — انظر كتاب القوى السرية ، فن الحركات السرية — لندن ١٩٥٠ ص ٢٥ . (المؤلفان)

(٢) كارل ماركس . « المسألة الشرقية » (نشرة اليانور ماركس آتشنغ وأدمون آفلين — لندن ١٨٩٧) . (المؤلفان)

(٣) كارل ماركس وفريدريك آنجلس : الحرب الأهلية فى الولايات المتحدة (لندن ١٩٣٧) . (المؤلفان)

(٤) انظر كتاب الصين فى الحرب — شونغ كنغ — المجلد ١١ ، رقم ٤ ، ابريل (نيسان) ١٩٣٩ — صفحة ٨ .

(المؤلفان)

أثناء الثورة الأمريكية والثورة الفرنسية ، كما رأينا حرب العصابات أثناء الحرب الأسبانية فى عام ١٨٠٨ الى عام ١٨١١ ، كما نعلم أيضا أن الفلاحين الروس المسلحين قد حصلوا على انتصارات هامة ، فى عام ١٨١٢ ، ضد القطعات النابليونية المتراجعة . الا أن الانصاف للحقيقة يجعلنا نعترف، بأن كارل ماركس كان أول من فهم الأهمية الكبرى لحرب العصابات .

ولقد أتخذت الاكتشافات العلمية الكبرى مكانها فى ترسانة الحرب الحديثة ، وأصبحت أمرا واقعا عندما وضعت الامكانيات الهائلة للعصابات موضع الاختبار الفعلي على نطاق واسع . وهذا الواقع واقع غريب شاهدناه وتأكدنا من صحته . فعندما طبع كارل ماركس أفكاره عن الحرب الشعبية، كانت تشكيلات القتال تتضمن ثلاثة صفوف من أنساق المشاة : وكان نسق المشاة الأول منبطحا ، والنسق الثانى جاثيا ، والثالث واقفا . وفى هذا الترتيب كانت المشاة تتلقى انقضاضات خيالة تحارب بالرمح والسيف. ولم يكن الناس فى ذلك الوقت يتحدثون كما نتحدث الآن عن حرب الخنادق وعن حرب حركة تجرى بسرعة الحصان الذى يبطىء من سرعته بسبب مائة كيلوغرام يحملها على ظهره وتمثل وزن الفارس وسلاحه وعتاده . ولم تكن قد اخترعت بعد الآليات وسيارات الجيب والدبابات والمدافع ذاتية الحركة والغواصات والطائرات والصواريخ والقنابل الطائرة والرشاشات والرصاص المحرق . ولم تكن الحرب الكيميائية والجراثيمية والرادار والقنبلة الذرية قد عرفت بعد . الا أن أفكار كارل ماركس ، عندما وضعت موضع التطبيق فى أوربا وعلى نطاق واسع ، كان كل عتاد هذه الحرب الحالية قد جرب فى المعركة ، أو كان على وشك أن يستخدم فيها . وفى روسيا ، تعرضت الجيوش الألمانية لخسائر ناجمة عن أعمال العصابات تفوق الخسائر التى سببتها الأسلحة المستخدمة فى ذلك الوقت . وفى ميدان التسليح ، كان فى مكنة الألمان التفوق على خصومهم ، الا أنهم كانوا لا يستطيعون شيئا ضد العصابات ، حتى أن رجلا مثل جوبلز لم يكن يعرف كيف يجابه تهديدا ماكرا كالتهديد الذى تمثله حرب العصابات .

وهكذا فشل جوبلز وهو حى فى مجابهة روح كارل ماركس . ولا يرجع ذلك الى أن جوبلز لم يجرب مكافحة هذه العصابات ، بل على العكس حاول ذلك كثيرا . فقد وعى جوبلز ، أثناء الحرب ، خطر العصابات وعيا كاملا ، فيومياته تشهد بذلك . ولقد كتب فيها ما يلى (١) :

---

(١) يوميات جوبلز (ترجمت ونشرت من قبل لويس — ب . لوشنر ، لندن ١٩٤٨). (المؤلفان).

«٦ مارس (آذار) ١٩٤٢ يشير تقرير صادر عن مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (.S.D) (١) عن الوضع فى روسيا : من المؤكد ان الوضع غير مستقر . ان خطر الأنصار يزداد من أسبوع الى أسبوع ، وتشرف العصابات على مساحات واسعة وتقيم فيها نظاما أرهابيا » .

« ١٦ مارس (آذار) ١٩٤٢ — ازداد نشاط الأنصار بصورة واضحة خلال الأسابيع الأخيرة . فهم يمارسون حرب عصابات منظمة تنظيما جيدا . ومن الصعب القضاء عليهم لأن الطرق التى يتبعونها ، فى المناطق التى يسيطرون عليها تجعل السكان المحليين يخشون من التعاون معنا باخلاص » .

«٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٤٢ — يتطور خطر الأنصار فى المنطقة الروسية المحتلة بسرعة متزايدة . فلقد عانينا كثيرا من الصعوبات خلال الشتاء ، الا أن هذه الصعوبات لم تنته بظهور الربيع . فعلى الجبهة الوسطى ، نسف الأنصار الخط الحديدى فى عدة أماكن بين بريانسك وروسلاو . ان نشاطهم يثير الحيرة والاضطراب» .

وكان جوبلز يستخلص معلوماته من تقارير مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (.S.D) ، وهى مصلحة مشابهة للجستابو . وكثيرا ما كانت هذه التقارير ترسل الى كل القادة النازيين من ذوى المراتب العليا لأنها تشكل المنابع الحيوية لدراسة حرب العصابات فى روسيا . وقد ضاعت كل هذه التقارير ، الا أن مجموعة منها وجدت وقد تخلى عنها أصحابها فى منجم للملح قرب سالسبورغ ، فى النمسا . وسنعود فى معظم الأحيان الى هذه التقارير ، وسنرى أن جوبلز كان بعيدا جدا عن الحقيقة عندما كان يصف حرب العصابات بأنها « حرب مثيرة للبلبلة والاضطراب » . وبرغم رغبة جوبلز العارمة فى ايجاد الوسائل لمجابهة العصابات بنجاح ، الا أنه لم يكن ليستطيع أن يعمل شيئا سوى الاشارة الى أسباب نشاطها . وفى ٢٥ أبريل (نيسان) ١٩٤٢ كتب فى يومياته ما يلى :

« لقد كان الأوكرانيون فى بادىء الأمر مستعدين كل الاستعداد لاعتبار الفوهرر منقذ أوربا ، وقد استقبلوا الجيش الألمانى بمودة واخلاص . الا أن هذا الموقف تحول تحولا كاملا أثناء الأشهر التالية . فقد سببت الطرق المتبعة من قبلنا استياء الروس والأوكرانيين بصورة خاصة . اذ لا يتقبل هذان الشعبان الشراسة والعنف » .

---

(١) مصلحة الأمن العسكرى للرايخ : أو Sicherheits diers ويرمز لها بالحرفين (S.D) .
(المعربان)

وفى الشهر التالى ، وفى ٢٢ مايو (مايس) ١٩٤٢ ، عاد جوبلز الى نفس الموضوع ، وكتب ما يلى : « انى أرى شخصيا ، ان علينا أن نغير طريقة معاملتنا لشعوب الشرق . وباستطاعتنا التقليل الى حد كبير من خطر العصابات لو نجحنا فى كسب ثقة هذه الشعوب . ان اتباع سياسة ملائمة تجاه الفلاحين وازاء الكنيسة كفيل بصنع المعجزات . وقد يكون من المفيد أيضا اقامة حكومات مؤقتة فى مختلف المناطق ، تصبح مسؤولة عن كل التدابير السيئة وغير الشعبية » .

وكان جوبلز يؤمن كثيرا بتطبيق سياسة « اليد الحديدية المختفية فى قفاز من الحرير » فى البلاد المحتلة ، الا أنه كان يفكر ويتفلسف بعد فوات الأوان ، وهو أمر سهل جدا ، سوى انه لا يؤدى الى أية نتيجة . فمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) ، والعناصر النازية الأخرى استقطبت عداء الشعب السوفييتى . ويبدو ان جوبلز نفسه لاحظ ان الوقت متأخر جدا للتراجع الى الوراء . وعلى كل حال ، فلم يكن جوبلز صادقا عندما كان يدعو الى اللين مع السكان المحليين . لأنه عاد فنصب نفسه محاميا عن العنف دون تحفظ . فكتب فى ٤ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٣ ما يلى : « لقد تلقيت تقريرا عن الوضع فى الشرق .. اننا ارتكبنا فى الشرق خطيئة كبرى بعدم اجلائنا كل السكان الذكور من المناطق التى صممنا على التخلى عنها .. اذ ان السوفييت قاموا فورا بتجنيد كل الرجال فى جيشهم حتى ان معظم هؤلاء الرجال لم يلبسوا البزة العسكرية ، بل وضعوا فقط وبكل بساطة شارة الساعد الحمراء . وبهذا الشكل البسيط تمكن ستالين من تجنيد ٤٠٠٫٠٠٠ الى ٥٠٠٫٠٠٠ جندى بالاضافة الى قواته . وحين نترك السكان الرجال على مقربة من الجبهة لا نستطيع تحاشى تشكيل وحدات من العصابات ، كما اننا نعجز عن تجنب الأخطار التى تنتج عنهـــا » .

وسواء أكانت المعلومات تصل الى جوبلز بصورة سيئة أو حسنة ، فان اطلاعه عليها بشكل جيد هو أقرب الى الواقع الا ان « جوبلز » لم يكن يريد أن يظهر وكأنه المحرض لسياسة كانت الجيوش الألمانية المتراجعة تمارسها منذ زمن طويل دون أن تحصل مع ذلك على الأثر المنشود . ومع هذا بقيت المشكلة بالشكل التالى : ان القضاء على العصابات مشـــكلة شاقة وعسيرة على « جوبلز » الذى أساء تقدير خصمه فلم يتمكن من اتخاذ التدابير الضرورية فى الوقت الملائم .

كان «جوبلز» يحمل شهادة الدكتوراه فى الفلسفة وقد درس التاريخ

والفنون والأدب . وارتاد أشهر الجامعات الالمانية فى ذلك الوقت ؛ ولا بد أنه قرأ كثيرا فى تلك الحقبة ، وكان يعتبر نفسه خبيرا فى الحرب النفسية، وكنا نميل الى الاعتقاد بأنه خبير فذ فى هذا المضمار . وكان من المعتقد أنه الزم نفسه والزم موظفيه فى وزارة الدعاية والتربية بدراسة تعاليم الزعماء الشيوعيين القدماء دراسة عميقة ليستخلصوا منها أستنتاجات عملية عن ادارة الحرب . ومن المعتقد انهم قاموا بذلك قبل أن تهاجم المانيا الاتحاد السوفييتى . ويبدو أن جوبلز قد افتقر الى الفراسة فى هذا الموضوع . فلم ينس موظفو الدعاية الألمان دراسة عقائد كارل ماركس فحسب ، بل أهملوا كل ما قاله وكتبه ماوتسى تونج ولينين وستالين حول هذا الموضوع .

وتزداد الدهشة أكثر فأكثر اذا علمنا أن الألمان كانوا قد أصطدموا بالجنود غير النظاميين Francs Tireurs أثناء الحرب الفرنسية – الألمانية من ١٨٧٠ – ١٨٧١ الا أن كتب التاريخ الألمانى لم تخصص لهؤلاء الجنود فى الحرب السرية الا بضعة جمل تصف فيها هذه الحرب بأنها حرب غير شرعية . وكان لينين يفكر بطريقة مختلفة : « لقد اظهرت أساليب حرب العصابات التى هى أساليب مجربة ومقبولة انها كثيرة الفاعلية أثناء ثورة ١٩٠٥ كالاضرابات الدائمة ، وأتعاب الخصم بالقتال أمام الحواجز المنتشرة فى كل مكان » (١) . ونحن نعلم من ستالين نفسه أن وسائل مشابهة لهذه الوسائل أستخدمت فى أيام ثورة ١٩١٧ .

وبينما نجد لينين يعتبر حرب العصابات حربا « كبيرة الفاعلية » نرى أن ستالين يزايد عليه ، فيعتبرها حربا « حاسمة » ، ولا يتردد فى التأكيد على أن الشيوعيين لم يستطيعوا قلب كيرنسكى ولا الحفاظ على السلطة الا بفضل مساعدة الأنصار . وفى ٢٣ (نيسان) ١٩٢٣ ، قال ستالين فى تقرير شفوى قدمه الى المؤتمر الثانى عشر للحزب الشيوعى الروسى ، عن « العوامل القومية فى الحزب فى تطور الدولة » ، قال ستالين ما يلى :

« أيها الرفاق !! علينا أن لا ننسى أننا استطعنا القضاء بسرعة على كيرنسكى وقوضنا الحكومة المؤقتة لأننا كنا مؤيدين بالثقة التى منحتنا اياها الشعوب المستعبدة . فقد كانت هذه الشعوب تنتظر تحريرها على أيدى البروليتاريا الروسية . فلا ينبغى أن نهمل هذه القوة التى تشكلها

---

(١) من مؤلفات لينين ، حول هذا الموضوع ، انظر كتاب ميكشه ، الصفحة ٢٦ ، ٢٧ ، المجلد الأول . « القوى السرية أسلوب الحركات السرية لندن ١٩٥٠ » .

(المؤلفان)

الشعوب المضطهدة والصامتة ، فصمتها يمارس غالب الأحيان بنفسه ضغطا هائلا وحاسما . ونحن لا ننتبه الى ذلك دائما ، الا أن هذه الشعوب موجودة وينبغى أن لا ننساها . ومن الخطر أيها الرفاق ، أن لا نتذكر ذلك . فلنتذكر أننا كسبنا ولاء الشعوب المضطهدة ، وبفضل هذه الشعوب تفككت مؤخرات كولتشاك ودينيكين ورانجل ويودينيتش . ان هذا الولاء عامل أساسى فى تطورنا » .

« ان أحدا لا يرى هذا الود وهذا الولاء ، كما أن أحدا لا يسمعه . ومع ذلك ، فهو يقرر كل شىء ، فلو لم نعرف كيف نربحه لما استطعنا القضاء على هؤلاء الجنرالات . فبينما كنا نتقدم ضدهم ، كانت مؤخراتهم تذوب وتضمحل . لماذا حدث كل هذا ؟ حدث كل هذا لأن هؤلاء الجنرالات كانوا يعتمدون على العناصر الحاكمة المتمركزة لدى القوزاق ، ولأنهم لم يقدموا للشعوب أى أمل فى المستقبل سوى الظلم المستمر . وبهذا الشكل دفعوا هذه الشعوب بأيديهم ، بين أحضاننا ، نحن الذين نمسك راية الحرية عالية خفاقة . وكان للدور الذى لعبته تلك الشعوب أثر فى أنهاء مصير خصومنا . وفى دور الشعوب هذا يكمن العامل الذى يقرر كل شىء ، مع طول الوقت . ان بريق انتصار أسلحتنا قد حجب هذا الدور ولكن علينا أن نتذكره دائما » (١) .

ولم ينس ستالين ولا مستمعوه ذلك . فأعيدت مناقشة المسألة فى مؤتمر الأممية الشيوعية فى موسكو فى أغسطس (آب) ١٩٢٨ . وتوصلوا فى بحث هذه المسألة الى الاستنتاجات التالية : « تحويل الحرب الناشبة ضد الدول الأمبريالية الى حرب أهلية تخوضها البروليتاريا ضد البورجوازية ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا ، وتطبيق الاشتراكية بواسطة تمرد الجماهير فى المؤخرات ، والتآخى فى الجبهة .

« يمكن تحويل الحرب الامبريالية الى حرب أهلية ، بواسطة وسيلة ، هى أولى الوسائل ، وهى تمرد الجماهير الثورى .. وعلى الشيوعيين أن يستفيدوا من هذه الحركات الجماهيرية لتشكيل جماعات من الأنصار يشنون الحرب الأهلية فورا ، اذا سمح الوضع بذلك . وينطبق هذا بصورة خاصة على البلدان التى تتسم بتيار ثورى قومى قوى . وعندما تعلن الحرب فى مثل هذه البلدان ، وبصورة خاصة فى حالة حرب ضد

---

(١) جوزيف ستالين : « الماركسية والمسألة القومية وقضية الاستعمار » .. مجموعة مقالات وخطب (لندن بدون تاريخ ، صفحة ١٥٤ – والصفحات التالية ...)
(المؤلفان)

الاتحاد السوفييتى ، على الشيوعيين ، اذا كان الوضع يسمح بذلك ، أن يحركوا أو يحرضوا على التمرد ، وأن يشكلوا فورا وحدات من الأنصار الثوريين الوطنيين » (١) .

وقد فتحت بهذا الشكل أبعاد وآفاق جديدة لحرب العصابات . فقد كان من المعتقد أن الروس قد يشرعون بعمليات من هذا النوع على أرضهم فى حالة الغزو ، الا أن على الرفاق الشيوعيين أيضا ، فى البلدان الأخرى ، أن يقاتلوا أيضا لحساب السوفييت بزج أنصارهم ضد جيوش بلادهم . وبعبارات أخرى ، لو نشبت الحرب بين الاتحاد السوفييتى وبريطانيا فان من واجب الشيوعيين الانجليز مقاتلة الجيش البريطانى والشروع بعمليات العصابات ضده . وقد قال ستالين : «ان علينا أن نتذكر ذلك» . ومن واجب الغربيين أن يتذكروا ذلك أيضا .

وقد عاد ستالين الى نفس الموضوع فى عام ١٩٣٤ . فتبنى نظرية حرب الأنصـــار وجعلهـــا نظريته ، الا أنه فى هذه المرة ، لم يتوجه الى رفاق المؤتمر ، بل توجه الى العالم كله حينما قال : « ان هذه الحرب ستكون أخطر الحروب ضد البورجوازية ، لأن مثل هذه الحرب لن تخاض فى الجبهة فقط ، ولكنها ستجرى أيضا على المؤخرات المعادية . فليس للبورجوازية أن تتوهم وأن تغتر ، لأن أصدقاء الطبقة العاملة الروسية المنتشرون فى أوربا وآســـيا ، ســـيضربون مؤخرات الذين ظلموهم واضطهدوهم » (٢) .

ان « أصدقاء الطبقة العاملة الروسية » معروفون تحت أسم آخر ، وهو أنصار السلام . أفلم يصرح السنيور تيراسينى ، وهو شخصـــية مشهورة فى العمل من أجل السلام ، وعضو شيوعى فى البرلمان الايطالى ، أفلم يصرح فى عام ١٩٥١ قائلا : « اذا انفجرت الحرب فان أنصار السلام ، يعرفون أين يدعى داعى الواجب ، لأنهم هم أيضا أنصار الحرب عندما يتطلب الأمر الدفاع عن الحرية » (٣) .

---

(١) راجع كتاب « الاتحاد السوفييتى والقانون الدولى / نيويورك / ١٩٣٥ / ص ١٣٩ ١٤١ / تأليف ت . أ . تراكوزيو .
(المؤلفان)

(٢) جوزيف ستالين : تقرير الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفييتى ، قدم الى المؤتمر السابع عام ١٩٣٤ . (المؤلفان)

(٣) نشر هذا التصريح فى لندن أوبسرفر ، يوم الأحـــد ، ١ أبريل (نيسان) ١٩٥١ : ص ٥ .

اذن فان أنصار السلام فى كل بلاد العالم هم فى رأى حكام البلاد الغربية «عناصر متعاونة مع العدو» (١) . وقد رأينا فى الحرب الأسبانية الرتل (الطابور) الخامس يحاول بعمله السرى ، فى داخل مدريد نفسها تخريب التنظيم الدفاعى الذى كان يقف فى مواجهة أرتال فرانكو الأربعة العاملة فى الخارج بهدف الاستيلاء على العاصمة . ولقد كانت الحرب هنا حرب أسبانيين يقاتلون ضد الأسبانيين فى حرب أسبانية صرفة (٢). وفى غضون الحرب العالمية الثانية ، عرفنا كثيرا من أمثال كيسلنغ ممن فتحوا أبواب وطنهم للأجنبى وأرهبوا أبناء جلدتهم من المواطنين . الا أن أتباع كيسلنغ نفسه ، أحجموا عن القتال ضد القوات المسلحة لبلادهم . أما أنصار السلام فيعرفون جيدا ما ينبغى عمله : انهم سيفتتون تنظيم مؤخرات القوات العسكرية الوطنية لبلادهم وسيحرضون على الحرب الأهلية ، وسيقومون بتشكيل وحدات من العصابات ، يقال عنها وحدات

---

(١) يقاوم انصار السلام الحروب غير العادلة كالحروب الاستعمارية والعدوان على حريات الشعوب الآمنة . وهم لا يقفون مكتوفى الأيدى أمام هذه الحروب بل يشجبونها باعتبار أنها فى رأيهم عدوان على الحريات والسلام فى كل مكان . (المعربان)

(٢) يغالط الكاتب هنا مغالطة فادحة ، فالحرب الأسبانية ، كما يعرف الجميع ، لم تكن حربا أسبانية بل كانت حربا أوروبية ، وصراعا أيديولوجيا تدخلت فيه معظم الدول الأوروبية لدعم الجمهوريين أو جماعة فرانكو . ويعرف الجميع كيف تدخلت ايطاليا ثم حلت محلها المانيا فى دعم فرانكو ماديا ومعنويا ، حتى أن المانيا استخدمت فى الحرب الأسبانية قطعات نظامية وخبراء فنيين لتجربة الأسلحة الألمانية الحديثة ومدى فاعليتها فى القتال . ويقول الجنرال فولر فى كتابه الحرب الميكانيكية : « وفى أسبانيا جرب الألمان التعاون التكتيكى بين طائرات الانقضاض والمدفعية المضادة للطائرات والدبابات » . كما يعرف الجميع أيضا كيف اشترك عدد كبير من أنصار الحرية والجمهورية من الفرنسيين والايطاليين وغيرهم فى القتال والدور الذى لعبته بريطانيا خلال الحرب الأسبانية . ويقول الجنرال نمولر فى كتابه الآنف الذكر : « ولما اندلعت الحرب الأهلية الأسبانية فتحت فرنسا أبواب مخازنها العسكرية لجيوش الثوار الاشتراكيين . ولقد شاهدت بأم عينى أعتدة فرنسية تساوى عدة مليارات مبعثرة فوق حقول المعركة فى آراغون .. » ويؤكد ليدل هارت هذه الحقائق فى كتابه الاستراتيجية وتاريخها فى العالم اذ يقول : « وبدأ هتلر فى أسبانيا حربا خفية واشترك مع ايطاليا فى مساعدة فرانكو على قلب حكومة الجمهورية الأسبانية » ، ولم نعرف قبل اليوم كاتبا عسكريا تجاهلها ولم يعتبرها نوعا من الحروب التى يسميها الجنرال بوفر « صراعا عن طريق شخص ثالث » . ان مغالطة الكاتب التاريخية هنا تشابه مغالطة الأمريكيين اليوم الذين يريدون اقناع العالم عبثا ان الصراع فى كوريا كان بين الكوريين ، وان الصراع الدائر الآن فى فيتنام صراع بين الفيتناميين أنفسهم ، وما قوات الأمريكيين وحلفائهم سوى قوات جاءت لمساعدة الحكومة الشرعية . (المعربان)

قومية ثورية ، سيقاتلون بها داخل بلادهم « لانهم كأنصار للحرب يعرفون واجبهم في الدفاع عن الحرية عندما يقتضي الأمر » (١) .

ولم تكن عصابات الأنصار قد حققت بعد أية انتصارات واضحة حتى عام ١٩٣٤ ، وهي الفترة التي أطلق فيها ستالين تهديده المثير للقلق . فلقد كان عمل العصابات وتأثيرها على مجرى الحرب العالمية الأولى تأثيرا لا قيمة له . فالأعمال الرائعة التي قام بها الكولونيل لورانس برغم رومانتيكيتها ، لا تبدل هذا الرأي أبدا (٢) . فيبدو ان العصابات لم تتدخل الا في روسيا . ومع ذلك ، ودون أن يحترس الغرب ، كان هناك شيء جديد يحدث في الصين حيث كانت تنشب حرب عصابات تسمح بتوقع بقية الأحداث . كان ماوتسي تونج هو الذي حول حرب الأنصار ، من حرب تعتبر الى حد ما تجربة نظرية بحتة أو خطابا في مؤتمر ، الى حرب مخططة ميدانيا ، ومصممة للحصول على النتيجة الحاسمة بواسطة العصابات . وقد أضاف ماوتسي تونج نفسه كثيرا من الأشياء على ما كان مكتوبا حتى الآن على الجدران . وطبعت تصريحاته واضافاته في كتاب أضحى بعد ذلك أكثر الكتب رواجا في الأسواق العالمية .

وفي هذه الغضون ، كان ماوتسي تونج مجهولا من قبل معظمنا ، الا انه كان الزعيم الذي يعترف به الشيوعيون الصينيون . فمنذ عام ١٩٢٧ ،

---

(١) ان مقاومة كيسلنغ ، وتعاونه مع الألمان الفاشستيين عند غزو النرويج وتشبيهه بالأنصار الذين يقاتلون وراء خطوط الجيوش المشتبكة في حروب غير عادلة وضد مصلحة الجماهير أمر مغرق في الخطأ . ان الفاشستية عدوة للشعوب والنظام النازي كله عدو للشعوب ، يريد اخضاعها واستغلالها لمصلحة ألمانيا الهتلرية فقط ، ولرخاء الشعب الألماني ، وفتح مجال اقتصادي أوسع لنشاط الصناعة الألمانية ، ولا يمكن مقارنة المتعاونين معه بالمتعاونين مع الأنصار العاملين لمصلحة الشعوب ، والذين لا يستطيعون القيام بأي نشاط ان لم يكونوا مثلا متلاحمين مع الجماهير أكبر تلاحم . (المعربان)

(٢) انظر ميكشه ، ص ٢٩ ، وبخاصة أعمال عصابات الكولونيل لورانس (أعمدة الحكمة السبعة) وراجع ليدل هارت في كتاب (استراتيجية التقرب غير المباشر) « لندن ١٩٤١ » ، ولم يلاقي الألمان في الحرب العالمية الأولى عصابات الا في ليتوانيا . (المؤلفان)

تعليق :

ان حرب العصابات العربية التي تمت بقيادة لورانس في الصحراء الشرقية والجنوبية كانت كفاحا من أجل الاستقلال ، وجزء من حملة الحلفاء ضد تركيا . وقد ساعدت هذه العمليات على اضعاف القوات المحاربة التركية ، وكان لها تأثير أكيد على سير العمليات – انظر كتاب ليدل هارت – الاستراتيجية وتاريخها في العالم – ص ٢٥٨/٢٥٩ تعريب المقدم الهيثم الأيوبي منشورات دار الطليعة – بيروت. (المعربان)

كان الجيش الأحمر الصينى هو أخطر الأعداء الداخليين لتشانغ كاى تشيك ، ويدين هذا الجيش الأحمر بانتصاراته الى حرب العصابات التى كان يخوضها على نطاق واسع جدا . واعتبارا من عام ١٩٣٧ أضحى الجيش الأحمر الثامن أشهر تشكيلات القتال فى الجبهة الموحدة مع تشانغ كاى تشيك ضد اليابانيين بسبب تجربته فى حرب العصابات . فعندما كان ماوتسى تونج يتكلم عن العصابات ، كان يعرف ماهية هذه الحرب . ويمارسها معتمدا على تجربة فريدة فى هذا العصر . وينبغى أن يعتبر ماوتسى تونج اليوم الاستراتيجى الأول فى حرب العصابات .

فقد جعل الصينيون من « حرب العصابات » المعتبرة حتى ذلك الوقت تابعا بسيطا للتكتيك العسكرى ، حقيقة استراتيجية مستندة الى المقاومة الشاملة والمستمرة للجماهير . وفى مؤلفات كارل ماركس وجد ماوتسى تونج الفكرة الأساسية لتكتيكه واستراتيجيته . فقوة عسكرية ضعيفة لا تستطيع مجابهة عدو متفوق الا بمعونة العصابات . وقد قال ماوتسى تونج ما يلى : « ان القوة العددية ، والمستوى التقنى لجيشنا أقل بكثير مما لدى الخصم (١) . ومساحة الأرض التى نمارس سلطتنا عليها مساحة ضيقة جدا حتى الآن .. فتطوير برنامجنا على أساس هذه القواعد ، يعنى الاعتراف بصورة صادقة بطابع العصابات الذى يطبع الجيش الأحمر الصينى .. فهذا الطابع هو الميزة الأساسية لجيشنا ، وهو ميزة تتيح لنا امكانية قهر العدو » .

ويعتبر ماوتسى تونج حرب العصابات حربا تقوم على المرونة فى العمل لا أقل ولا أكثر . وقد توقع هذا الرجل ثلاثة مراحل فى الكفاح ضد اليابان . تتميز المرحلة الأولى بتقدم اليابانيين وبمناورة الصينيين تراجعيا . ويشتمل الدفاع ضدهم على « مناورات هجومية سريعة جدا ، وتجمعات وانتشارات مفاجئة للقوات الصينية » فالحرب اذن حرب حركة تجرى على مساحات واسعة وليست حرب خنادق (٢) . ففى حرب الحركة هذه « ينبغى أن يكون لدينا ثقة كبيرة فى استخدام الأنصار والعصابات .. وينبغى أن تقاد استراتيجيتنا وتكتيكنا ، فى المرحلة الأولى من الحرب بشكل نتجنب معه المعارك الدفاعية الكبرى ، وأن يكون هدفنا

---

(١) استراتيجية الحرب الثورية (باريس ١٩٥٠ ، ص ١٠٥ ، طبع فى الصين فى عام ١٩٣٧ . (المؤلفان)

(٢) تصريح ماوتسى تونج لادجارسنو ، فى ١٦ يوليه (تموز) ١٩٣٦ . (المؤلفان)

هو تحطيم معنويات الخصم وروحه القتالية وفعاليته العسكرية بصورة تدريجية » . والشيء الأساسي هو الحفاظ على سلامة الروح المعنوية الصينية . « ففي حربنا ، يشكل الشعب المسلح والجيش الأحمر ذراعي رجل واحد . ومعنويات الشعب هي معنويات الأمة المسلحة . وهذا بالضبط ما يخشاه العدو » (١) .

ان الهدف الرئيسي للحرب هو تدمير القوات المعادية المقاتلة كما فسر ذلك ماوتسي تونج . فليس المهم هنا الاستيلاء على مدن أو مواقع وحراستها (٢) . فالمرحلة الثانية من حرب العصابات لا تبدأ الا بعد أن تتضاءل القوات المسلحة المعادية أثناء المرحلة الأولى ، وهذه المرحلة هي مرحلة الانهاك ، يقول ماو : « ينبغي أن يضايق العدو باستمرار وبشكل متصاعد .. وعلى وحدات العصابات ، المنظمة جيدا ، والمقادة بمهارة أن تجمد اليابانيين أربعا وعشرين ساعة في اليوم ، حتى مرحلة الانهاك الكامل » . ولهذا السبب كما يقول ماو : « ينبغي علينا أن ننظم ونغذي عددا كبيرا من مفارز العصابات من بين الفلاحين ، وأن نؤطرها ، ونربيها سياسيا ونجهزها بالعتاد اللازم .. » « كما ينبغي أن نتذكر ان الحرب ستجرى في الصين ، أي ان على اليابانيين أن يعيشوا وسط شعب معاد لهم . وسيضطرهم هذا الوضع الى جلب كل تمويناتهم من خارج البلاد ، وحراستها بوضع قطعات على طول خطوط مواصلاتهم ، كما انهم سيكونون ملزمين بابقاء مواقع هامة لهم في منشوريا .. وعندئذ تحين اللحظة التي يصبح من الممكن فيها منع الجيوش اليابانية من الحركة ، بزجها في حرب المواقع . في هذه اللحظة يتحدد منعطف الحرب » .

«وبعد أن تنتهي المرحلة الثانية من الحرب بنجاح نقوم بحرب الحركة . ويقوم الصينيون بالهجوم المعاكس عندما يتعب اليابانيون وتنهد قواهم . ويقوم رجال العصابات بالاشتراك في العمليات متابعين تكتيك الازعاج والمضايقة بقطع الانسحاب على الوحدات المعادية » .

وكانت أهم مساهمة لماوتسي تونج في حرب العصابات هي كتيب طبع في الصين عام ١٩٣٧ بعنوان : حرب العصابات . الا أن هذا الكتيب لم يطبع

---

(١) انظر استراتيجية الحرب الثورية في الصين ، ص ١٠١ .

(المؤلفان)

(٢) من تقرير موجه من ماوتسي تونج الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في ٢٥ ديسمبر (كانون اول) ١٩٤٧ .

(المؤلفان)

فى انجلترا أو فرنسا أو ألمانيا ، ولا يوجد من هذا الكتيب أية نسخة فى بريطانيا بالانجليزية أو بلغة الكتاب الأصلية . ثم ترجم هذا الكتيب الى اللغة الانجليزية من قبل الكولونيل الأمريكى جريفيث ، وهو من رجال الرماة البحارة الأمريكيين . ونحن مدينون بالعرفان للكولونيل جريفيث الذى تفضل ووضع تحت تصرفنا نسخة من عمله . وفى هذا المؤلف الذى سنعتمد عليه ونرجع اليه تعتبر حرب العصابات لأول مرة جزء لا يتجزأ من العلم العسكرى (١) .

ويرى ماوتسى تونج ان على هذه الحرب أن تساهم فى الحصول على النصر . وينبغى أن توضع كل منطقة من المناطق بامرة قائد عسكرى ومفوض سياسى . وتقسم المنطقة نفسها الى أقسام ، يقود كل قسم منها ضابط وعدة مفوضين سياسيين ، ينظمون مراكز القيادة العسكرية والسياسية التى ترتبط بها مفارز الأنصار . ولكن ، بما ان تشكيلات الأنصار تعمل غالبا بصورة مستقلة ، فلا ينبغى أن يكون الاشراف مركزيا على مستوى عال جدا ، بل يجب أن يكون هذا الاشراف محليا ، ويتم من قبل الرؤساء المحليين ، بينما تبقى الادارة الاستراتيجية بيد السلطات الأعلى . وهذه الاستراتيجية هى واحدة بالنسبة لجميع المناطق .

وسنرى ان الأنصار السوفييت قد طبقوا هذا التنظيم .

وتبعا لآراء ماوتسى تونج : « ينبغى أن تكون جميع نشاطات العصابات ملحقة وتابعة لنشاط القطاعات النظامية . حقا ! ان العصابات سلاح قوى ، الا انه لا يستطيع مع ذلك الادعاء بالتغلب على العدو لوحده . ومن الحقيقى أيضا انه لا يمكن التغلب على العدو دون تدخل العصابات . فالجيش النظامى هو الذى يلعب الدور الرئيسى وعلى العصابات أن تساعده فى انتزاع النصر . ولهذا فان تعاونا وثيقا بين العصابات والجيش النظامى ، هو تعاون ضرورى فى كل لحظة وبخاصة فى منطقة القتال » (٢) .

---

(١) فى عام ١٩٦٧ أصدرت دار الكاتب العربى — القاهرة — ترجمة عربية لهذا الكتاب ، كما أصدرت منشورات اللغات الأجنبية فى بكين « كتابات ماوتسى تونج العسكرية » بالفرنسية والانجليزية عام ١٩٦٤ . (المعربان)

(٢) هذا الموضوع جدير بالتعليق والتوضيح .. فبعد أزمة العدوان فى ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ كتبت بعض الأقلام ، وارتفعت بعض الشعارات داعية الى حرب شعبية تارة والى حرب تحرير تارة أخرى ، والى حرب عصابات . فباعتراف ماوتسى تونج نفسه ، لا تربح العصابات الحرب لوحدها دون مساعدة جيوش نظامية . الا ان حرب العصابات حقيقة استراتيجية ، ويمكنها أن تساهم بالنصر الى جانب الجيوش النظامية ، بقيامها بعمليات تستهدف اضعاف الروح المعنوية لدى الخصم ، وتدمير =

ويمكننا أن نفهم هنا انه لكى نحقق هذا التعاون ، ينبغى أن تتلقى العصابات الأوامر من قيادتها العامة الخاصة بها ، ومن قيادة الجيش أيضا . وقد تم تشكيل الأنصار السوفييت طبقا لهذا المفهوم الذى وضعه ماوتسى تونج . ويرى (ماو) أيضا ، ان على الأنصار أن لا ينسوا ان التعاون مع الجيش ضرورى جدا لتنفيذ مهماتهم . فدورهم هو نقل الحرب الى مؤخرات العدو ،.وتوسيع عمق ساحة المعركة بهذا العمل . فمن واجبهم تدمير الوحدات المعادية الصغيرة وازعاج الوحدات الكبيرة ، وتخريب معنويات الخصم ، ومهاجمة خطــوط تموينه واقامة قواعد لوحدات العصابات . وبهذا الشكل تجبر هذه الوحدات خصمها عــلى توزيع قواته باستمرار فى عدة أماكن . كما انها تقلب مؤخرات العدو الى جبهة أخرى . وفى مثل هذه الشروط ، لا تستطيع القطعات المعـــادية الصمود لوقت طويل أمام الأنصار . ويصبح هؤلاء الأنصار كما قال ماوتسى تونج نفسه : « أشبه بعدد لا يحصى من البعوض تهاجم عملاقا وتلدغه فى كل مكان بآن واحد » وهذا ما فعله السوفييت بالضبط وما أســماه ستالين بجبهته الثانية .

ان استراتيجية الأنصـــار مختلفة بالطبع عن استراتيجية الجيش النظامى . وقد فهم ماوتسى تونج ذلك فهما جيدا . فالأنصار لا يشتبكون أبدا فى حرب مواقع ، ولا يخوضون أبدا معارك حاسمة . فالمعارك التى يمارسونها تتسم بالمفاجأة والحركة . ومن أول كتاب (ماو) الى آخره ، نجد نصائح موجهة للأنصار والعصابات . ويمكن تلخيص هذه النصائح بما يلى :

١ ــ تجنب الاصطدام بقوات متفوقة . اذا حدث أن اصطدمت العصابات بقوات تتفوق عليها ، فمن واجبها أن تنسحب عندما يتقدم العدو ، وأن تضايقه عندما يتوقف ، وأن تهاجمه عندما يحل به التعب ، وأن تطارده عندما يتراجع .

٢ ــ ان المفاجـــأة هى الشرط الأساسى لنجـــاح كل عمليات حرب العصابات .

٣ ــ ينبغى أن تهيأ العمليات الهجومية وتعد باعتناء . وعلى الأنصار أن يعملوا ببديهتهم الخاصة .

= نقاطه الحيوية ، وانهاكه على أن تكون هذه العمليات مدروسة ضمن اطار كل مسرح من مسارح العمليات العربية وان ترافقها قوة رادعة على الحدود العربية ، تمنع الاعتداء على القواعد الموجودة على الحدود . وتحمى هذه القواعد من الضربات الانتقامية .

(المعربان)

٤ ـ ينبغى أن تحشد القوات ضد أضعف وحدات العدو . وقد أعلن هذه القاعدة بنغ تى هواى اذ قال ما يلى : « على العصابات أن تكون متفوقة دوما عدديا فى اشتباك طبيعى مع القطعات المعادية ، ولكن عندما تكون قطعات العدو فى حالة الحركة ، أو فى وضع الاستراحة ، أو فى وضع سيىء الحراسة ، فان باستطاعة جماعة من العصابات أقل منها عددا أن تقوم بهجوم جانبى سريع وعنيف ينفذ بغتة على نقطة من نقاطها الحيوية أو على خط مواصلاتها » (١) .

٥ ـ توجيه ضربات عنيفة وسريعة كالبرق والتفتيش عن نتيجة خاسمة صاعقة .

٦ ـ اذا كانت الظروف غير مواتية لنا ، فيجب أن نعمد الى التنقل والانتشار الفورى . وتنطبق هذه القاعدة على وحدات العصابات المطوقة ، أو عندما لا تكون الأرض ملائمة لهذه الوحدات ، أو يكون تموينها غير كاف .

٧ ـ الا أن على العصابات أن تتجمع عندما يسير العدو باتجاهها وأمامها فرصة سانحة لتدميره .

٨ ـ استخدام القوة ، وعلى العصابات أن تكون معلمة فى فن خداع العدو . فعليها أن تنظم نفسها لتجعل العدو يعتقد ان الهجوم سيأتى من الشرق أو من الشمال ، بينما تتجه هى الى الغرب أو الجنوب . وتبعا لكلمات بنغ تى هواى : « التظاهر بالهجوم باتجاه الشرق ، فى حين يجرى الاشتباك فى الغرب » ..

ولنلاحظ هنا بصورة عابرة ، أن بنغ تى هواى قد أضحى القائد العام « للمتطوعين الصينيين » فى كوريا بعد خمسة عشر عاما ، حيث طبق أساليبه عمليا .

٩ ـ اجراء التحركات بصورة سرية دوما .

١٠ـ ان تعاون الأنصار مع السكان المدنيين أمر أساسى وحيوى لاقامة القواعد . ويضيف بنغ قائلا : « وحتى عندما تتفوق حركية العصابات على حركية خصومهم فان العصابات لا تستطيع أن تعيش بدون السكان المحليين ، لأن هؤلاء يقدمون للعصابات جهازا كاملا

---

(١) حديث ادجار سنو مع بنغ تى هواى .

(المؤلفان)

للاستعلام عن العدو تستفيد منه بدرجة كبيرة . وينبغى أن ينتمى كل السكان الى جهاز الاستعلام السرى . وعندما ينتمى كل السكان الى مثل هذا الجهاز ، يكون عمله مثاليا لأن الخصم يغدو عاجزا عن القيام بأية حركة دون أن يكون الأنصار على علم فورى بها » .

وسنرى فيما بعد الى أية درجة عدل تكتيك الأنصار السوفييت استنادا الى هذه الطرق ، وقد فهم ماوتسى تونج أيضا ان حرب العصابات ليست محدودة بالصين نفسها اذ قال : « علينا أن نلاحظ ان حرب الأنصار التى تجرى فى الصين حاليا ، لا سابقة لها فى التاريخ . ولا يصلح المثل الذى تضربه هذه الحرب للصين فحسب فى حربها ضد اليابانيين ، بل سيكون لهذه الحرب آفاق عالمية » .

ولم يبتعد ماوتسى تونج أبدا عن المبادىء التى وضعها . فقد أكد بعض هذه المبادىء ، مرة أخرى ، فى تقريره الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الصينى فى ٢٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٧ . وان وضع مخططاته موضع التنفيذ كان سببا فى هزيمة تشان كاى تشيك ، كما أتاح هذا التنفيذ اقامة نظام شيوعى فى الصين .

ولن نقوم هنا بوصف ما فعله الأنصار خلال تلك المعركة . فمن يعنيهم ويهمهم مثل هذا الموضوع يستطيعون مراجعة مقدمة كتاب « استراتيجية الحرب الثورية فى الصين » . وقد تنبأ هتلر بنتائج هذه المعركة . ففى ١٨ فبراير (شباط) ١٩٣٨ ، أعلن هتلر عن وده لليابانيين ، وأذاع اعتراف ألمانيا بحكومة منشوريا ، وقد صرح آنئذ بما يلى : « انى لا أعتبر الصين قوية بدرجة كافية ماديا ومعنويا لمقاومة الجهود التى تبذلها البلشفية .. » .

وانصافا للحقيقة التاريخية ، نضيف هنا ان هتلر لم يتوقع تسلسل ما حدث بين عام ١٩٣٩ — ١٩٤٥ ونتائجه على اليابان . فقد ارتكب هتلر نفسه خطأ مميتا بعدم دراسة الطرق المستخدمة من قبل ماوتسى تونج فى كفاحه للاستيلاء على السلطة . وقد قال ماوتسى تونج فى عام ١٩٣٩ ما يلى : « ان من الخطأ الجهل بمبادىء الكفاح المسلح ، والحروب الثورية ، وحروب الأنصار ، والعمل السياسى فى الجيش » .

وفى ٢٢ يونيه (حزيران) ١٩٤١ ، اجتاحت الجيوش الألمانية الاتحاد السوفييتى . وقد اعتبرت المحكمة العسكرية الدولية وقضاة نورمبورغ هذا الاجتياح عملا عدوانيا . الا أن بعض المدافعين أعربوا مع ذلك عن رأيهم القائل « بأن الغزو لم يكن عدوانا غير شرعى ، الا انه عمل دفاعى وقائى » .

والحقيقة ان الاتحاد السوفييتى ، بمجموعه ، لم يكن مستعدا بصورة حسنة لتحمل الصدمة . وكان الاتحاد السوفييتى يفضل أن يرى الانجليز والألمان يتقاتلون فيما بينهم ، بينما يراقب هو الأحداث بعين يقظة . ولهذا السبب ، كان الاتحاد السوفييتى مستعدا لاعطاء ألمانيا كل أنواع الامتيازات والتنازلات ، فيما عدا التنازل عن جزء من أراضيه . وقد اطلعنا على ذلك من مصدر من أفضل المصـــادر الألمانية . ومع ذلك ، فان الاستعداد السوفييتى فى اتجاه اعداد العصابات سار بشكل جيد ، لأنه بعد أحد عشر يوما من بدء القتـال ، وجـــه ستالين أمره المشهور الى شعوب روسيا السوفييتية قائلا فيه ما يلى :

« تنشأ فى المناطق المحتلة من قبل العدو ، وحدات من الأنصار ، راجلة ، وخياله ، وتنظم جماعات للتشتيت ، معدة لقتال القطعات المعادية، وللشروع فى حرب العصابات بتدمير الجسور والطرقات ، وقطع خطوط المواصلات الهاتفية والتلغرافية ، وحرق الغـابات وتدمير المستودعات والقطارات . وينبغى أن تصبح الحياة فى المنطقة المحتلة غير ممكنة للعدو أو للمتعاونين معه . ينبغى أن يطارد العدو ويدمر أينما وجد ، كما ينبغى نسف وعرقلة كل التدابير التى يأمر بها » .

أما الألمان فقد بدأت تحضيراتهم العدوانية فى خريف عام ١٩٤٠ . وفى مطلع عام ١٩٤١ ، وضعت السلطات المسـؤولة الخطط التفصيلية المتعلقة بالعمليات (خطة باربروس) وباستثمار روسيا اقتصاديا (خطة أولدنبورغ) . الا أن رجال هيئة الأركان العامة الألمانية ، رغم انشغالهم مع هتلر وجوبلز بالتفاصيل ، لم يفكروا جديا فى هذا الوقت بالنتائج التى يمكن أن تسببها حرب عامة يشنها الأنصار ، فقد وجه هتلر الأمر التالى : « يدمر الأنصار دون رحمة من قبل القطعات ، سواء أثنـــاء الاشـــتباك أو أثناء محاولات الانسحاب » وكان هتلر يعتقد ان مثل هذا الأمر الموجز كاف لحل مشكلة بمثل هذه البساطة حلا ملائما (١) .

وكما سنرى فى الجزء الثانى من هذا المؤلف ، كانت الأركان العــامة الألمانية تؤمن بامكان ترك تنفيذ هذا الأمر لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) التابعة لهملر .

---

(١) هذا الأمر مستقى من المرسوم الذى أصدره هتلر ، لتنظيم واجبات العدلية العسكرية أثناء عملية « باربروس » فى ١٣ مايو (مايس) ١٩٤١ .

(المؤلفان)

ا

وكانت الفرصة ملائمة لشن حرب عصابات تمتد على طول أوربا المجتاحة . فاذا ما راجعنا كتابات ميكشة وجدناه يقدم فى عرض رائع أربعة أسباب تعمل لصالح الحرب السرية ، ووجدنا أن ثلاثة من هـــذه الأسباب قابلة للتطبيق على الحرب التى خاضها الروس ضد الألمان ، وهذه الأسباب هى :

١ ـ لقد سبب تقدم الاستراتيجية والتكتيك العسكريين امتداد ساحة المعركة بصورة هائلة بشكل يسمح للأنصار بالتسلل اليها .

٢ ـ ترتبط الجيوش الحديثة بالقواعد الصناعية والزراعية التى توجد فى مؤخراتها ، وتتصل بها بواسطة خطوط المواصلات . ان هذا الوضع يجعل الجيوش فى الميدان معرضة لضربات الأنصار .

٣ ـ لقد سمح تطور الطيران واللاسلكى باقامة اتصالات أكيدة وبتأمين التموين .

وبسرد تاريخ حرب الأنصار السوفييت هنا ، نعتمد غالبا على وثائق المانية وقعت بين أيدينا . صحيح ان الألمان كانوا يحاربون فى أوروبا وفى أفريقيا ، الا أنهم كانوا يكتبون كثيرا ويدبجون سجلات الوقائع اليومية ، واليوميات الفردية ، والتقارير ، والأوامر ، والتوجيهات والتعليمات بأعداد كبيرة . وبرغم القصف الجوى الهائل الذى تعرضت له ألمانيا ، من الطيران الانجليزى والأمريكى ، فان وثائق الجيش الألمانى الموضوعة فى بوتسدام وفى برلين نجت من التدمير ، بشكل عجيب . والحقيقة ان عـــددا من التصانيف أحرق ، كما تعرضت مصنفات أخــرى للتلف من جراء المــاء والنار ، الا أن كمية هامة من هذه الأوراق نجت من التدمير وأمكن اعادة ترتيبها . وتوجد الوثائق حاليا فى البنتاجون فى واشنطن . وهى تشكل نبعا للمعلومات ذا أهمية كبرى للمؤرخين العسكريين ، وللذين يريدون دراسة استراتيجية وتكتيك الأنصار .

ان المذكرات التى اتخذت كأساس لكتابة هذا المؤلف ، تممت بشهادات ضباط قادة وجنرالات من الجيش الألمانى ، لهم خبرة كبيرة فى حــرب العصابات التى جرت فى روسيا . وقد استخدمنا بعض المعلومات الثانوية ، التى وصلتنا من مختلف المصادر الألمانية والروسية أيضا .

الفصل الثاني

الأنصار السوفييت في العمل

كان الهر كوبيتسكوميسار جالسا الى مكتبه ، بقرب النافذة وهو يحتسى القهوة ، ويبحث فى مصنفاته بهدوء . وكان من وقت الى آخر ، يلقى الى الشارع نظرة سريعة تكاد أن تكون آلية ، وفجأة ، سمع ضجيجا غريبا ، كأنه اصوات صماء منتظمة من طلقات نارية . أرسل الهر كوبيتسكوميسار مساعده ليستطلع الأمر ، فعاد المساعد حالا وهو شاحب اللون ، تصطك أسنانه من الخوف . ولم يستطع الا أن يردد الكلمات التالية : « انه هناك ، انه هناك » . وقد فهم القائد ، فاستقام بوثبة واحدة وقفز الى مسدسه الرشاش . وفى نفس اللحظة ، انفتح الباب محدثا ضجة ، فشاهد القائد عندئذ ، مجموعة من الجنود ببزات متنوعة : البعض يرتدى بزة الدرك الألمانى ، وعليها الأوسمة والنياشين ، والبعض الآخر يرتدى بزة الـ (S.S.) (١) ، وقسم يرتدى ألبسة قطنية بولونية ، ويحمل البعض الآخر شارات الكتف الروسية أو يلبسون القميص الأوكرانى المطرز .

وبعد نصف ساعة كان الكوبيتسكوميسار مشنوقا على غصن شجرة قريبة من مكتبه . أما الذين وصلوا بشكل غير متوقع ، فقد كانوا يوزعون على السكان كل ما صادره الألمان وكل ما كدسوه فى مخازنهم . ومع ذلك ، عندما وصلت مفرزة النجدة الألمانية الراكبة على الدراجات النارية بأقصى سرعتها ، وجدت مدينة صغيرة صامتة وهادئة ، كل ما فيها كان يبدو عاديا وطبيعيا ، كان شيئا لم يحدث فيها ، فيما عدا الكوبيتسكوميسار الذى كانت جثته تتأرجح ، وفيما عدا الحامية التى أبيدت أو أسرت .

---

(١) S.S اختصار لكلمة Schutz-Staffel (نسق الحماية) وهو عبارة عن حرس خاص — أو شرطة مدربة تدريبا عسكريا — معدة للمهمات الخاصة ومراقبة معسكرات الاعتقال والمناطق المحتلة . (المعربان)

« فلو صادف أحد الأشخاص مفرزة بوجدان فى الطريق ، لما استطاع معرفة أشخاصها بسهولة . فنصف رجال هذه المفرزة كانوا يلبسون البزات الألمانية على حين يلبس الآخرون ثيابا مختلفة مصنوعة فى ليتوانيا أو بولونيا أو بلاد السلوفاك . ولو فتشت عربات النقل ، لوجدت محملة بثياب تلائم كل العمليـات : من بزات الـ S.S. ، الى سراويل جنـود ايطاليين ، وملابس أوكرانية ، ومعاطف مدنية الخ .. » .

وقد يبدو هذا السرد مستقى من قصة من قصص المغامرات . ولكنه فى الحقيقة مستقى بكل بسـاطة من مقتطفات كتبت باذن من الجنرال بونومارنكو رئيس هيئة الأركان العامة للأنصار ، والذى كان لفترة من الوقت القائد العام للعصابات فى روسيا البيضاء (١) . والصفحات التالية دون شك لاقناع القارىء ان ما ذكرناه ليس قصة من القصص ، بل حقائق ووقائع ، سجلتها الوثائق الألمانية كما سجلت هذا الحادث الذى ذكرناه . واليكم فيما يلى ، بعض الوقائع المستقاة من التقرير رقم ٩ لمصلحة الأمن العسـكرى للرايخ (S.D.) « لقد شـكل قائد الأنصار فى مينسك مجموعة .. مهمتها تسميم المفوض الألمانى العام .. وقد أمكننا الحصول على بعض الزراعات الجراثيمية » .

لقد فشلت هذه المحاولة ، الا أن هذا المفوض العام اغتيل فى مقر قيادته عام ١٩٤٥ بواسطة مدبرة المنزل الروسية التى كانت تنتمى الى احدى جماعات الأنصار . كما ان كثيرين من الأنصار قاموا بنجاح بأعمال رائعة من هذا الطراز . فمن بين الوحدات المتعددة التى دمرتها العصابات الأوكرانية فى خاركوف وضواحيها ، دمر مقر فرقة من الفرق وقتل قائدها ، الجنرال بروم نفسه . وقد دمرت عصابات لينينجراد رتلا آليا معاديا وقتلت الجنرال ر . فون فيرتز ومرافقه الخاص. وقد قضى أنصار روسيا البيضاء فى بوروفوى على مقر قيادة فرقة ألمانية يقودها الجنرال جاكوبى ، وقتل العميل الألمانى المعروف فابيان اكينشيتز فى مكتبه فى مينسك . وقتل فريديريك فنش ، قائد حاميـة مدينة بارانوفيتشى بواسطة الأنصار ، وبعض موظفى وحدات الاحتلال ، وبعض العمـلاء المسؤولين عن ارسال المواطنين السوفييت الى معسكرات العمل الاجبارى فى ألمانيا ، كل هؤلاء اختفوا الواحد اثر الآخر (٢) .

---

(١) مأخوذة عن « بوجدان المراوغ » بقلم جابريلوفيتش فى « خلف خط الجبهة » الجنرال بونومارنكو — لندن نيويورك .. الخ ١٩٤٥ صفحة ٥٠ — ٥٢ .
(المؤلفان)

(٢) الجنرال بونومارنكو — المرجع المذكور سابقا ص ١٠ . (المؤلفان)

وليست هذه اللائحة لائحة كاملة ، الا انها كافية ومؤثرة . ونحن نعرف أيضا من مصدر ألمانى ان الأنصار قتلوا قائد الجيش بودبين ، وأن رئيس هيئة أركان الجيش التاسع جرح أثناء اشتباك مع الأنصار . كما أن كثيرا من الضباط الكبار لم يلتحقوا أبدا بالمراكز المحددة لهم لأن الأنصار التقوا بهم وهم فى طريقهم الى هذه المراكز .

وتحوى التقارير الألمانية تفصيلات أكثر من الوثائق السوفييتية فى وصف الملابس التى كان يرتديها رجال العصابات . وتقول هذه التقارير الألمانية « ان مظهرهم الخارجى ، ولباسهم يدل على انهم مجرمون ، وبصورة عامة لم يكونوا يرتدون بزة ولا يضعون رتبة ، بل يلبسون ثيابا مدنية من مختلف الأنواع . وكانوا على العموم يحبون ارتداء ملابس الفلاحين أو الفلاحات التى تظهرهم كأشخاص مسالمين ، وقد نجد من بينهم اناسا بثياب مدنية تكملها قطع من البزات العسكرية على اختلاف أنواعها ، وبامكانهم كالحرباء أن يبدلوا لون جلدهم بسرعة تبعا للظروف والأوضاع . وقد صادفنا منهم عصابات تلبس البزات العسكرية الألمانية ، ويضع قادة هذه العصابات اشارات رتب ضباط وضباط صف لدينا . وقد رأينا أيضا أنصارا يلبسون بزتين عسكريتين ، الأولى فوق الثانية : بزة ألمانية وتحتها بزة روسية حتى يستطيعوا تبديلها بسرعة كبيرة» (١). والبزات العسكرية الألمانية من البزات التى يرغبها رجال العصابات الذين يعرفون اللغة الألمانية . فبهذا الشكل يمكنهم التحرك على انهم تشيكيون . كما ان بعضا من هؤلاء الأنصار كانوا يضعون شارة الساعد التابعة للبوليس المحلى الذى جنده الألمان المحتلون ، كما يلبس قسم منهم ثياب النساء .

ولم يكن اصطياد الضباط الألمان سوى مهمة ثانوية من بين المهمات المتعددة التى كلف بها الأنصار الروس . واليكم الطريقة التى نسف بها ايليا كوزين وهو فلاح شاب ، مع معاونه ، قطارا محملا بالذخائر :

« حفر كل واحد منهما حفرته فى موضع يرسم الخط الحديدى فيه منحنى صعبا ، ثم انبطحا فى هذا الموضع وانتظرا . وقد وضعت المتفجرات بعيدا عن موضعهما . وبعد وقت قصير ، سمعت زمجرة قطار يقترب ، ثم أضيئت المنطقة كلها بأشعة ضوئية منبعثة من كشافات تحملها عربة

---

(١) الرائد دكتور شيفر « الصراع ضد العصابات » . هامبورجر فريدنبلات رقم ١٦٧ فى ١٦ يونيه (حزيران) ١٩٤٣ .

(المؤلفان)

صغيرة ذات محرك تسبق القطار (١) ، وفتحت الرشاشات نيرانها على بعض الشجيرات أثناء مرورها . وفي نفس اللحظة ، رأى ايليا القاطرة تسير في الظلام وهي تلهث . وكانت القاطرة هناك على مقربة من المتفجرات . وفي ثانية واحدة ، وضع ايليا وزميله النار في الفتيل وقفزا الى ملجئهما . وبزئير مزق سكون الليل كزئير وحش جريح ، خرجت القاطرة عن الخط وتوقفت . واصطدمت العربات ببعضها بعنف مسببة ضجيجا مرعبا زلزل أركان الأرض من تحتها . ثم بدأت القنابل التى يحملها القطار تنفجر ، وأحدثت انفجاراتها صوتا أذهل ايليا . وسقط من حول ايليا رماد وقطع من الخشب ، وأنقاض من مختلف الأشكال والأنواع . وبعد فترة اضطر للخروج من حفـــرته للتخلص من كل هذه الأنقاض التى دفنته تحت التراب » (٢) . بهذا الشكل كانت القطارات الألمانية تنسف . وفي حوالى نهاية الحرب كان العدو قد خسر آلاف القطارات ولم تكن العملية بحاجة لأكثر من رجل أو رجلين ، مع قليل من الديناميت وبعض أمتار من الفتيل .

وهناك مهمة عادية أخـــرى يكلف الأنصار بتنفيـــذها وهى تدمير الجسور . واليكم كيف كانت هذه المهمة تنفذ كما يرويها أحد المنفذين :

« لقد اتخذنا احتياطات كبيرة ، ونحن ننزل منحدرات جبل لامبينا لوجود ألمان حوله ، ولأننا لم نكن نعرف المسالك جيدا ، فوصلنا الى مقربة من الجسور في الساعة الثالثة بعد الظهـــر . فاختبأنا عنـــدئذ في أدغال لا تبعد كثيرا عن هذه الجسور ، وبانتظار حلول الليل ، لأنه لا يمكن تنفيذ مهمتنا أثناء النهار .. وبدأنا لغم الجسور في منتصف الليل .. وقد قام الرجال بمهمتهم بسرعة وبصورة جيدة . وكان الظلام مخيما عندما التجأنا الى المخابىء .

« وفي الفجر ، ظهرت على الطريق سيارة حمولتها (٧) طن تنقل ألمانا مسلحين بمسدسات رشاشة . وعندما رأيناهم في المنظار عن بعد ، كانت السيارة تشبه لعبة مملوءة بجنود من الرصاص . وفي لحظة من اللحظات ، كانت الشجيرات الصغيرة تحجب عنا رؤية السيارة وهى تسير عـــلى الطريق . وأخيرا ظهرت السيارة مرة أخرى ، وكانت تتجه مباشرة نحو

---

(١) Draisne (طرزينا) عربة صغيرة ذات محرك تسبق القطارات وتكون مسلحة ومهمتها تنظيف الخط قبل مرور القطار . ويستخدمها عمال السكك في السلم لأصلاح السكك الحديدة . (المعربان)

(٢) ايليا كوزين ـ مذكرات مقاتل من الأنصار (موسكو ، ١٩٤٢ ص ٩ والصفحات التالية) . (المؤلفان)

الجسر .. وسرعان ما شاهدنا عمودا من الدخان يتصاعد فى الجو وقطعا من الأرض ، وأجزاء أجساد بشرية وأنقاض الجسر كلها ترتفع فى جو ذلك الصباح ، وبعد ثانية أو ثانيتين ، سمعنا انفجارا آخر ، وكان انفجارا مكتوما يتردد صداه من بعيد . وقبل أن يتلاشى دخان الانفجار الأول ، وصلت سيارة أخرى الى الجسر الآخر ، ونسفت هى أيضا بألغامنا » .

« وقد أعطى الانذار فورا على طرق سمولنسكايا ونوفو ـ ديمتريفسكايا ستانيسلاس ، وسمعنا بوضوح أزيز محركات رتل النجدة » وانسحبنا عندئذ بسرعة الى المرتفعات .

« وبعد ساعة تقريبا ، سمعنا انفجارا ثالثا ، قويا جدا بشكل ترددت أصداؤه بعيدا ولفترة من الوقت . وفى هذه المرة ، نسفت دبابة على الجسر الثالث . وبعد الظهر دمرت آليات أخرى على طريق سمولنسكايا ـ سفرسكايا .

« واليكم نتائج هذا العمل : دمرت أربعة جسور وقتل ستون ألمانيا . ولم نستطع بالطبع احصاء عدد الجرحى (١) » .

وخلال أربعة أعوام ، كانت نفس الحوادث تتكرر كل ليلة فى روسيا المحتلة وعلى طول أرضها . وفى كيرش كان الأنصار يختبئون نهارا فى منجم للفحم ، بينما يختفى الآخرون فى المستنقعات ، فى منحنى للدنيبير . وفى ساباروجه كانت احدى شبكات المجارى التى تمر تحت مصنع للألمنيوم ، هى المكان الذى يلتجئون اليه . وفى لوسووايا كانوا يجدون ملاذهم فى المستشفى ، وبالقرب من خرسون ، لم يكن من الممكن الوصول الى معسكرهم الا بواسطة الزوارق . وفى جنوب القرم ، أقام الأنصار قاعدتهم فى سلسلة جبال ييلا ـ داغ وعلى جواربا سلا ، كان الأنصار يتوارون فى منطقة الأحراش . وكان بعض الأنصار يعيشون فى المدن والقرى كمواطنين مسالمين . وابتداء من عام ١٩٤٢ ، أنزل الروس بالمظلات عددا كبيرا من الأنصار . وتحتوى مصنفات الجيش الألمانى عددا كبيرا من التقارير عن حرب الأنصار . وعند قراءة صفحات هذه التقارير نحس بنوع من اليأس تزداد حدته بين الألمان مع مرور الزمن ؛ وهو يأس يصل الى مرحلة الغضب وفقدان الأمل . ويمكن فهم سبب ذلك بسرعة : فالأنصار كانوا يضربون فى كل مكان الا ان القوات التى كانت تزج ضدهم لم تكن قادرة على تجميدهم فى مكان من الأمكنة والاشتباك بهم بصورة جدية .

(١) ب . ك . ايغناتوف ـ أنصار كوبان ـ لندن ـ نيويورك ـ ملبورن ١٩٤٥ ـ ص ٩٦ .
(المؤلفان)

ونجد هذا اليأس ماثلا فى تقرير صحفى لمراسل حربى ألمانى هو كيرت كلاين شونفلد ، الذى وصف مرحلة من مراحل حرب الأنصار ، تحت عنوان : « غابات الموت » كتب كيرت ما يلى :

« ثم كانت الغابة أمامنا . وانتصبت الأشجار جدارا أخضر كبيرا أمامنا . وعبر هذا الجدار كانت الطريق الكبرى المستقيمة تبدو وكأنها تخترقه عموديا كسهم مضىء وناصع البياض .. وأوقفنا جندى ، متمركز على مدخل الغابة .

« نزلنا من السيارة مشدوهين ، فلاحظنا سيارات أخرى واقفة على الجانب الأيمن من الطريق . وتوجه أحد الضباط نحونا قائلا : «سنشكل قافلة ، اذ ان من المعتقد ان المنطقة مملوءة بالعصابات ، ومسيرنا ضمن قافلة أكثر أمنا لنا » . فاتخذت سياراتنا مكانا لها على الطريق ، مع بقية السيارات . وبعد نصف ساعة ، كان قد تجمع حوالى (11) سيارة ، واندفعت القافلة وسط الغابة المنتصبة كسور ضخم على جانبى الطريق .

« وفجأة ، توقف الرتل ، وبوثبة واحـــدة ، قفزنا من السيارات وسلاحنا بأيدينا بصورة غريزية . وكان هناك جسر مدمر يسد علينا الطريق ، اعتقدنا فى البدء انه ليس هناك سوى هذا الجسر ، ولكننا لاحظنا حالا ان هناك ممرات أخرى ، وعندما ألقينا نظرة سريعة على الخارطة اقتنعنا بأن الطريق يمر عبر منطقة مستنقعات تقطعها قنوات رى قريبة من بعضها البعض ، والطريق يمر عبرها ، فلو دمرت العصـــابات كل الجسور بصورة منهجية ، لكان علينا أن نقضى يومين للوصول الى هدفنا لأن المستنقعات والغابة نفسها تجعل كل محاولة للالتفاف على الثغرات محاولة غير مجدية .

« وعندئذ ، نزلنا فورا بتصميم الى المنحدر الذى يقود الى الجسر ، وشرعنا بالقاء كل أنواع المحطومات فى القناة : أحجار ، أنقاض من مختلف الأنواع ، أعشـــاب وحشائش وأغصان كى نسد الثغرة وننشىء ممرا مرتجلا .

« وبعد ساعتين ، كانت قافلتنا تجتاز هذا الحاجز الأول ، واتخذت طريقها والغسق يلف المنطقة . ولم تعد الغابة مسرحا للأحلام كما كانت فى الجزء الأول من الرحلة . انها الآن صامتة وقاتمة ، تتحدانا على كل جانب من الطريق . وكان الليل قد بدأ يرخى سدوله ، وضباب المستنقعات ينشر غلالته الرقيقة على جذوع الأشجار .

« ثم كان الليل البهيم . ومع نزوله ، حلت ساعات العطالة والانتظار الطويلة ، لأنه كان علينا أن لا نفكر بمتابعة الطريق فى هذه الظروف ، فتجمعنا عندئذ حول نار أشعلناها فى أرض خلاء رملية على يسار الطريق . وكان من المستحيل علينا أن ننام ، .. كانت حواسنا يقظة ، ونحن نصغى بانتباه الى الضجيج المنبعث من هذه الغابة الكثيفة المعادية . ومن آن الى آخر ، كنا نسمع من بعيد صليات مدفعية تقصف بعنف ؛ وفجأة سمعنا على مقربة من معسكرنا المؤقت صهيل خيول ، وشتائم مخنوقة وكلمات متبادلة بصوت منخفض ، وكانت تلك الأصوات منبعثة من احدى دوريات الأمن التابعة لنا ، والذاهبة الى الشرق ، على المسلك الرملى المحاذى للطريق .

« وفور انطلاق الدورية ، دوت طلقات الرصاص على جانبنا الأيسر ، من الجهة التى اختفى فيها الفرسان . وبعد ثوان ، مر حصان ينطلق مسرعا فى الليل حتى انه كاد ينقض على سياراتنا التى كانت أنوارها مطفأة . وسمع ضجيج هذه الأصوات رجالنا الموجودون على رأس الرتل . ثم جمع الضابط رجاله ووزع المهمات فيما بينهم .. وكانت العتمة شاملة . وكان من المستحيل على المرء أن يرى شبح جاره . وقد أحسسنا جميعا بذلك الشعور الغريب الذى يجتاحنا قبل كل لقاء وشيك مع العدو . وعندئذ تركنا الرتل ونحن نسير زملا خلف قائدنا ، بعد أن تركنا حرسا كافيا على آلياتنا .

« وبعد قليل ، دوت فى الفضاء رصاصاتنا المضيئة وكأنها ترسم أوتارا على الطريق . وتبعتها صرخات وشكاوى . واندفعنا بسرعة فى وحل المستنقعات على كل جانب من جانبى تلك الطريق الملعونة . وكان هناك رشاش يقوم بضرب الجانب الأيمن من الغابة ، بناره السريعة ، ذلك الجانب الذى كان مصدرا للهجوم . وخلال فترة من الزمن ، مزقت سكون الليل رمايات تجاوبت أصداؤها داخل الغابة . وأخيرا عاد السكون وخيم مرة أخرى ، وكان سكونا عميقا لم تتخلله نسمة هواء . وانقضى الشطر الباقى من الليل بدون أى حادث .

« ونقل أحد رجالنا جريحا الى السيارات . وبعد وقت قصير انبلج الفجر لينشر البرد والقشعريرة فى الغابة .

« ولم نستطع الوصول الى هدفنا قبل الليلة التالية ، لأنه كان علينا أن نجتاز أيضا جسرين آخرين مدمرين وسدا . وفى الطريق ، انفجرت احدى سياراتنا حين مرت فوق لغم ، فأصيب رجل آخر ، واضطررنا الى

التخلى عن سيارة أخرى من القافلة . الا اننا وصلنا فى النهاية الى القرية التى نقصدها .. » (١) .

ولقد كان هذا اللقاء مع العدو قليل الأهمية اذا قورن بلقاءات أخرى تحدث بين الحين والآخر . ومع ذلك فان مغامرات من هذا النوع ، تتكرر كل يوم كافية لأن تجعل الأعصاب متوترة الى أقصى الحدود . ولقد كانت حرب الأنصار حرب أعصاب ناجحة جدا وسنرى فيما يلى ماذا حدث عندما دخل الأنصار فعلا الى المسرح .

لقد كتب أول تقرير ألمانى عن حرب الأنصار فى روسيا ، من قبل القيادة العليا للجيش ، فى ٢٥ يوليه (تموز) ١٩٤١ . وكان يؤكد ان نشاط العصابات يهدد خطوط تموين الجيش بصورة جدية . ويعدد التقرير الاعتداءات ضد الجنود المنعزلين والهجمات الموجهة ضد المنشآت فى الخلف ، وتدمير الطرق والجسور . وما لبث هذا الوضع أن أضحى شيئا مألوفا لدى القيادة الألمانية .

ويبدو أن العصابات كانت تعمل فى بادىء الأمر أمام الخطوط الألمانية لا خلفها ، ولم تكن أعمالها توحى بالخوف بصورة خاصة . وهناك تقرير صادر عن فصيلة كوماندوس خاصة تابعة لمجموعة الكوماندوس د . ، وهو تقرير مؤرخ فى ١٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٤١ ، يسرد اشتباك دوريتى استطلاع ألمانيتين تعملان فى (المنطقة المحايدة) No Man's Land ضد بضع جماعات من رجال العصابات . وفى ٥ نوفمبر (تشرين ثانى) من العام نفسه ذكر قائد شرطة الأمن التابع لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S D) أحداثا أخرى عن عصابة مماثلة توقفت عملياتها مع انسحاب الجيش الأحمر . وحتى هذه الفترة فان بعض هذه العصابات المعروفة باسم كتائب التدمير ، كانت تقوم بواجبات هى من مهمات وحدات التخريب وفك المعدات التابعة للجيش الأحمر . وكانت مهمة هذه الوحدات تدمير المحاصيل ، ومستودعات المؤن ، والآلات والمنشآت الصناعية ، ومطاردة مفارز المظليين . الخ . الا أن التقارير أشارت فيما بعد الى نشاط سرى أكبر خلف الخطوط الألمانية . فقد ترك السوفييت وراءهم جماعات التخريب الأولى التابعة لهم .

ومع ذلك ، لم تكن العصابات فى ذلك الوقت قد تركت أثرا لدى الجندى الألمانى « فلم يكن يؤخذ القتال خلف الخطوط الألمانية بصورة

---

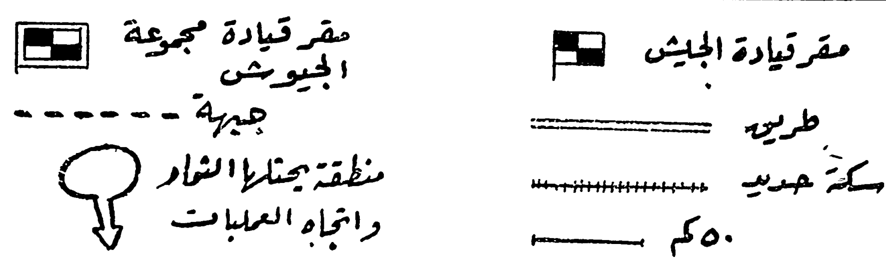
(١) كيرت كلاين شونفلد ، « غابات الموت » هامبورجر فريمدنبلات عدد ٣١٢ فى ٧ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤٣ . (المؤلفان)

جدية بعد » ، تلك كانت ملاحظة قائدى الجيش السادس والحادى عشر، فى أوامرهما التى أصدراها فى يومى ١٠ و ٢٤ نوفمبر (تشرين ثانى) . وقد حدد قائد الجيش الحادى عشر فى أوامره ما يلى : ـ

« يستمر القتال أيضا خلف الجبهة . ان جنودا غير نظاميين يلبسون لباسا مدنيا ويتصدون بهجماتهم للجنود المنعزلين وللوحدات الصغيرة . ويحاول الأنصار تفتيت قوافل التموين مستخدمين لهذا الغرض ألغاما ومتفجرات من كل الأنواع .. وقد دمرت المحاصيل والمصانع بصورة منهجية ، وبشكل حكم فيه على سكان المدن بالموت جوعا دون شفقة ولا رحمة » .

ثم بدأت حرب الأنصار بعد ذلك بصورة جدية . فتبعا لتقارير موثوقة ، قرأنا فى مذكرة لرئيس مصلحة مكافحة التجسس فى الجيش الحادى عشر ، بتاريخ ١٤ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ « أن مجموعة من الأنصار منظمة تنظيما جيدا ومقادة بصورة حسنة جدا تعمل جنوب القرم . وتملك هذه الجمهرة قواعد فى جبال ييلا ، وهذه القواعد مزودة بالأسلحة بصورة جيدة وبالمؤن ، والمواشى ، وبكل وسائل الاعاشة الأخرى .. ومهمة هؤلاء الأنصار تدمير شبكات مواصلاتنا واتصالاتنا ، والقيام باغارات على مصالحنا فى الخلف وعلى أرتال تموينا » . وفى هذا التاريخ ظهرت التقارير الأولى عن المهمات التى قام بها الأنصار لصالح الجيش الأحمر . وبعد أربعة أسابيع وصف أحد قادة المواقع أحداث قطاعه بما يلى : « ان خطر الأنصار أكبر مما كان متوقعا » . وفى تقرير صادر بيوم ٢ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٢ ، أكد أحد قادة مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S D.) فى القرم ما يلى : « يستمر الأنصار حاليا باطلاق النار على آليات منعزلة تابعة للجيش الألمانى كما كانوا يفعلون سابقا ، ومنذ مدة قريبة جدا ، هاجم الأنصار قرى أثناء الليل كى يستولوا على مؤن وأغنام منها الخ .. وخلال هذه العمليات التحق بالأنصار بعض الرجال المتعاطفين معهم ، وأقيمت سدود على بعض الطرقات » .

وقد أضحى الأنصار مزعجين الى حد اضطر القيادة الى خلق أركان خاصة مضادة للأنصار فى الجيوش الألمانية ، بينما بدأت هيئة أركان أخرى بخلق وحدات لمقاومة العصابات . واكتشفت مستودعات للأسلحة تحتوى على رشاشات وقنابل يدوية ومسدسات ، ومسدسات رشاشة ، ومسدسات آلية ، وذخائر بكميات هائلة ، واستولى على مستودعات للمؤن وقتل آلاف من الأنصار أثناء عمليات شنت ضدهم .



منطقة تظهر القطاعات التى تحتلها العصابات - قطاع شمالى - ديسمبر ١٩٤١ مأخوذة عن خارطة الفيلد مارشال فون ليب

وفى ليلة ٥ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٢ ، اشترك الأنصار بعملية كبرى منسقة مع الجيش الأحمر ، وكان مسرح هذه العملية شواطىء البحر الأسود . ووصفت « بمعركة » فى تقرير الجيش الحادى عشر . وها هى أحداثها طبقا لهذا التقرير : «فى الساعة الثانية من ٥ يناير (كانون ثاني) سمع أزيز المحركات فى الميناء ، وفى نفس الوقت ، أشار مخفر ساكى الواقع على بعد ٢٠ كيلومترا الى الجنوب الغربى من جوباتوريا ، انه قد سمع أزيز المحركات أيضا فى المناطق القريبة . فأعطى الانذار فى جوباتوريا حالا ، ووجه أعلام الى هيئة أركان الجيش بالهاتف وباللاسلكى» . ويمضى التقرير قائلا : « وفى ظلام الليل الدامس ، نجح العدو فى الانزال فى نقاط مختلفة من الميناء الكبير . فاضطرت فصيلة من المليشيا (المقاتلة الى جانبنا) الى الانسحاب أمام عدو يتفوق عليها عددا . فنفذ سد نارى للمدفعيـــة فورا . وطبقا لاستجواب الأسرى ، اضطرت قافلتا نقل سوفييتيتان لتغيير الاتجاه أمام هذا السد .

« وبالارتباط مع عمليات الانزال ، انطلق هجوم من المدينة نفسها قام به أنصار مدعومون بالمظليين ، وتغلب الأنصار على المليشيا التى تحرس جسرا كبيرا ، وفتح مدفعان ألمانيان النار على هذا الهدف بصورة فعالة الى أن اضطر المدفعان الى تغيير مربضهما نظرا للخسائر التى تعرض لها السدنة » .

وهناك تقرير أكثر تفصيلا عن الدور الذى قام به الأنصار أثناء هذا القتال ، وقد كتب هذا التقرير الضابط الألمانى الذى كان يقود المقسم الهاتفى المحلى . واليكم نبذة منه :

« أنذرنا فى هذه الليلة حوالى الساعة اثنانية بوجود زوارق طوربيد معادية . فنفذت المدفعية الساحلية فورا سدها النارى ، وأحبطت محاولة للانزال بواسطة الرشاشات والقنابل ، وفى الساعة ٢٫٣٠ تقريبا ، كانت المدينة قد امتلأت بالأنصار الذين هاجموا مركز الهـاتف من كل الانجاهات . وكانوا مسلحين بالقنابل اليدوية والمسدسات الرشـاشة وبسرعة أصيبت زمرتا الرشاش التابعتان للمقسم اصابات بالغة ، وخرجتا من المعركة ، ودمر المركز الهاتفى من قبل المهاجمين بالقنابل .

« وقد دمر المركز بعد أن تم الدفاع عنه حتى آخر رصاصة . وبعد ذلك نجحت فى الخروج من المدينة من الشمال ، وبعـد أن قمت بدورة حول البحيرة الكبيرة ، تمكنت من الوصول الى ساكى ، وأعتقد أن كل عناصر مركز الهاتف قد قتلوا فى هذا الهجوم » .

وتبعا للتقارير الأولى ، يبدو أن حوالى ٦٥٠ الى ٧٠٠ جندى من

الجيش الأحمر قد نجحوا فى الانزال . ولا يتجاوز عدد المظليين والأنصار المشتبكين فى هذه العملية الألف . وقد أعاد الألمان احتلال المدينة بعد ثمانية أيام .

وهنا لابد من ابداء ملاحظتين . أولا : يبدو أن عدد الأنصار الذين اشتركوا فى العملية عدد مشكوك فيه . فتبعا للتقارير الألمانية فقد الجيش الأحمر أكثر من ٨٠٠ رجل ، قتلوا أو أسروا . وبما أن عدد كل المشتركين فى هذه العملية هو ١٧٠٠ جندى من المظليين والأنصار فان عدد الأنصار لا يمكن أن يتجاوز الـ ٩٠٠ مقاتل . ومع ذلك فاننا نستطيع أن نقرأ ما يلى فى أحد التقارير ، ففى فقرة « خسائر العدو » : ١٣٠٨ مدنى قتيل (من الأنصار) » . أما القيادة العامة للقوات المسلحة الألمانية فتقدم رقم ١٢٠٠ قتيل من بين الأنصار أثناء العملية . وطبقا لوثيقة صادرة عن الجيش الحادى عشر فان هؤلاء الـ ١٢٠٠ نصيرا هم « مدنيون معروفون بموقفهم المعادى للألمان ، والذين أعدموا رميا بالرصاص فيما بعد . ومع هذا فقد كان هناك كثير من العناصر الطيبة بين السكان » .

فيبدو اذن أن عددا كبيرا من المدنيين المسالمين والبعيدين عن القتال قد أعدموا رميا بالرصاص بعد هذه العملية . وقد يبدو ان الألمان حاولوا فى واقع الأمر خنق هذه العملية والمبالغة فى عدد الأنصار المشتبكين فعلا فيها . ومع ذلك ، فمن المحتمل أن يكون الأنصار قد عملوا بعنف . وربما كانوا يشكلون لوحدهم مجموع العناصر البرية المعادية .

والملاحظة الثانية تنصب على واقع أن الأنصار تصرفوا فى هذه العملية وكأنهم جزء من الجيش النظامى . ولم يخسر الألمان سوى ٧٥ قتيلا و ١٢٠ جريحا أو مفقودا ، فخسائرهم كانت أقل بكثير من خسائر الأنصار . الا أنه فى حرب العصابات ينبغى أن تكون نسبة خسائر القوات معكوسة ، وعلى كل حال ، فلقد حفظت العصابات الحمراء الدرس ، ولم تعد تهاجم بعد هذه العملية الا أهدافا تتلاءم وتتفق مع امكانياتها .

وعلى أثر هذه الحادثة ، زاد حرص الأنصار وتعقلهم لفترة من الزمن : وكانت لديهم أسباب وجيهة دفعتهم الى ذلك . « وتقول مذكرة صادرة عن الجيش الحادى عشر فى ١٥ ديسمبر (كانون أول) ان سبب ندرة هجمات الأنصار فى ذلك الوقت عائد للأحوال الجوية ، اذ انهم لا يرغبون فى ترك آثارهم على الثلج » . ولكن بعد شهر انقلب الموقف ونقرأ فى تقرير صادر عن مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) ما يلى :

« واعتقدنا ان نشاط الأنصار سيستمر برغم فصل الشتاء . ولقد تأكد اعتقادنا اذ لاحظنا أن الموقف فى هذا الصدد يزداد خطورة » .

وكان لعمليات الأنصار هدفان هما ، الحصول على المؤن والملابس الشتوية اللازمة ، وتنفيذ ما أسماه تقرير مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) « بالمهمات الخاصة » للأنصار .

واذا كان « الوضع قد ساء لدرجة كبيرة » فقد كان لذلك أسباب كثيرة . ففى مطلع ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ ، كان الهجوم الألمانى فى روسيا متوقفا . وفى السابع من الشهر نفسه أعلنت القيادة العليا الألمانية ان العمليات الهجومية ستتوقف أثناء الشتاء . الا أن السوفييت قاموا فورا بهجوم معاكس واسع النطاق ، انطلق من الشمال وامتد عمليا على طول الجبهة . فقد كانت مقاومة الأنصار اذن ، مدعومة جيدا ، بحكم هذا الواقع . ومع ذلك فان الطريقة التى عامل الألمان بها السكان الروس ، كانت قاضية بالنسبة للألمان أنفسهم ، فهى التى سببت امتداد الحرب السرية ، وتوسعها . فالمذابح الجماعية التى تعتبر مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) والشرطة العسكرية مسؤولتين عنها ، وعمليات الانتقام التى قام بها الجيش الألمانى ضد الرهائن المسالمين ، والتأخير الذى حدث فى الغاء نظام المزارع الجماعية ، ومصادرات الخيول والآليات والمؤن والعلف والبقرة الأخيرة (« بقرة ستالين » كما كانوا يسمونها منذ أن سمح ستالين للفلاحين بتملك بقرة واحدة) ، وتخفيض معدل المقررات الغذائية للسكان الى حد تهديدهم بالمجاعة ، ومصادرة الأفراد لخدمات القوات المسلحة الألمانية ، وحملة التجنيد لصالح مصلحة العمل فى ألمانيا ، كل هذه الأعمال دفعت العمال الشبان ، وشباب الفلاحين الى العمل السرى . وعرف الأنصار كيف يستفيدون من هذا الوضع ، فشنوا حملة دعائية عنيفة بين صفوف المواطنين المستائين . وكانت هذه الحملة تقول : « لنتذكر دائما كيف قاتل الأنصار وكل السكان فى منطقة سمولنسك فى عام ١٨١٢ قطعات نابليون ، مع ان سلاحهم كان العصى والفؤوس والجواريف . تذكروا جميعا بطلتنا القومية فى حربنا الوطنية الأولى ، الفلاحة الممتازة سيتشيوكا فاسيليا كوشينوج . ولتكن هذه البطلة مثلا لكم من أجل تحقيق أحلام السلام فى البلاد » . وبهذا الشكل كانت الدعاية فى صفوف الفلاحين والشبان . وقد تقدم كثير من المتطوعين الى وحدات الأنصار بتأثير هذه الدعاية ، بعد أن كان جزء من هذه الوحدات مؤلفا من عناصر جلبت رغم ارادتها وكانت تنتهز أحيانا الفرصة الملائمة لتفر من هذه الوحدات .

ولم يضيع السنوفييت وقتا طويلا حتى واتتهم الفرصة وأسعدهم الحظ . فكل ماكانوا يحتاجون اليه هم قادة أقوياء ، وقد أشارت احدى مذكرات القيادة العليا الألمانية الى ما يلى : « ولهذا الفرض ، اجتاز الخطوط أعضاء من الحزب ، ورجال متحمسون موثوق بهم وضباط محترفون ، تلقوا تدريبا خاصا ، خلال فصل الشتاء ومن لم يجتز الحدود نزل بالمظلات خلف خطوطنا . وكانت مهمتهم تحويل الأنصار الى أداة قتال حقيقية ولقد تحققت هذه المهمة بكل نجاح » .

أما من الناحية الألمانية ، فان التقارير عن نشاط العصابات كانت تصل من كل مكان « فقد تمركزت مجموعة مؤلفة من ٢٤ رجلا من الأنصار فى ديمتريفوسكا ، على أربعة كيلومترات جنوب غربى ساكى ، وسدت طريق سيمفيروبول » ، « وجاءت اشارة من مدينة غومل تقول : ان الطريق بين هذه المدينة وتشرنيكوف خطرة ليلا نظرا لوجود الأنصار » ، « نسف الأنصار ، بجوار بريانسك جسرا ، واغتالوا عدة مخاتير (عمد) عينتهم سلطات الاحتلال » ، « ان نشاط العصابات فى القرم واسع جدا . وهناك مايدعو الى الاعتقاد بأن الانزال الذى قام به السوفييت مؤخرا ، قد أعد نتيجة لاستطلاعات فردية قام بها أنصار مدربون » ، «هيأ أسرى المستشفى العسكرى فى مينسك ثورة . وفى ١٤ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٢ ، كان على بعض العناصر المسلحة أن تتمرد فى آن واحد ويشترك معها فى هذا التمرد أسرى المستشفى العسكرى رقم ١ ، ومرضى مستشفيات الأسرى ١ ، ٢ ورجال معسكر الأسرى نفسه ، والأسرى الموجودون فى مصنع فوروشيلوف . وقد استخدم المتمردون الحجاب الروس للضباط الألمان للحصول على السلاح .. وكان عليهم أن يؤمنوا الاتصال مع أنصار مينسك فى ليلة ٤ يناير (كانون ثانى) » ، « هاجم الأنصار ، أثناء الليالى الأخيرة قرية كيكينيس . وصادروا فيها بعض المؤن ، وخطفوا بعض الرجال (كرهائن) » ، « وعلى بعد ثمانية كيلومترات شرق ألوتشتا ، على طريق يالتا ، هوجمت عربة بريد ، وعربة لاصلاح القطارات من قبل عشرة من الأنصار » ، « وفى القطاع الشرقى وبخاصة فى منطقة كاراسوبازار ، جرت أربع هجمات مفاجئة على قوافل ألمانية . وقد نفذ احدى هذه الهجمات (٢٠٠) رجلا من الأنصار يرتدون ألبسة متلائمة مع تلك الفترة ، أى ألبسة بيضاء » ، « كمائن وهجمات على الطريق الكبرى لشرق القرم .. » ، « جرت عمليات تخريبية على سكة حديد دزبانكوف ـ أرمجانسك .. » ، « نفذ هجوم على قرية تشوراك فى ٨ و ٩ فبراير (شباط) ١٩٤٢ بقصد تحرير أسرى الحرب .. » .

ويلاحظ القراء ان هذه الخلاصات قد استقيت ، بالمصادفة ، من مجموعة من التقارير الواردة من قطاع أو قطاعين فقط من جبهة واسعة جدا ، وان كل هذه التقارير كتبت أثناء الأسابيع الأولى لعام ١٩٤٢ . فقد قامت العصابات فى ذلك الوقت بنشاط واسع فى الجنوب ، وبخاصة فى منطقة القرم . ثم أضحت جرحا لا يندمل فى القطاع الأوسط من الجبهة ، وفى بعض مناطق الشمال المليئة بالغابات والمستنقعات » (١) . وفى هذه الفترة كان المراسلون الحربيون الألمان يرسلون الى صحفهم تقارير صحفية تتضمن ما يلى : « تجرى المعارك بصورة مستمرة ضد العصابات ، كل يوم ، على مؤخراتنا » (٢) .

« ان دعم السكان المدنيين للعدو يتخذ شكل حرب العصابات ، هذه الحرب التى تجعل القتال شاقا على الجنود الألمان . وهذه المصادمات على الجبهة وخلفها مصادمات قاسية تفرض علينا كل أنواع العذاب والحرمان » (٣) . « لقد أضحت حرب العصابات حربا دائمة خلال شتاء ١٩٤١ – ١٩٤٢ . فهى تشكل فى الوقت الحاضر خطرا حقيقيا بسبب الاضطرابات العديدة التى تسببها على خطوط مواصلاتنا ومؤخراتنا المباشرة وأجنحة جيوشنا » (٤). الا أن هذه الحرب لم تكن قد بلغت بعد نقطتها الحرجة . وكانت معظم الاغارات تتم للحصول على المؤن والاعاشة . ويذكر تقرير مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) يوم ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٤٢ الذى يعالج الأحداث التى وقعت خلال الفترة التى ندرسها الآن ، يذكر هذا التقرير : « ان نشاط العصابات بقى قويا كما انه تطور فى الفترة الأخيرة . ولقد تجسد هذا النشاط حتى الآن بالهجمات على الجنود الألمان ، وعلى الآليات المنعزلة ، أما الآن فهو يتجسد بعمليات وهجمات بالعنف على القرى بهدف الاستيلاء على المؤن منها » . وتعلمنا بعض المصادر الألمانية الأخرى أن «كوش قد هوجمت فى ليلة ٩/٨ فبراير (شباط) من قبل ٣٠٠ رجل من الأنصار » . « وفى ٩ فبراير (شباط)

---

(١) الجنرال ديتمار ، فى الاذاعة الألمانية يوم ٦ يوليه (تموز) ١٩٤٣ .
(المؤلفان)

(٢) دانتزيجر فوربوستن ، ١٧ فبراير (شباط) ١٩٤٢ .
(المؤلفان)

(٣) كولينش زايتونغ ، ١٣ أبريل (نيسان) ١٩٤٢ .
(المؤلفان)

(٤) الجنرال بول هاس : هامبورجر تاجيبلات ، ٢٥ يونيه (حزيران) ١٩٤٢ .
(المؤلفان)

هاجم ١٥ نصيرا قرية ستزليا ونهبوها » . وقد احتلت قرية كازانلى من قبل الأنصار قبل ذلك بعدة أيام . وبعد وقت قصير استولى ٥٠٠ من الأنصار على قرية باكسان ، وغزا ٢٠٠ آخرون بشوى ونهبوها ..

الا أن الأنصار اتبعوا بعد ذلك خطة أكثر وضـــوحا . فأضحت الاغارات التى تستهدف الحصول على المؤن اغارات نادرة . وتحول الأنصار الى تنفيذ « مهمات خاصة » كسد الطرقات وقطعها ، ووضع الألغام ، ومهاجمة القوافل المعادية ، ونسف وسائل النقل ووســائل تنظيم المرور ، ونسف الجسور ، وتدمير شبكات الاتصال ، وقتــل الشخصيات المعادية والجنود ، وازعاج خدمات المؤخرات ، والهجوم على السجون لتحرير الأسرى ، واستطلاع بعض النقاط خلف خطوط العدو . وقد أضحى الأنصار معلمين فى هذه المجالات » (١) .

وأضيفت مهمات أخرى الى القائمة الطويلة من المهمات ، اغارات على مواقع المدفعية ، ومهاجمة الثكنات ، وتدمير السفن الحربية الصغيرة فى الأنهار ، ومصافى البترول ، وقطارات نقل الجنود ، وقطارات التموين المخصصة لامداد المصانع .

حتى ان مفوض الشعب لشئون الدفاع جوزيف ستالين ، قال فى أمره اليومى الذى أصدره يوم ١ مايو (مايس) ١٩٤٢ : « ان تخريب الصناعة الحربية فى كل البلاد المحتلة ، وتدمير المستودعات الألمانية ، وقطارات القطعات ، واغتيال الضباط والجنود المعادين ، ان كل هذه الحوادث أضحت حوادث يومية . واتسعت عمليات العصـابات فى جميع أرجاء يوغوسلافيا وفى المناطق السوفييتية التى احتلها الخصم . وعندئذ أصدر ستالين أمرا الى مجموعات العصابات العاملة تحت راية لينين الظافرة رجالا ونساء بزيادة حدة المعركة ضد الغزاة وتدمير خطوط مواصلاتهم ووسائل نقلهم ، وبالهجوم على هيئات أركانهم وعتادهم الحربى .. !

وحدث نوع من التسابق بين جماعات العصابات الحمراء فى تنفيذ كل هذه المهمات وبالاستناد الى تقرير صادر فى يوم ٢ مايو (مايس)١٩٤٢ عن الجيش الحادى عشر الألمانى ، اليكم وثيقة كيف نظم هذا التسابق بين جماعات الأنصار : « نحن رجال ونساء مفرزة يالتا ، مدفوعين بالحماس

---

(١) ملاحظة عن استخدام الأنصار ٠٪ الجنرال السوفيتى كوفباك فى كتابه (دورات أنصارنا) لندن ــ نيويورك ــ ملبورن ١٩٤٧ ــ ايغناتوف (أنصار كوبان) ــ لندن ١٩٤٥ ومراجع متعددة اخرى .

(المؤلفان)

للنداء الذى وجهه الرئيس الأعلى للسوفييت ألى شعوب المناطق المحتلة مؤقتا ، بمناسبة العيد الثانى والعشرين للجيش الأحمر . قررنا بالاجماع الانضمام الى المسابقة المفتوحة بين وحدات العصابات . وليس لدينا أى هدف غير تنفيذ الأوامر خير تنفيذ ، وبذل عناية فائقة لنجاح مشروعاتنا ، والقضاء قضاء تاما على أكبر عدد ممكن من الغزاة .

« ولهذا فان مفرزة يالتا تتوجه الى كل الأنصار للمشاركة فى هذا السباق وملاحظة القواعد التالية :

« ــ على كل رجل من رجال الأنصار أن يقتل خمسة من الفاشستيين أو خمسة خونة .

« وعليه أن يساهم فى ثلاث عمليات على الأقل شهريا .

« وعليه أن لا يترك بين يدى العدو رفيقا أو شيوعيا جريحا » .

وقبل أن يأمر ستالين بتوسيع حرب العصابات وزيادة حدة هجماتها كانت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ(.S.D)قد ذكرت فى تقريرها رقم ١١ مايلى : « ان الروح الهجومية للأنصار ترتفع تدريجيا . ويبدو أنهم تلقوا دفعا جديدا ، فى كل قطاعات الجبهة ، يتلاءم مع بداية الفصل الملائم . ولقد اهتم الأنصار حتى الآن بصورة خاصة ، بالتمركز فى مقرات شتوية متينة ومحمية بصورة جيدة ، وانشغلوا أيضا بايجاد المؤن الضرورية لحياتهم . الا أن هذه الضرورة أصبحت الآن أقل الحاحا من ذى قبل ، لدرجة نجد فيها أن الأنصار مستعدون لتكريس أنفسهم بصورة كاملة للعمل التدميرى والارهابى » .

ومنذ ذلك الوقت ، اتسعت أعمال العصابات وأضحت أكثر تعقيدا عن ذى قبل مع حلول الربيع بصورة خاصة . وطيلة هذا الفصل ، لم تعد العصابات مرتبطة بقواعدها فى الغابات أو المستنقعات ، وفى الجبال أو المناجم . فقد أضحى من الممكن بالنسبة اليهم أن ينزلوا بالمظلات ، أو يغيروا القطاع الذى يعملون فيه . وهذا ماسينفذونه ابتداء من هذا الوقت . ويتابع تقرير مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (.S.D) الذى ذكرناه أعلاه قائلا ، «وفى القطاع الشمالى من الجبهة الشرقية ، لوحظ استخدام متزايد للأنصار المظليين ، فقد أسقط عدد من الأنصار بالمظلات خلف خطوطنا وبزمر صغيرة » .

ولكن استنادا لمصادر المانية أخرى أسقط ٤٠٠ من الأنصار بالمظلات على نقطة واحدة بآن واحد . وظهر المظليون فى وسط وجنوب منطقة

مجموعة جيوش الوسط . وفى الجنوب ، حدث أمر مشابه لذلك . ويقول تقرير سرى صادر عن الشرطة العسكرية الألمانية انه : « طيلة الشهر الفائت ، كانت المهمة الرئيسية للجيوش هى مكافحة التجسس ومجابهة المظليين والأنصار . فقد كان الخصم نشيطا جدا فى هذه المجالات » . وهناك تقارير عديدة كتبت خلال هذه الفترة ، تعطى أمثلة عن نشاط الأنصار فى مجال التجسس . وقد أصبحوا معلمين فى الاستماع الى المحادثات الهاتفية ، حتى ان الجيش الألمانى اضطر الى منع استخدام الهاتف والى فرض تدابير أمن خاصة عند الاستخدام المحتمل لهذه الوسيلة من وسائل الاتصال . وتملك العصابات أيضا عددا أكبر من الجواسيس الذين كانوا يعملون لحسابها . والتقرير التالى مستقى من مصدر ألمانى :

« تم توقيف روسى عمره ٢٣ عاما ومهنته مصلح أحذية ، اتبع دورة مدتها ثمانية أيام فى مدرسة للتجسس . وتلقى مهمة للقيام بها فى منطقة اميليا نوفكا كوليسيتلر بغية معرفة :

« ا ـ ماهى جنسية الوحدات المتمركزة فى المنطقة ؟

« ب ـ ما هى قوتها ؟

« ج ـ هل هناك تحصينات فى المنطقة ؟

« د ـ ما هى معنويات السكان ؟

« وقد أوقف على ظهر مركب من مراكب الصيد فى السيواش عندما كان يحاول اجتياز الخطوط الألمانية .. » .

« كلف ثلاثة من الروس بمهمة خاصة وهم : مهندس عمره ٦٠ عاما ، وجندى قديم من الجيش الأحمر ، وأحد التتار . أحضرهم الشيوعيون من القفقاس بعد التخلى عن فيودوسيا وشبه جزيرة كيرش . وطلبوا منهم الوصول الى عدة نقاط معينة على الساحل فى الخطوط الألمانية ، ليساعدوا بحارة المراكب الروسية على الاقتراب من اليابسة بواسطة اشارات ضوئية . على أن يعودوا بعد انهاء هذه المهمة ، الى بلادهم ، فى المنطقة المحتلة ، وأن يكونوا مستعدين للقيام بمهمات أخرى » .

« وعقب احدى العمليات ضد الأنصار ، وجدنا ورقة فى الأحراش ، وعلمنا منها أن روسيا عمره أربعون عاما تلقى مهمة تأمره بالبقاء فى الغابة بعد انسحاب الجيش الأحمر .. وكان من واجبه تحديد موقع العدو ، وقوته وأسلحته ، وعدد نقاط استناده ومكان مستودعات ذخيرته

ومحروقاته ، ومعنويات قطعاته ، الخ .. وكان عليه أن يرسل هذه المعلومات الى البوليس السياسى الروسى (N.K.V.D.) (١) والى الجيش الاحمر والأنصار » .

وقد اتبع الروسى موروسوف فلاديمير وعمره ، ٣٤ سنة ، دورة فى كراسنودور (القفقاس) على أعمال التجسس مدتها عشرون يوما ، وكان معه فى هذه الدورة ثمانية وعشرون من رفاقه . ونظمت مصلحة المخابرات الروسية هذه الدورة . وأعيد هذا الروسى الى كيرش فى ١٨ فبراير (شباط) ١٩٤٢ مع ثلاثة عشر رجلا اتبعوا نفس الدورة ، ومن هناك توغل خلف خطوط الألمان بعد اجتياز السيواش . وكان واجبه الاجابة على الأسئلة التالية :

« ١ ــ ما هى القطاعات المتمركزة فى اسلام ــ تيزكس واتشكى ، وجوشنى ــ ديشانكوج ؟

« ٢ ــ فى أى اتجاه تتجه قوافل القطعات الألمانية بصورة عادية ؟ .

« ٣ ــ أين مكان مستودعات الذخائر والمحروقات ؟

« ٤ ــ أين تقع أراضى هبوط الطائرات وما هى عدد الطائرات الموجودة فيها ؟ » .

وكان على الجواسيس الآخرين أن يستقصوا أسماء الشخصيات التى تعمل فى خدمة السلطات المحتلة كمخبرين أو مساعدين ، أو أسماء المخاتير (العمد) الذين عينهم الألمان الخ .. لتسهيل عملية اختطافهم من قبل الأنصار .

وتشير عدة تقارير الى نشاط النساء الروسيات ، « أوقفت امرأة عمرها ٢٢ عاما وكانت تعمل ممرضة لمجموعة من الأنصار . وقد صرحت بأنها عينت من قبل قائد المجموعة لتستعلم عن عدد الجنود الألمان وجنود الشرطة المساعدين المتمركزين فى قرية م.. » .

« وأوقفت ثلاث نساء روسيات ، من بينهم أم وابنتها كن تنتمين الى جماعة من الأنصار . وكانت مهمتهن الاتصال بعناصر الارتباط التابعة

---

(١) يسمى الغربيون الـ N.K.V.D. باسم البوليس السياسى . والحقيقة ان هذه الأحرف هى بدايات كلمات روسية تعنى : مفوضية الشعب للشئون الداخلية . أى أنها شبيهة بوزارة الداخلية ، ولقد أنشئت هذه المؤسسة فى عام ١٩٣٤ بعد الغاء الـ G.P.ou (الادارة السياسية للدولة) ــ المؤسسة عام ١٩٢٢ والتى يسميها الغربيون البوليس السرى الروسى . (المعربان)

للمجموعة فى سمفيروبول ، وجلب نتائج الاستطلاعات التى قام بها رجال تلك المجموعة ، والمعلومات التى حصلوا عليها وتصفية بعض الحسابات ، وقيادة المنعزلين فى الغابات . وكان لدى النسوة الثلاث ٤٣٧٧ روبلا ، كما أخفين فى بعض الأجزاء الخفية من أجسامهن بعض الأوراق التى تسجل أسماء عمال الارتباط الذين لابد من التماس معهم » .

« وقد صرحت فتاتان صغيرتان ، عمرهما ١٨ و ١٩ عاما أنهما جلبتا بالطائرة الى القرم للقيام بمهمة أوكلت اليهما من قبل مضلحة المخابرات الروسية . وقد حملتا معهما جهازا لاسلكيا وخرائط ، و ٣٢٠ ماركا ألمانيا وكمية كبيرة من المؤن . وكانت مهمتهما هى التالية :

« ١ — معرفة مواضع المطارات ، ومستودعات الذخائر والمؤن .

« ٢ — تحديد أهمية ونوع الحركة على الخط الحديدى دشانكوى — فوانكا ، الخ . . »

ثم نرى أن الأطفال أيضا خدموا كجواسيس بعد أن تلقوا تدريبا خاصا ، ففى ١٧ فبراير (شباط) ١٩٤٢ ، تلقى ضابط مخابرات هيئة أركان الجيش الحادى عشر تقريرا من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) يشير الى ما يلى : « فى ١٤ فبراير (شباط) ١٩٤٢ ، أعدمت فتاة عمرها أربعة عشر عاما بعد استجوابها لأنها نقلت معلومات الى أنصار منطقة كوش » .

ومصدر التقارير التالية هو الشرطة العسكرية السرية (المجموعة ٦٢٦) المتمركزة فى الجنوب . وتاريخ هذه التقارير هو ٢٥ سبتمبر (أيلول) و ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٣ :

«أوقف تلميذ اسمه ديريشنكو وعمره ١٢ عاما فى ضواحى ليشوفكا ، وانهار عند بدء استجوابه ، فأحيل الى الشرطة السرية العسكرية التابعة للفيلق ٥٧ المدرع ، وقد ثبت ، أثناء استجوابه أن ديريشنكو رغم صغر سنه ، قد قام بنجاح بمهمتين لمصلحة السوفييت . وكان يتلقى التعليمات من الملازم أول ايفان بروسانكو الذى كان يعيش مع أقربائه فى بولتافا . وكان ديريشنكو ينفذ الاستطلاعات العسكرية الاعتيادية ، ويراقب بصورة خاصة الحركة على الطرق . وقد أوصى بعدم أخذ مذكرات أبدا ، بل كان عليه أن يحفظ ويتذكر ما رآه . وأن يعود كل يومين أو أربعة أيام الى مكان معين على ضفاف الدينيبر حيث كان عليه أن يلتقى ببعض عناصر الجيش الأحمر . واستطاع ديريشنكو التنقل بحرية كاملة خلف الخط

الرئيسى للمقاومة ، الى أن أوقف أثناء محاولته اجتياز الخطوط للمرة الثالثة . وكان يحتك بالجنود الألمان وهو يتسول « وكان رئيسه يكافئه على أعماله بالخبز والسجائر والحلوى ، وقد وعد ببزة جديدة بعد قيامه بالمهمة الثالثة .

« وأعدم ديريشنكو من قبل الألمان » .

وهناك أيضا حالات خاصة منها :

« أقنع أحد الأولاد بالقيام بالتجسس وكان عمره ١٢ عاما . وقد جنده لهذا العمل قائد وحدة من وحدات الفرسان اسمه فيروتسك ايفان ، ودرب فى بيلغورود فى نفس الوقت مع ثلاثين آخرين من الفتيات والفتيان . وكان قد قام قبل ذلك بمهمة استطلاع فى منطقة خاركوف مع عشرة من رفاقه . ثم تلقى مهمة تحديد أماكن أراضى الهبوط ، ووحدات الدبابات والتدابير المفصلة المتخذة لحماية جسور منطقة بولتافا ـ ليسوايا ، مع اثنين من رفاقه ضل عنهما أثناء المسير ، وكان كل واحد منهم يحمل نجمة حمراء كوسيلة من وسائل التعارف وكان عليه اذا ما أوقفه الألمان أن ينكر وجود عائلته ، ويدعى بأنه يعيش على صدقات الآخرين » .

« أوقف طفل عمـــره أربعة عشر عاما ، كان قد قام بأربع مهمات تجسس ، وقد تبع التراجع الروسى فى فبراير (شباط) ١٩٤٣ . ودرب من قبل الملازم الأول بيلوسو نيكولاى ، الذى استخدمه فى البدء كخادم . وكانت مهماته الأربع الأولى تشتمل الحصول على معلومات عسكرية عامة فى شارزيساك ، قريبا من ستالينو ، وكانت مهمته الخامسة من نفس النوع ، وكان عليه أن يجلب هذه المعلومات الى منطقة ليسوايا . واجتاز الجبهة فى منطقة شارزيساك مع دليل . ثم ركب القطار دون أن يفتش . وكان هذا الفتى يتنقل دوما بوسائله الخاصة ، وهو مزود بالمؤن والمال . وقد وعد بوسام النجمة الحمراء وبوسائل حيـــاة سهلة بعـــد مهمته العاشرة » .

وليس هناك من سبب يدعونا للشك فى صحة هذه التقارير ، فقـــد أكدت الجريدة الرسمية السوفييتية نفسها « ان نساء وأطفالا يلعبون أيضا أدوارا هامة (فى حركة الأنصار) سواء كمقاتلين فعالين أو ككشافين أو مساعدين سريين فى القرى » (١) .

---

(١) « نحن أنصار » مقتطفات من العمل الذى قام به الأنصار السوفييت خلف الخطوط النازية وأخبار الحرب السوفييتية ، تصدرها مصلحة الصحافة التابعة للسفارة الروسية فى لندن (دون ذكر العام) ، ص ٨ . (المؤلفان)

واليكم أيضا ما يلى فى نفس المصدر الروسى :

« أما فيما يتعلق بالأطفال ، فان أكثر النقاد قسوة للنظام السوفييتى اضطروا الى الاعتراف بأن الاتحاد السوفييتى هو البلد الذى تقدم أكثر من غيره من البلدان فيما يتعلق بتحقيق رفاهيتهم . فليس من المدهش اذن أن يقدم الأطفال أنفسهم عفويا للقتال دفاعا عن النظام الذى منحهم كثيرا من المكاسب » .

ونرى أيضا ما يلى :

« لقد نقلت مجموعة من الأطفال ، بقيادة طفل عمره ١٢ عاما حشوة من الديناميت ، ووضعتها تحت جسر من الجسور مستفيدة من الظلام عندما كان الحارس يغط فى النوم ، ثم أشعل هؤلاء الأطفال جهاز الاشعال وانسحبوا الى الغابات . فدمر الجسر وتحول الى أنقاض صغيرة » (١) .

وقد اتسمت حرب الأنصار بقسوة لا تعرف الشفقة ولا الرحمة . والواقع ، أن الأنصار لا يمكن أن يستخدموا اللين مع العدو . فهم يقتلون الجرحى والأسرى لأنهم لا يستطيعون حملهم . فليس لهم أمل أبدا أن يعاملوا معاملة خاصة من خصومهم . وفى حرب من هذا النوع ، سيعانى منها كثير من الأبرياء . فالخصم الذى لا يستطيع القضاء على العصابات يهدد بأخذ الرهائن واعدامها رميا بالرصاص . فالأنصار السوفييت لم يكونوا ليهتموا بما يمكن أن يحدث للسكان طالما أن فى مكنتهم تعريض الألمان للخسائر . وقد ذكرنا سابقا ، كيف رسم أنصار مينسك خطة لتسميم الجنرال الألمانى الذى يقود أحد المواقع . وكانوا يملكون زراعات جراثيمية مخصصة لتلويث الآبار والمنشآت المائية فى المدن بشكل يستطيعون معه القضاء على قطعات الاحتلال الألمانية ، الا انهم يقضون على السكان المحليين بنفس الضربة . حتى انهم كانوا يضحون بأولادهم دون تفكير (٢) :

وليست هذه التضحيات الا جزء من الثمن الذى دفعته شعوب الاتحاد السوفييتى لنجاح أنصارها . فقد قتل آلاف وآلاف من هؤلاء

---

(١) عن نفس المصدر المذكور فى الصفحة السابقة ــ وعن كتاب ، قصص الحرب السوفييتية لشولوخوف وآخرين (لندن ١٩٤٤ ــ ص ٦٢ والصفحات التالية) .
(المؤلفان)

(٢) هذه هى الوطنية الحقة التى أشتهر بها شعب الاتحاد السوفييتى فى كل الأزمان ، عبر التاريخ عندما كان يتعرض لغزو خارجى . وهذه هى الوطنية الحقة وروح الفداء التى ينبغى ان تتمتع بها كل الشعوب المعرضة للعدوان . (المعربان)

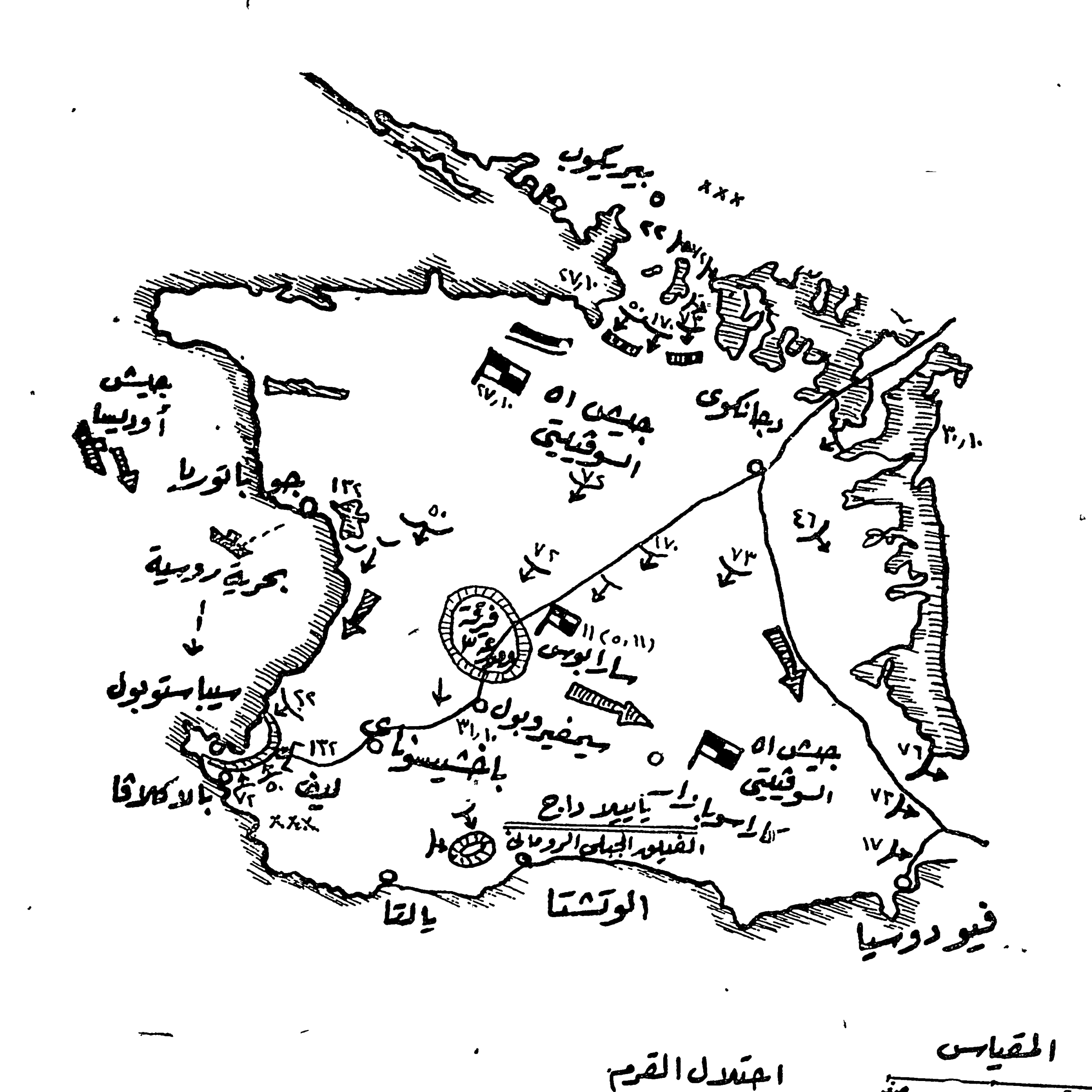
الأنصار وسلاحهم بأيديهم ، أو أعدموا رميا بالرصاص من قبل الألمان . كما نفذ حكم الاعدام بآلاف الأشخاص بحجة الاشتباه بأنهم من الأنصار . كما أخذ الألمان ألوفا أخرى كرهائن ، ولم تعد هذه الرهائن الى بيوتها بعد ذلك أبدا . الا أن الأنصـــار حققوا نجاحات باهرة ، وفى منتصف عام ١٩٤٢ كانوا أسيادا لمناطق متسعة خلف المؤخرات الألمانية . وفى تقرير مؤرخ فى ٣١ يوليه (تموز) ١٩٤٢ ، أشار قائد شرطة الجيوش الألمانية التابع للقيادة العامة الألمانية فى روسيا أن المناطق التالية يهددها الأنصار بصورة خاصة وذلك منذ نهاية يونيه (حزيران) ١٩٤٢ .

فى الشمال :

- منطقة المستنقعات جنوب شرق دنو .
- شرق منطقة كودوفا .
- المنطقة الجنوبية من أوبوتشكا .
- المناطق المحيطة بطرقات كراسنوى ــ شيش ــ واوبوتشكا ــ نوفورشوف .
- المناطق جنوب وغرب بوشكينسكى ــ جيرى .
- المنطقة المشجرة شرق جدوف وبصـــورة خاصة المنطقة شرق بيجوسا ، جنوب وشمال جدوف .
- المنطقة المشجرة شرق بلسكو .
- المنطقة المشجرة جنوب طريق ماراموركا واوكينوو .

فى الوســـط :

- المنطقة غرب فجاسما .
- المنطقة شمال جلوشا وبخاصة جنوب نوفيجى ــ تاراسوفيتشى .
- المنطقة شمال غرب ستارى دوروجى .
- المنطقة جنوب جلوسك .
- المنطقة شرق بوتشيب .
- منطقة بوبرويسك .
- المنطقة شمال الخط الحديدى كلينزى ــ أونيتشا .
- قطاع كينزى .
- المناطق شمال وشمال غرب سمولنسك .



احتلال القرم
١٠/٢٠ الى
١٦/ ١١/ ١٩٤١

المقياس
صفر ٢٥ ٥٠كم

خارطة تظهر المناطق التى تعمل فيها العصابات ، قطاع شـمانى ـ ديسمبر (كانون ثانى) ١٩٤١ ـ الخارطة للفيلد مارشال فون ليب .

ـ المنطقة المحيطة بتشرفين وبريزينو .
ـ المنطقة شمال شرق بولوزك بما فيها الخط الحديدى بولوزك ـ نيفيل والمناطق شمال غرب وجنوب شرق بولوزك .
ـ المنطقة حول لوجى ، وشمال غرب أورشا ، يسيطر الأنصار هنا على كل المنطقة بين طريق مينسك ـ موسكو وطريق أورشا ـ فيتبسك حتى سونو .
ـ المنطقة شرق فيتبسك .
ـ المنطقة جنوب أورشا .
ـ كل الطرق فى قطاع جوركى ـ دروبان .
ـ المنطقة حول شورافاتشى ، جنوب موجيليف .
ـ المنطقة حول لوبل .
ـ المنطقة جنوب شرق لجوبان .

فى الجنـــوب :

وهنا فان الخطر لا يوازى خطـر الأنصـــار فى المناطق الشـــمالية والوسطى ، الا انه قد حددت مواقع الأنصار فى المواقع والمناطق التالية :

ـ المنطقة جنوب خاركوف .
ـ المنطقة بقرب بولوفا .
ـ المنطقة المحيطة بنوفغورود ـ سوفيرسكى وهذه الأخيرة تقع تحت الاشراف الكامل للأنصار .
ـ الجزء الجنوبى من القرم .

وقال بونومارنكو : « فيما يلى أمثلة من العمليات التى قامت بهـــا العصابات ، وهى جديرة بأن تأخـذ مكانها فى تاريخ الحـرب الوطنية الكبرى : تدمير الأوكرانيين للقطعات التى تحرس الفـرع الحـديدى لسارنى ، وتدمير الجسور الكبرى على البتيش والدريسا ، واجبار حرس محطة سلافنوى على الفرار أمام انصـار بيلوروسيا ، وهزيمة موقع سلوتسك وتدمير الأهداف العسكرية التىتتبع هذا الموقع ، وتدمير انصار أوريل للجسور الكبرى فى نافليا وفيغونيتس بعد تدمير مخافر الحرس الألمانية ، والهزيمة التى لحقت بموقع محطة بريغورى على يد أنصار سمولنسك ، وتدمير القطارات الواقفة فيها ، وعمليات أنصار لينينجراد التى انتهت بموت الجنرال فون فيرتز ، والهزيمة الكاملة للمواقع الأربعة

لجزر بولشوى كريمينتس على يد الأنصار الفيلنديين والكاريليين (سكان جمهورية كاريليا ــ الفيلندية السوفييتية) ، وتدمير جسر سافكين ، والقضاء على موقع سوتوك من قبل أنصار كالينين ، وتدمير مقر قيادة الفيلق المدرع المتمركز فى أوجودسك زافود من قبل أنصار موسكو ، وعمليات سداتسنك التى انتهت بخسارة ١٢٠٠ ضابط وجندى ألمانى تابعين لفرقة القناصة الألمانية الثالثة فى جنوب القرم » (١) .

وليس من المفيد متابعة هذا التعداد . فيكفى أن نذكر أمر الفوهرر الذى أصدره فى ٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٢ المتضمن ما يلى : « لقد رمت العصابات بثقلها فى الشرق ، خلال الأشهر الأخيرة ، وشكلت تهديدا لا يحتمل ، يعرض خطوط تموينا للخطر الجدى » (٢) .

وكان ازدياد خطورة الوضع العسكرى بالنسبة للألمان يؤدى الى تشاط العصابات خلف الخطوط . ولو أخذنا تعابير أحد التقارير الرسمية لوجدنا ان وحدات الأنصار نبتت كالفطور عندما بدأ الألمان تنفيذ أوامر قائد القطاع الذى كان المبعوث العام للعمل ، تلك الأوامر الرامية الى جمع آلاف الروس القادرين بدنيا على العمل لارسالهم للعمل فى ألمانيا . وسنعطى فيما يلى تقديرا للخسائر المادية التى سببها الأنصار السوفييت للقوات الألمانية :

فقد كتب الجنرال بونومارنكو ما يلى : « طبقا للمعلومات الواردة ، وخلال سنتين من سنوات حرب الأنصار على مؤخرات الألمان ، قضى الأنصار على أكثر من ٣٠٠٫٠٠٠ جندى ، من بينهم (٣٠) جنرالا و٦٫٣٣٦ ضابطا و ١٫٥٢٠ طيارا . وخلال نفس الفترة أخرج عن الخط الحديدى ٣٫٠٠٠ قطار ، كما دمر ما يلى :

٣٫٢٦٣ جسرا من جسور الطرق أو السكك الحديدية و ١٫١٩١ دبابة وعربة مدرعة ، و ٤٧٦ طائرة ، و ٣٧٨ مدفعا ، و ٦١٨ عربة أركان ، و ٤٫٠٢٧ عربة نقل ، و ٨٩٥ مستودعا ومخزنا » (٣) .

---

(١) الجنرال بونومارنكو المذكور سابقا ، ص ١٠ . (المؤلفان)

(٢) نرى هنا أقوال هتلر مختلفة كل الاختلافات عن مفهومه السابق الغريب الذى كونه سابقا عن الوضع .. ففى ١٦ يونيه (حزيران) ١٩٤١ ، صرح هتلر فى مؤتمر صحفى حضره جورنج ، وكيتل ، وروزنبرج وآخرون من الزعماء النازيين : « ان لحرب الأنصار .. بعض الحسنات بالنسبة لنا ، فهى تسمح لنا بالتخلص من الأشخاص الذين يزعجوننا » . (المؤلفان)

(٣) عن الجنرال بونومارنكو ، ص ١٠ . (المؤلفان)

وفى منطقة لينتجراد وحدها ، وحتى مارس (آذار) ١٩٤٤ ، أكد الأنصار أنهم قتلوا ١٠٤٫٢٤٢ هتلريا ، ودمروا ١٫٠٥٠ قاطرة و١٨٫٦٤٣ سيارة وعربة قطار ودبابة (١) . وفى أوكرانيا وحتى نهاية المعركة ، يؤكد الأنصار أنهم قتلوا « ٣١٠٫٠٠٠ ألمانيا ودمروا ٤٫٠٦٠ قاطرة و ٣٩٫٧٠٠ عربة بضاعة، ونسفوا أو أحرقوا ٦٫٦٩٣ جسرا ، و ٨١٠ دبابات أو سيارات مدرعة، و ٤٢٢ مدفعا و ١٠٨ طائرات » (٢) وفى خلال ستة وعشرين شهرا من حرب العصابات فى القرم ، يؤكد الأنصار أنهم قتلوا (١٨٫٩١٠) ألمانيا من بينهم بعض الضباط (٣) .

ولا يقدم الألمان أى رقم يتعلق بالخسائر التى سببتها العصابات ، وينبغى بالطبع أخذ الأرقام المذكورة أعلاة كما هى ، ومع ذلك فقد حصلنا على بعض شهادات الضباط الألمان . فاليكم كيف كان المارشال فون مانشتاين يلخص التقارير التى وضعها له أركانه فى تلك الفترة :

« بدأ الأنصار يشكلون خطرا حقيقيا منذ أن احتللنا القرم فى أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤١ . ففى هذه المنطقة يقوم تنظيم سرى متطور ومعد منذ مدة طويلة . وليس هناك أدنى شك فى ذلك . ان الثلاثين كتيبة من كتائب التدمير .. ليست الا جزء من هذا التنظيم . والقسم الأعظم من الأنصار يوجد فى جبال ييلا ـ داغ . فلا بد أن آلافا منهم وجدوا من هذه الجبال ملجأ منذ البدء ... ومع ذلك ، فان هذا التنظيم ليس مقتصرا بأى حال من الأحوال على هذه الجبال . فلهذا التنظيم قواعد ومعاونين فى كل مكان ، وفى المدن بصورة خاصة .

«لقد حاول الأنصار الاستيلاء على خطوط مواصلاتنا البرية الرئيسية وكانوا يهاجمون المفارز الصغيرة أو الآليات المنعزله . وكان من المستحيل على الآليات أن تسير وحدها على الطرقات ، الأمر الذى دفعنا الى تنظيم الحركة على شكل قوافل .

« فطيلة الوقت الذى بقيت فيه فى القرم (حتى أغسطس (آب) ١٩٤٢) ، ولم يكن فى استطاعتنا ابعاد هذا الخطر . وعندما تركت القرم ، كانت العمليات الجارية ضد الأنصار غير منتهية بعد » .

---

(١) ك . فينوجراد سكايا ، المذكور سابقا ، ص ١٨٨ . (المؤلفان)

(٢) كوفياك The Army Quaterly ص ١٨٨ . (المؤلفان)

(٣) ف ـ بولاتوف فى « مجموعة » بونامارنكو ـ ص ٦٠ .

(المؤلفان)

وسئل الفيلد مارشال فون مانشتاين فيما اذا كان يستطيع تحديد عدد الهجمات التى كان يشنها الأنصار كل يوم فأجاب بما يلى :

« لا أستطيع أن أعطى رقما صحيحا ، الا أننى أتذكر على سبيل المثال أنه فى عام ١٩٤٤ ، فى مجموعة جيوش الوسط ، شنت ألف اغارة على الطرق الحديدية فى سبع ساعات . أما فى القرن ، فان إغارات من هذا النوع كانت تقع كل يوم » (١) .

وهكذا نرى أن الأنصار كانوا يشنون ١٠٠٠ اغارة فى سبع ساعات !! اذن فالأرقام التى ذكرها بونومارنكو لا تبتعد كثيرا عن الحقيقة .

ومع ذلك فلا يمكن أجراء حساب الخسائر التى تعرض لها الجيش الألمانى على يد الأنصار بحساب عدد القتلى والجرحى فحسب ، ولا بعدد المدافع والمخازن المدمرة . فينبغى أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا الخسائر الهائلة التى أصابت قوة الألمان القتالية وقدرتهم على الصدمة . ففى بادىء الأمر تعرضت معنويات الجندى الألمانى للانهيار لأن هذا الجندى يقاتل فى بلد من المحتمل أن يكون كل المدنيين فيه أنصارا ، فى بلد تشكل أية ضجة غير طبيعية فيه اشارة هجوم محتمل للأنصار . وعندما يخسر جيش يحارب بعيدا جدا عن قواعده ، وعتاده ووسائل نقله، تسبب له هذه الخسارة تأجيل هجوم معد . كما أن فقدان العتاد قد يمنع هذا الجيش من الثبات على مواقع دفاعية ، ويجعل من المستحيل عليه القيام بأية حركة تراجعية . كل شىء يمكن أن يحدث !! عندما لا تستطيع القطعات التنقل أو عندما لا تصل الوحدات الاحتياطية فى الوقت الملائم . « ففى فترة مؤلفة من ثمانية أيام فقط ، نسفت بضعة مجموعات من الأوكرانيين ثمانية عشر قطارا متجها نحو الجبهة .... ولم يبلغ أى قطار نقطة وصوله .. هكذا قال كريتسوك ، فى مجموعة بونومارنكو الذى أشرنا اليه سابقا » .. كما أن خسارة مستودعات التموين قد تضطر القيادة الى تخفيض المخصصات الغذائية اليومية للقطعات تخفيضا كبيرا . والتأثير الهام الأخير هو تناقص تعداد القوات الألمانية المقاتلة على الجبهة بعد سحب أعداد كبيرة منها للقتال على المؤخرات . وسنعطى بعض الأرقام المتعلقة بهذا الأمر فيما بعد . كما أن متانة هذه الجبهة كانت مهددة عندما لم يعد باستطاعة الألمان أن يسحبوا قطعات منها لمجابهة العصابات .

---

(١) مستقى من محاكمة فون مانشتاين أمام المحكمة العسكرية ، صفحة ١٩٢٣ والصفحات التالية .

(المؤلفان)

وبهذا الشكل نستطيع أن نذكر هنا التصريحات التى أدلى بهـا ضابط أركان ألمانى قديم ، هو العقيد هـ . ج . لوذندورف . حين قال :

« ان وجود نشاط الأنصار الذين يرتفع عددهم الى ١٥٫٠٠٠ فى منطقة أوشاتشى جنوب شرق بولوتزك ، فى قطاع جيش البانزر الثالث ، ان نتيجة هـذا الوجود والنشاط هو قطع طريق لوبل ى بريزينو ــ بارافيانوف (الذى يحاذى السكة الحديدية بين مولودتيشنو وبولوتزك) اعتبارا من شتاء ١٩٤٢ حتى نهاية ربيع ١٩٤٤ . وكانت هذه الطريق هى الطريق الوحيدة المؤدية من قطاع الجيش نحو الغرب عبر المنطقة الواسعة المحرومة من الطرقات ، والمغطاة بالأحراش والمستنقعات المنتشرة على جوانب الحدود القديمة الروسية ــ البولونية ــ .وكانت هـذه الطريق ذات أهمية حيوية ابتداء من اللحظة التى يقطع فيها العدو عمليا وكل يوم الطريق الأخرى الموجودة (وهى الخط الحديدى ــ وطريق أورشا ــ فيتبسك) . وقد دام هذا الوضع خـلال شـتاء ١٩٤٣ حتى فبراير (شباط) ١٩٤٤ ، فى اللحظة التى اضطر فيها جيش البانزر الى نقـل جبهتـه عدة كيلومترات الى الخلف ، كانت قوافل التموين لا تستطيع استخدام الطريق والخط الحديدى أورشا ــ فيتبسك ، وحتى نهاية ربيع ١٩٤٤ ، لم يستطع الجيش الحصول على قطعات كافية لتخليص هذا الشريان الحيوى وحراسته وابقائه مفتوحا للنقل ، رغم خطورة الموقف » .

ان هتلر لم يفهم أسباب انسحاب قطعاته من روسيا ، وقد أمرها « بالتشبث بالأرض » .

وهذا يثبت أنه كان عاجزا عن فهم ماهية حرب الأنصار . فقـد تضمن أمره « باربروسن » « سيقضى على الأنصار بدون رأفة » . الا أن الأنصار ردوا عليه بطريقتهم « بأنهم لا يهابون الموت » . وقـد برهنوا حقا على ذلك .

الفصل الثالث

تنظيم وتموين وتدريب الأنصار السوفييت

كتب مفوضو الشعب لروسيا البيضاء واللجنة المركزية للحـــزب الشيوعى فى روسيا البيضاء خلال الشهر الأول أو الثانى من الحـــرب الأمر التالى :

« الى كل اللجان ، لجان المدن ، لجان المناطق ، الى الحزب الشيوعى ، الى اللجان التنفيذية فى الأرياف ، الى المدن ، والأقسام ، والى مجلس العمل » .

« الهدف : تنظيم الدفاع الشعبى (الأنصار) »

« ان مجلس الشعب لروسيا البيضاء واللجنة المركزية للحـــزب الشيوعى تأمر بالتعبئة الفورية لوحدات الدفاع الشعبى (الأنصار) بغية دعم الجيش الأحمر طبقا لمرسوم الرفيق ستالين .

I ـ تنظيم الأنصـــار

« ١ ـ تشكل وحدات للأنصار فى كل المؤسسات وفى جميع المنظمات الحكومية أو الجماعية . وينبغى أن تتألف من الرجال والنساء والفتيان القادرين على القيام بالمهمات التى تقع على عاتق الدفاع الشعبى (الأنصار) .

ويتكون أفراد وحدات الأنصار من متطوعين وطنيين متعلقين بمؤسساتنا . وتصبح الوحدات المشكلة على هـــذا الأساس وحدات من المشاة أو الخيالة .

« ٢ ـ تتطابق وحدات الأنصار هذه مع الحدود الادارية للمناطق والمدن أو القرى . ويكون على رأسها قادة وحدات وهيئات أركان .

« ٣ – ينتقى قادة الوحدات من قبل المجالس المختصة من بين ضباط الجيش الأحمر الاحتياطى ، أو من بين الرفاق الذين تلقوا تدربا عسكريا جيدا ، أومن بين القادة السياسيين والأشخاص المنتمين الى تنظيم سياسى ، وبرهنوا على شجاعة وكفاءة واخلاص مطلق للقضية الاشتراكية .

« ٤ – تنقسم وحدات الأنصار الى سرايا وفصائل وجماعات .

« ٥ – تنظم هذه الوحدات كما يلى :

« (ا) بفصائل مسلحة بالبنادق لتدمير قوة القتال المعادية .

« (ب) بسرايا مسلحة بالقنابل اليدوية وبزجاجات المحروقات وتكلف بتدمير المدرعات والطائرات .

« (ج) بجماعات خاصة تكون خلف خطوط الأعداء ، وتتشكل بحيث تكون قادرة على تدمير السكك الحديدية والجسور ومستودعات الذخائر والمحروقات والتموين الخ ..

« (د) بوحدات استطلاع مكلفة بمهمات استطلاعية بالعمق خلف الخطوط المعادية .

« (هـ) بوحدات مشاة وخيالة واشـــارة مخصصة لتأمين الارتباط بين الجماعات وبين قادتها ومع وحـــدات الجيش الأحمر .

II – مهمات الأنصـــار

« ١ – ان المهمة العامة لوحدات الأنصار المشكلة من قبل سكان المدن أو الأرياف هى مقاتلة الفاشستية الألمانية ومساعدة الجيش الأحمـــر ، بمتابعة عملياته ، وتأمين سلامة خطوط تموينه ، وبالحفاظ على الارتباط مع مختلف عناصر السكان فى المـــدن والمصانع ووحـــدات الاقتصاد الجمـــاعى ، وتأمين حماية الجسور الخ ..

« ٢ – تنظيم وتنفيذ عمليات حربية بالارتباط مع القطعات العسكرية والمظليين .

« ٣ – بناء تحصينات بغرض الدفاع ضد العدو .

« ٤ — وأخيرا ، على الأنصار استطلاع أرضهم حتى يعرفوها معرفة كاملة وعليهم تدمير مستودعاتهم ومحروقاتهم وشبكات اتصالاتهم ، اذا ما قام العدو بهجوم ، حتى لا يقع فى يد العدو شيء يستفيد منه .

III — التموين

« ١ — ان المشروعات والتنظيمات الاقتصادية الجماعية هى أساس تعبئة الأنصار فهى التى تزودهم بالمؤن وبالملابس . ويتسلح الأنصار من تلقاء أنفسهم بالأسلحة التى يجدونها محليا بين السكان : بالبنادق ، والقنابل والمسدسات والخناجر ، والفؤوس ، والمناجل ، والجواريف ، وزجاجات المحروقات ، تبعا للمهمة التى سيتلقونها .

« ٢ — ويتجهز الأنصار من تلقاء أنفسهم بالآليات وبأجهزة الاتصال .

IV — التدريب

« تتلقى وحدات الأنصار ، فور تعبئتها ، مهماتها من قادتها المباشرين أو من المفوضين . ويسهر المفوضون على أن يكون التدريب سريعا (استعمال البنادق والرشاشات والقنابل) ويتمرنون على مبادىء التكتيك الأولى بشكل يستطيعون تطبيقها فى حالة الصدام مع العدو .

V — القيادة

« تشكل أركان خاصة للعصابات من أشخاص ينتمون الى اللجان التنفيذية والى مجالس الشعب (مناطق ، أقسام ، مدن ، قرى) » .

ولا ينبغى اعتبار هذا التوجيه كنظام : فقد انتظم الأنصار فى الواقع ، بشكل مختلف وبطريقة أخرى ، أفضل تلاؤما مع مهماتهم من هذا التنظيم الجامد الذى يتضمنه هذا التوجيه . ولقد سردناه هنا ، لا لقيمته التاريخية فقط بل لنظهر أيضا أن تنظيما كهذا التنظيم ، من الممكن بناؤه على مبدأين مختلفين : جمود التوجيه المذكور أعلاه أو مرونة حركة المقاومة الحمراء كما شكلت فى النهاية .

ولكي نفهم جيدا تنظيم حركة المقاومة السوفييتية ، ينبغى أن نحفظ فى ذاكرتنا النقاط الثلاث التالية :

١ ـ كانت عصابات الأنصار مشكلة تقريبا من سكان محليين قاتلوا فى المنطقة نفسها طيلة الحرب .

٢ ـ كان الاعتماد الأساسى مبدئيا على المتطوعين .

٣ ـ لم تتطور الحركة فى الحقيقة تطورا هائلا الا بعد بدء القتال وعلى مراحل .

ومن الطبيعى أن جيشا نظاميا يتشكل بصورة مختلفة عن تشكيل الأنصار . ان ألوية الجيش فى المناطق تعبأ عادة من سكان هذه المناطق الا أنها تستكمل عددها بعدد من الغرباء عن منطقتها . كما ان المنطقة التى تتمركز فيها هذه الوحدات ليست ساحة المعركة الطبيعية . ولا تشتمل الجيوش الا على عدد صغير من المتطوعين أثناء الحرب ، على الأقل (١) . فمعظم الجنود هم من الجنود الاحتياطيين الذين تستدعيهم القيادة وتعبئهم . وينظم ضباط الجيش أثناء السلم ، ويحدد عددهم كما تحدد اهميتهم فى الحرب على المستوى الحكومى .

ولا تنطبق كل هذه النقاط على وضع العصابات لذا لم تستطع عصابات الأنصار السوفييت تنظيم نفسها تنظيما جامدا طبقا للتوجيه الذى ذكرناه . والواقع ، ان عدد وقوة وأهمية العصابات تبدلت حسب الظروف المحلية ، كما ان تبعيتها وانضباطها كان برضى الأنصار وقبولهم الارادى الحر ، لا بالزام نابع عن الأنظمة القاسية والقوانين المفروضة . وكان على الاطار العضوى لهذه المنظمات أن يتلاءم من تلقاء ذاته مع تغيرات التعداد أو الملاك ، وقبول الاطارات ، بدلا من أن يحاول تنظيم نفسه طبقا لخطة موضوعة سابقا .

وهناك نقاط هامة أخرى ينبغى أخذها بعين الاعتبار . فالجيش فى الميدان لا ينتقى دوما ساحة معركته ، بينما يملك الأنصار دوما اختيار

---

(١) تكون نسبة المتطوعين ، أو الجنود المحترفين فى الجيوش أثناء السلم ، نسبة معينة ، قد تختلف هذه النسبة من سلاح الى آخر ، أى بين المدفعية والمدرعات من جهة مثلا باعتبارها أسلحة فنية ، والمشاة من جهة أخرى ، وتختلف نسب المتطوعين فى الجيوش أيضا تبعا لوضع البلاد وتقدمها الاقتصادى . وتعتبر نسب المتطوعين دوما فى الأسلحة الفنية ـ كالطيران والصواريخ اعلى نسبة فى كل جيوش العالم .
(المعربان)

المكان والزمان (١) . ولقد انتقت العصابات دائما أهدافا تتلاءم مع امكانياتها . لذا كان التعاون والتنسيق مع العصابات الأخرى محدود .

بالاضافة الى ذلك يحتل الجيش دائما جبهة متصلة بينما يعمل الأنصار بنظام منتشر . لذا فحاجتهم الى نظام تنسيق مع الجوار أقل بكثير من حاجة الجيش لهذا النظام . ويزداد صدق هذا القول لسبب آخر هو أن تعرض عصابة من الأنصار للفشل يجعلها تتحمل وحدها نتائجه ، ولا تؤثر هذه النتائج بالضرورة على بقية العصابات ، بينما نجد العكس فى الجيش النظامى حول هذا الموضوع . ففى حرب الأنصار ليس من الضرورى تحديد خطوط أو مناطق يجب مسكها ، وليس لموضوع خلق السلطة العليا والتسلسل العسكرى المدروس سوى أهمية ثانوية فى حرب الأنصار .

وتتمتع العصابات أخيرا باستقلال ذاتى واسع . فهى تتمون بنفسها ، ولا تحتاج الى بزات أو أسلحة ثقيلة أو وسائط نقل . ويتكون مصدر الأسلحة الخفيفة للأنصار وذخائرهم من عمليات الاستيلاء على أسلحة العدو ، كما ان نجداتهم نجدات محلية ، وليس لقطعاتهم وحدات احتياطية أو معسكرات ثابتة . والتنسيق المعروف فى الجيوش النظامية بين المؤخرة وعناصر التموين ، تنسيق مخفف الى الحد الأدنى ، ولا يتطلب اقامة جهاز خاص .

ولكل هذه الأسباب ، فان حرب الأنصار لا تخضع لقواعد جامدة ، وقد فهم السوفييت أخيرا هذه الحقيقة فهما جيدا .

ان أصغر وحدة عضوية هى العصابة أو المفرزة . ومن الصعب أن نقول كم كان هناك من هذه الوحدات ..

فالجنرال بونومارنكو يتكلم عن مئات الألوف من هذه المفارز . وكانت هذه العصابات تشتمل على رجال ونساء وأطفال أحيانا . ويعطى أحد تقارير الأركان الخاصة المضادة للأنصار فى القرم التفصيلات التالية :

« لا تتضمن عصابات الأنصار فى القرم الا عددا ضئيلا من أفراد الجيش الأحمر ، فمعظم الأنصار شيوعيون متحمسون ، اختيروا ودربوا

---

(١) لا يملك الأنصار دوما اختيار المكان والزمان ، فاذا كان عملهم مرتبطا بمسرح عمليات اخذوا على عاتقهم مهمات تكتيكية متوافقة مع مهمات الجيش ومنسقة معه ، ولكن فى حدود المنطقة التى يعملون فيها .

(المعربان)

فى السابق ، وتضمهم جماعات تختلف أهميتها حسب التعليمات المتلقاة . .
وقادة هؤلاء الأنصار غالبا شيوعيون احتلوا مناصب عالية فى الحياة المدنية . والحقيقة هى ان طبقة « الانتليجنسيا » الروسية فى القرم ، هى التى جندتهم ، لأنها كانت تحتل المراكز الهامة فى النظام الشيوعى . وهذا يعنى ان الأنصار يملكون قيادات حسنة لا تتردد فى استخدام كل الوسائط ، بما فيها الانتحار . حتى لا تقع بين أيدينا (١) »

وفى نهاية نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ ، كانت مصلحة المعلومات الألمانية تقدر عدد الأنصار فى القرم بثمانية آلاف رجل . وقد نظموا فى القرم منذ البدء وحدات قتال جيدة ، وذلك بفضل التدريب التقنى والتعبوى الذى زودوا به من قبل متقدميهم الذين كانوا يملكون تجربة حرب العصابات ، وبفضل الحرس الأحمر الوطنى الذى كان منظما فى كتائب تدمير ، كانت نواة تنظيم المقاومة الجديد .

ولقد استعد السوفييت لحرب العصابات قبل بدء القتال . ولم يكن هذا الاستعداد استعدادا متماثلا فى كل المناطق ، بل كان متلائما مع الشروط المحلية . ففى أوكرانيا والقرم ، كان لحرب الأنصار تقاليدها . فقد نشبت فيها معارك متعددة أثناء ثورة ١٩١٧ . ففى هذه المناطق درب الأنصار الجدد من قبل قادة الأنصار القدماء ، وعندما دخل الألمان فى القرم ، عام ١٩٤١ اصطدموا مع الأنصار فى نفس الأماكن التى اشتبك فيها الأنصار السابقون مع القوات القيصرية قبل عشرين سنة . وفى مناطق أخرى ، كانت حرب الأنصار هدفا لتمارين خاصة . وقد صرح أحد أفراد مفرزة استطلاع تابعة لمجموعة الجيوش (ب) ، بما يلى :

---

(١) تسير الطلائع (أحزاب ، جماعات ، تنظيمات ، تشكيلات .. الخ) فى جميع البلاد أمام الجماهير ، وتزداد مهمات أفرادها ومسئولياتهم وتضحياتهم مع ارتفاع مستواهم ووعيهم عن مستوى الجماهير العادية ، لذا يعمل هؤلاء الأفراد عملا مضاعفا فى السلم ويضحون براحتهم وسعادتهم ومكاسبهم لخدمة قضية الأمة ، ورفع مستواها وليثبتوا أن لوجودهم فى الحكم ما يبرره .. ، أما فى الحرب فتقفز الطلائع الى خطوط النار الأولى ، وتقاتل ببسالة أمام الجيوش لا خلفها ، وتأخذ على عاتقها المهمات الفدائية وراء خطوط العدو ، وتبذل دماءها رخيصة على أرض الوطن ، مؤكدة من جديد اخلاصها لقضية أمتها ، وجدارتها بالمركز القيادى الذى تحتله . لقد دلت تجارب الحرب العالمية الثانية على أن الطلائع الحزبية السوفييتية وغيرها كانت دائما على رأس الغصابات ، كما كانت دائما من أبسل العناصر فى الجيوش النظامية .. وعلى الأحزاب والجماعات والتنظيمات والتشكيلات العربية أن تثبت لأمة العرب فى محنتها الراهنة أنها طلائع حقيقية ، تستحق حمل هذا الاسم المقدس .

(المؤلفان)

« فى يناير (كانون ثانى) وفبراير (شباط) ١٩٤١ أوكلت الى مهمة فحص ومراجعة الجريدة الرسمية للجيش السوفييتى ، **النجمة الحمراء** ، كما أوكلت الى مهمة التقاط الاذاعات اللاسلكية للجيش الأحمر — قبل بدء العمليات على الجبهة الروسية بستة أشهر — وعن طريق عملى هذا ، علمت فى تلك الفترة ان مناورات كبرى للأنصار قد جرت فى عدة مناطق للاتحاد السوفييتى ، وبخاصة حول موسكو وفى المنطقة الغربية واشترك فى هذه المناورات السكان المدنيون » .

وكانت قيادات ومجموعات ضباط العصابات تأتى من كتائب التدمير الموجودة منذ بداية الحرب ، ولقد جندت هذه الكتائب من الجماهير العاملة ، وربطت بالجيش الأحمر طيلة الوقت الذى يكون فيه الجيش الأحمر فى مناطقها . وعندما كان من الواجب الاستعداد للقتال التراجعى ، تلقت هذه الكتائب مهمة تدمير خطوط المواصلات والمحصولات .. الخ وعندما أخلى الجيش الأحمر القطاعات التى كانت تعمل فيها هذه الكتائب بقى عدد لا بأس به منها فى مكانه للشروع بعمليات العصابات .

وكان أفرادها يجيدون التخريب بكفاءة عالية . وعندما كانوا مرتبطين بالجيش كانوا يتلقون أيضا مهمات استطلاع ، ومهمات قتال ضد المظليين أو المفارز المنقولة جوا ، اذ كانت هذه الكتائب مدربة بصورة خاصة على العمل ضد وحدات منعزلة معادية . كما كانت تملك السلاح اللازم لذلك . وهكذا وجد الأنصار فى صفوفها قيادات لها أهميتها .

وكانت الكتائب تحت قيادة ضباط محترفين . وتشتمل كل كتيبه منها على سريتين مؤلفتين من ٢٠٠ — ٢٢٠ جنديا مسلحين بالمسدسات الرشاشة ، والبنادق والبنادق الآلية ، والرشاشات الثقيلة والخفيفة والهاونات ، والقنابل اليدوية والألغام والمتفجرات .

وقد أضحت هذه الأسلحة بعدئذ الأسلحة الطبيعية للعصابات . وأضاف الأنصار اليها « مسدس العصابات » وهو عبـــارة عن بندقية عسكرية قصيرة سهلة الحمل تحت المعطف .

وفى نهاية عام ١٩٤١ ، قدر الألمان عدد كتائب التدمير العاملة فى القرم بـ ٣٣ كتيبة ، تعمل تحت قيادة أركان معروفة باسم قيادة الأنصار . وفى البدء ، كانت هيئة الأركان هذه تشتمل على قائد عسكرى ، ومفوض ومن ٤٠ الى ٦٠ ضابطا ، وعناصر ارتباط ووحدة حماية .

وقد تحول هذا الاطار العضوى وتطور طبقا لتطور حرب الأنصار .

ويبدو ان بضعة كتائب من كتائب التدمير بقيت فى مكانها لفترة من الزمن ، لأن عددا من الوثائق الألمانية يشير الى اشتباكات معها ، الا أن معظمها اندمج بالأنصار بعد ذلك . ومع ذلك فان عددا كبيرا من العصابات قد تشكلت لوحدها دون مساعدة هذه الكتائب .

ثم أضيف تسلسل وسيط الى جداول الملاكات . الا أن هـــذه الاضافة لم تعمم ، ولم تطبق الا فى الوحدات التى فرضت الضرورات الخاصة وجودها .

ونظرا لطابع هذا التسلسل الاضافى الارتجالى ، فانه لم يكن متماثلا أبدا . فمدن مثل سيباستبول أومينسك خلقت بنفسها فصائل أنصارها ومفارزها الاقليمية أو مراكز قيادتها الخاصة . وفى القرم ، كان هناك على الأقل أربعة قيادات مناطق ، وارتفع العدد فى بعض الأحيان عن ذلك . وأخيرا فان بعض المفارز شكلت مفارز أصغر منها ووحدات للعمال .

أما الأنساق الأصغر ، أى المفارز الريفية ، وكتائب التدمير وفصائل المدن فقد كانت تشكل وتعد الرجال المقاتلين . وتتضمن الأنساق الأعلى الأركان ومراكز القيادة . أما أركان الأقسام فقد كانت تنظم مراكز قيادات العمليات لتنفيذ عمليات مشتركة تساهم فيها عدة مفـارز . وكانوا يعطون فى بعض الأحيان أوامر عمليات لمفارز منعزلة. وبالاضافة الى ذلك، كانت كل المفارز ترفع الى مراكز قيادات العمليات تقاريرا عن نشاطها . وكانت هذه المفارز تقدم خطتها الميدانية العامة ، التى لابد من التصديق عليها عندما تمس المشروعات أو تتعلق بالمفارز المجاورة . وكانت هيئات أركان الأقسام مؤلفة من عشرين شخصا تقريبا .

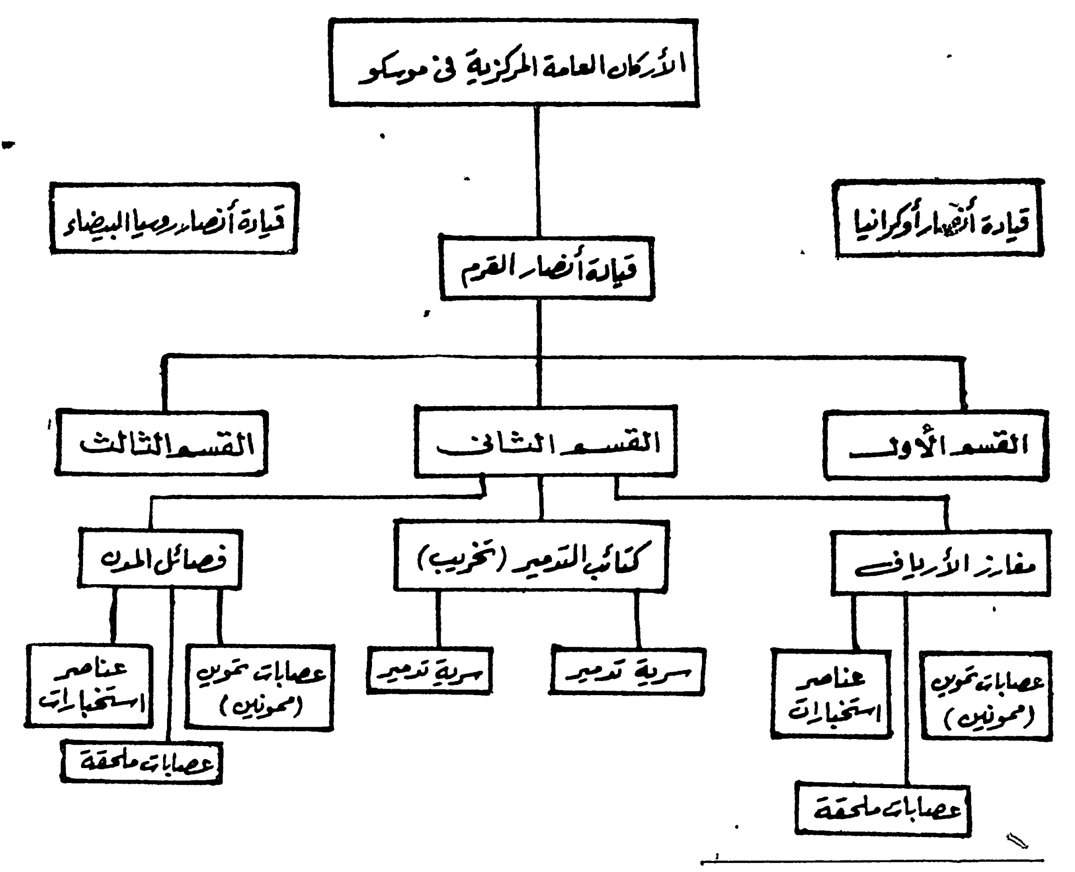
ولم تكن الأنساق الدنيا تتلقى أوامر من أركانات الأقسام فقط ، بل كانت تتلقاها أيضا من اللجنة المركزية للحزب ، ومن الجيش الأحمر ، كما سنرى فيما بعد . ان هذه المرونة الكبرى فى التسلسل تظهر بوضوح مرونة الاطار العضوى . فاذا كان العسكريون المحترفون لا يقرون تنظيما من هذا النوع ، فاننا نؤكد لهم ان هذه المرونة لم تخفض فاعلية العصابات السوفييتية . واذا كان للجيش ، أو الحزب ، أو أركانات الأقسام الحق فى اعطاء المهمات للعصابات ، فذلك بالطبع يعنى ان وحدات الأنصار هذه كانت تحت تصرفهم . ولكى نحكم بالنتائج ، نرى ان وحدات الأنصار نجحت فى خدمة كل هؤلاء بصورة كاملة .

وهناك أيضا أركانات أعلى كان دورها اعداد الخطط . والقيـــادة

العامة للأنصار ، والمسماة الأركان العامة المركزية لحركة الأنصار ، كانت تعمل فى موسكو تحت امرة الجنرال بونومارنكو (١) .

وكانت هناك كثير من المفارز المستقلة استقلالا كاملا . وكانت هذه المفارز اما صغيرة جدا ، لا مكان لها على خرائط الأركان العامة المركزية ، أو انها شكلت فى اللحظة الأخيرة بهدف مساعدة الجيش الأحمر بعد أن استعاد بعض المواقع فى بعض القطاعات . وكان هناك أيضا أنصار لا ينتمون لأية مفرزة ، الا انهم كانوا يعملون لحسابهم الخاص ، ثم كان هناك جماعات صغيرة ، كان أعضاؤها يتابعون أعمالهم العادية التى كانوا يقومون بها زمن السلم ثم يلتحقون بالعصابات للقيام بعملية من العمليات عندما تسنح لهم فرصة ملائمة . وكان هؤلاء يعملون بوحى من بديهتهم الخاصة مع المحافظة على استقلالهم .

والآن ، وبعد أن عرفنا الميزات الأساسية لحركة الأنصار الحمر ، بامكاننا أن نرسم لها اللوحة التنظيمية التى سنقدمها فيما بعد .



(١) انظر الرائد شيفر (الصراع ضد العصابات) هامبورجر فريمدنبلات رقم ١٦٧/ يونيه (حزيران) ١٩٤٣ وميكشه المذكور سابقا ص ٤٦ .
(المؤلفان)

لم يكن للرتب العسكرية التى يحملها الضباط أى وزن فى تسلسل الأنصار . فقائد القسم الرابع فى القرم ، كان فى البدء لواء ، بينما كان رئيسه قائد أنصار القرم ، يحمل رتبة مقدم ، وهكذا نرى أيضا ان مفرزة تعمل فى القرم يقودها عقيد . وقد كانت هذه المفرزة الأخيرة قد تشكلت من بقايا الوحدات الحمراء التى قامت بالانزال فى سوداك .

ولقد أثبتت التجارب ان على العصابات أن تتبنى تسلسل مرنا جدا اذا شاءت العمل بنجاح . ففى حرب العصابات الروسية ، استبدلت قواعد التسلسل الجامد بقانون التعاون المرن .

ولقد كان الحزب الشيوعى عاملا من العوامل الحاسمة فى انشاء هذا القانون ، لأن الحزب فى الواقع أخذ الأنصار على عاتقه وبالشكل التالى :

١ ــ كان الحزب يتوجه الى المواطنين لتشكيل الأنصار منذ أن تقرر تشكيلهم .

٢ ــ كان الحزب يعين قواد المراتب العليا ، والقواد الوسيطين ، وقود المفـــارز .

٣ ــ كان الحزب ممثلا ، فى كل المفارز ، بمفوضين سياسيين وبأعضـــاء الحزب المحليين .

٤ ــ كان الحزب يدير العمليات .

ولننظر الى ذلك عن قرب . يؤكد م . أ . كريتسول فى « مجموعة بونومارنكو» مايلى : « كان لمفارز الأنصار ارتباط وثيق مع التنظيم السرى للحزب » . ويبدو ان هذا المؤلف يسيء تقدير أهمية هذه الروابط . مع اننا رأينا ان الانتليجنسيا الشيوعية زودت وحدات الأنصار بقياداتها . وكان قادة هذه الوحدات فى الواقع يعينون من قبل لجان الحزب . وكانت اللجنة تستدعى أولا الى مكاتبها السكان القادرين على الالتحاق بحركة الأنصار ، ثم تعين قائد المفرزة ، وأخيرا تشكل العصابة . وطبقا لمصدر رسمى ، نستطيع القول انه « يقود العصابات فى معظم الحالات ، سكرتير اللجنة المحلية للحزب ، أو رئيس اللجنة التنفيذية الريفية ، أو مدير مكتب مزرعة جماعية . . أو أحد أعضاء هذا المكتب » (١) . وكانت تنظيمات

---

(١) عن كتاب « نحن أنصار » المذكور سابقا ص ٩ .

(المؤلفان)

الحزب المحلية ، فى البدء ، التنظيمات الوحيدة التى تعرف وجود ومواقع مختلف العصابات المشكلة . وعلى هذا الأساس فان من الطبيعى أن يصبح عضو من أعضاء الحزب ضابط ارتباط مع العصابات المتمركزة فى القطاع ، وأن يكون رئيس أركان وحدات الأنصار عضوا فى اللجنة المحلية للحزب(١) . وعندما يتم تشكيل العصابات ، تشرف عليها اللجان المحلية أطول وقت لازم وممكن . وكانت اللجنة تأخذ على عاتقها تجنيد العناصر وهى التى تؤمن الأسلحة ، والأدوات الصحية ، والأجهزة اللاسلكية ، ومن المحتمل أن تكون مكلفة أيضا بايجاد الأموال اللازمة . حتى ان الكومسومول (منظمات الشبيبة) وتنظيمات الفتوة الشيوعية ، كانت تساهم أيضا فى هذا العمل : ومن صفوف هذه المنظمات الأخيرة ، خرج فتيان صغار استخدمهم الأنصار (٢) . لجلب أو نقل المعلومات .

وبعد أن عرضنا تأثير الحزب على المستويات الصغيرة جدا ، والمستويات الوسيطة ننتقل الى لجان الحزب الأعلى . وكانت هذه اللجان تمارس نفوذها وسلطتها بأسلوبين :

١ ــ كان سكرتير الحزب يقود جميع العمليات التى تبحث فى القيادة العامة للأنصار فى موسكو (٣) .

٢ ــ كانت لجان المناطق المركزية ، تنشىء أوامر العمليات التى كانت ترسلها الى المفارز المختصة .

ولقد صرح الجنرال كوفباك بما يلى :

« لقد أعطتنا اللجنة المركزية للحزب الشيوعى فى أوكرانيا مهمة الانتقال الى الكاربات ومهاجمة آبار بترول دروجوبيتش » .

الا ان « الارتباطات » مع الحزب كانت وثيقة أكثر من هذا ، فقد كان على أعضاء العصابات المتعددة أن يقسموا على طاعة أوامر الحزب ، وهناك صيغة ينبغي على الأنصار أن يوقعوها ، تحتوى على الجملة التالية : « سأبقى وفيا لبلادى ، وللحزب ولزعيمى ورفيقى ستالين ،

---

(١) انظر ب . ك ايغناتوف المذكور سابقا ص ١٢٢ . (المؤلفان)

(٢) انظر الجنرال كوفباك المذكور سابقا ص ٢٣ وايليا كوزين المذكور سابقا ص ٨ . (المؤلفان)

(٣) ذكرها ميكشه المذكور سابقا ص ٤٦ . (المؤلفان)

حتى الموت » . وقد صنعت الأربطة السياسية الأقوى من قبل المفوضين السياسيين والمعلمين السياسيين . وبصورة عامة ، كان المفوضون السياسيون معروفين فى الجيش ، وكانوا فى الجيش عبارة عن ممثلى الحزب داخل هذه المؤسسة الهامة ، مهمتهم الاشراف عليها ونشر العقيدة السياسية فى صفوفها . وكانوا متغلغلين فى كل الوحدات حتى مستوى السرية ، ويحملون رتبة ضابط . وكان هؤلاء المفوضون السياسيون يرتدون بزة باشارات خاصة تشتمل على نجمة حمراء واحدة ، ومنجل ومطرقة ، وكلها مطرزة على الكم . وكان المعلمون السياسيون أيضا مفوضين الا انهم كانوا من مرتبة ضباط الصف . ولم يكن المفوضون السياسيون والمعلمون السياسيون تابعين للقادة العسكريين فقط ، لأن لهم تسلسلهم الخاص . وكانوا يعتبرون أنفسهم أكثر المقاتلين حماسا فى الجيش الأحمر .

ان عددا لا بأس به من كتائب التدمير ، كانت تحت قيادة مفوضين سياسيين ، حتى عندما كانت هذه الكتائب مرتبطة بالجيش . وقد بقى المفوضون فى الجيش كموظفين سياسيين منذ أن أصبحت هذه الكتائب وحدات عصابات . كما ان بعض المفوضين الآخرين عادوا فالتحقوا بهذه الكتائب فيما بعد . ويبدو أن عدد هؤلاء المفوضين السياسيين كان كبيرا جدا طبقا لتقديرات الوحدات الألمانيـــة المخصصة لمكافحة العصابات . ويبدو ان كل المفارز ، بما فيها المفارز الصغيرة جدا ، كان لديها مفوض سياسى (١) وبفضل هؤلاء المفوضين السياسيين استطاع بونومارنكو وصف حركة الأنصار بأنها حركة « متطورة سياسيا » .

بهذا الشكل كان الحزب الشيوعى يشرف على حركة الأنصار من أكبر المستويات الى أصغرها . وكان كل شىء يأتى من الحزب ، القيادة والعقيدة والعون المادى . ويبدو ان الايحاء الروحى المنبعث عن الايديولوجية الشيوعية كان من الأهمية بمكان كبير . فالحماس الثورى والجرأة والشجاعة فى القتال ، والمهارة والعناد ، هذه الصفات التى يتسم بها الأنصار السوفييت ، كانت مستوحاة من الحزب ، وأخيرا فان عددا كبيرا من المفوضين السياسيين ، ضربوا المثل للآخرين وأعطوا درسا فى التجرد ونكران الذات لصالح وخير الايديولوجية اللينينية ـ الستالينية .

---

(١) حتى مفرزة ايليا كوزين التى كانت تشتمل على ١٦ جنديا ، فقد كان لها مفوضها السياسى .

(المؤلفان)

فحركة الأنصار الشيوعيَة كانت اذن ، وعلى كل المستويات تنظيما مرتبطا بالحزب الشيوعى . ومن المستحسن أن نتذكر ذلك على الدوام . فاذا دخل الاتحاد السوفييتى والصين الحرب ، فى يوم من الأيام ضد بلد آخر ، فان الحزب الشيوعى لهذا البلد سيكون مكلفا بالقيام بالمهمة التى تحددها موسكو . وسينظم هذا الحزب وحدات من الأنصار تقاتل جيشها الوطنى (١) .

وها هنا نقطة هامة تستحق بعض الاستطراد . فليس على سبيل الاتفاق والمصادفة ان الحزب الشيوعى احتكر كل حركات المقاومة فى معظم البلدان التى تطورت ونمت فيها هذه الحركات أثناء الحرب العالمية الأخيرة . فالأمثلة عن ذلك كثيرة جدا لا يمكن تعدادها هنا .

ولكننا سنتحدث قليلا عن الصين ، فهى مثال واضـــح لما نقول . عندما كان بنغ — تى — هواى يقـــود الجيش الأحمر الصينى قـــال لادجارسنو ، أثناء مقابلة صحفية : « لم تكن حرب العصابات قادرة على النجاح لو لم تعمل فى الصين تحت القيادة الثورية للحزب الشيوعى ، لأن هذا الحزب هو التنظيم الوحيد الراغب بتحقيق آمال الفلاحين وهو قادر على ذلك ، لأنه يعرف كيف يقوم بعمل سياسى ضخم وثابت بين أوساط الفلاحين ، ولأنه يستطيع الحفاظ على وعود دعايته » (٢) . ولقد قال ماوتسى تونج أيضا : « وهكذا نستطيع أن نفهم لماذا كانت هذه الكفاحات الثورية المستمرة .. عملا من أعمال عصابات الفلاحين الذين يقودهم الحزب الشيوعى الصينى » (٣) فلنبدل كلمة الفلاحين بكلمة البروليتاريا ، حتى نحصل على صيغة شاملة قابلة للتطبيق فى البلاد الصناعية الغربية .

---

(١) هل يمكن أن نعتبر قتال أنصار وثوار ڤيتنام الشمالية ضد جيش ڤيتنام الجنوبية المدعوم بالقوات الأمريكية الامبريالية قتالا ضد جيش وطنى ؟ . ان فى عداد جيش ڤيتنام الجنوبية نفسه اعضاء لجبهة التحرير الوطنية الڤيتنامية يقاتلون ضد الوجود الأمريكى وضد تدخل الولايات المتحدة الأمريكية . أفمن الممكن اعتبار جيش ڤيتنام الجنوبية جيشا وطنيا وهو يرى بأم عينيه الغارات المتتالية التى تقوم بها القوات الجوية الأمريكية ضد شعب ڤيتنام المناضل فى الشمال ؟ وهل يريد هذان المؤلفان من ثوار ڤيتنام أن يستسلموا أمام جيوش امبريالية تحارب ضد حركة التاريخ ، وضد العدل الانسانى ، بحجة أن عليهم عدم محاربة جيوش بلادهم حتى ولو لم تكن على صواب ؟؟ ان للكتاب الغربيين منطق عجيب حقا ! (المعربان)

(٢) ادجار سنو : (لندن ١٩٣٧ ، ص ٢٨٤) . (المؤلفان)

(٣) ماوتسى تونج : الثورة الصينية والحزب الشيوعى الصينى (بومباى ، ١٩٥٠ ص ١٥) .

(المؤلفان)

ولكى نعود الى حركة الأنصار السوفييت ، ينبغى علينا أن نتحدث قليلا عن نفوذ N.K V.D. (أو ما يسمى البوليس السياسى) (١) فهو ممثل بقوة على كل مستويات حركة الأنصار ، كما ان كثيرا من عملائه قاتلوا فى صفوف الأنصار . ولكن ليس هناك من سبب يدعونا الى الاعتقاد بأن ارتباط البوليس السياسى N.K.V.D. بالعصابات كان أقوى من ارتباطه بأية حركة أخرى كان يشرف عليها .

ان تعداد وحدات الأنصار كان يتبدل بصورة هائلة من وحدة الى أخرى . ويبدو ان تعداد بعض هذه الوحدات قد وصل الى ٥٠٠ جندى . وقد قيل ان معسكر باكران قادر على ايواء ألفى رجل . وهناك وحدات أخرى لم تكن تشتمل على أكثر من ١٠ الى ٢٠ رجلا . وكان كل ذلك مرتبطا بالظروف المحلية أكثر من ارتباطه بالخطط المرسومة . وغالبا ما كانت تتجمع وحدات صغيرة داخل وحدات كبيرة بينما تتشرذم المفارز الكبيرة الى عدة وحدات صغيرة . وكانت احدى هذه المفارز الضخمة تشمل : أربع سرايا وفصيلة استطلاع راكبة ، وفصيلة متزحلقين على الجليد ووحدة دعاية . كما أن بعض العصـــابات كانت تملك مدفعية ودبابات . وكانت هذه المرونة فى الملاك تسمح للعصابات بأن تتوارى وتتخفى بسهولة ، وعندما كان الألمان يقضون على ٤٠ أو ٥٠ رجلا كانوا لا يعرفون أبدا فيما اذا كانوا قد قضوا قضاء تاما على كل العصابة أو أن هذه العصابة ما زالت باقية ، وهناك أكثر من مفرزة اعتقد الألمان انهم قضوا عليها الا انها أعادت تشكيلها وعادت الى الميدان .

وكانت بعض العصابات تشتمل على أعضاء من نفس المهنة : جنود بوليس ، عمال سكك حديدية ، ميكانيكيين الخ .. وكان هذا الانتقاء المهنى يساعد الأنصار على التخصص فى انجاز مهمات تتعلق بمهنتهم : فلقد كان الميكانيكيون متخصصين فى تحسين القنابل الموقوتة ، كما كان عمال السكك الحديدية متخصصين فى تدمير منظمات القاطرات الخ ..

وكان الانتساب الى العصابات يعنى الالتزام بالعمل معها لمدة زمنية غير محدودة . « فعندما يصبح الانسان واحدا من الأنصار » يبقى كذلك طيلة مدة الحرب . ومن هذه الزاوية كان الانضباط قاسيا جدا : ان عقوبة الفرار هى الموت . وصيغة الانتساب أو القسم تنتهى عادة بهذه

---

(١) راجع الملاحظة رقم (١) فى الصفحة (٦٢) .

(المعربان)

الكلمات : « اذا لم أستطع الحفاظ على قسمى ، نتيجة ضعف أو جبن أو ارادة سيئة ، خلافا لمصالح الشعب ، أحكم بالموت ، وينفذ الحكم على من قبل رفاقى » .

ومن بين العصابات ، كانت هناك مجموعتان لا تشتركان فى القتال الا أحيانا وهما : المونون ، وعناصر الاستخبارات .

وكانت عصابات المونين عبارة عن وحدات تموين أنشئت فى الحقبة الأخيرة أى فى عام ١٩٤٣ . وكان دورها هو مساعدة العصابات بكل الوسائل التى يمكن تخيلها ، حتى تتحرر الى حد كبير من كل المهمات التى لا علاقة مباشرة لها مع العمليات . ويبدو ان هذه الوجدات كانت تتلقى تعليماتها من تنظيم يدعى S.D.O.L.F. وهو تنظيم يضم المتطوعين للقضاء على الفاشستية وكانت مهمة هؤلاء المتطوعين هى التالية :

١ ــ خلق نوع من التمرد فى صفوف الشعب ضد الألمان وتغذيته .

٢ ــ تجنيد عناصر جديدة تخصص للعصابة الرئيسية ، تتكون من عناصر مستاءة عمرها أقل من ١٥ عاما .

٣ ــ تأمين نقل أنصار جدد الى مراكز التعيين .

٤ ــ الحصول على آليات لتأمين هذا النقل .

٥ ــ تزويد الأنصار ببطاقات شخصية مزورة .

٦ ــ تخريب محاولات الألمان التى تستهدف اخلاء المحاصيل والمواشى عند اقتراب الجيش الأحمر .

وكانت بعض العصابات الرئيسية تملك مفارز من هذا النوع لا ينبغى التقليل من فائدتها . وبصورة عامة ، كان رجال العصابات يتمركزون فى أماكن لا يمكن الوصول اليها ، ولم يكونوا ليقبلوا أيا كان فى مخابئهم ، حتى ولو كان روسيا ، خوفا من أن يكون عميلا للخصم . وكانت العصابات حذرة وعاقلة فى هذا المضمار . وتشكل المساعدة الخارجية التى تتخذشكل مفارز المونين ميزات هامة للأنصار . وبالاضافة الى ذلك ، فان المقاومة السلبية التى كانت تغذيها هذه المفارز فى أوساط السكان المحليين ، كانت تتمم أعمال التخريب التى ينفذها الأنصار .

وكان رجال استخبارات الأنصار يشكلون المجموعة الأخرى الأكثر

أهمية . ولكل عصابة رجالها العاملون لصالحها فى خارج المعسكر ، مع استمرارهم فى متابعة أعمالهم المدنية . وكانت مهمة هؤلاء الرجال التفتيش عن المعلومات لصالح العصابات . وقد تلقت نساء وفتيات استخدمن ظاهريا كغسالات أو خادمات ، مهمة تحقيق تماس واتصال مع الضباط وضباط الصف الألمان للحصول على معلومات منهم . كما عمل لصالح الأنصار أطباء وممرضات عينهم الألمان فى مستشفياتهم الميدانية ، ومترجمون ، وعمال سكك حديدية ومتطوعون فى سرايا العمل ، وجيش حقيقى مكون من أشخاص آخرين ، حتى ان الشحاذين كانوا يشكلون جزء من هذا الجيش ، ويجمعون معلوماتهم أثناء جولاتهم حول المنشآت العسكرية المعادية . وساهم الأطفال أيضا فى اصطياد المعلومات والأخبار (١) . وكانت هذه المعلومات تصل بصورة عادية الى الأنصار بواسطة رجال ارتباط مكلفين أيضا بمكافأة أكثر رجال الاستخبارات نشاطا .

وكان رجال الاستخبارات ورجال الارتباط يتعارفون فيما بينهم بواسطة كلمات السر . وفى يوم من الأيام ، سأل جندى ارتباط رجلا من رجال الاستخبارات فيما اذا كأن لا يزال يعمل فى نفس « المعمل » فرد عليه الرجل قائلا : « نعم ، لا زلت أعمل فيه دون انقطاع منذ سبع سنوات » ثم استطاع الألمان أخيرا معرفة السر وتوقف المعمل عن العمل . وفى مناسبة أخرى ، كان على رجل الارتباط أن يقول ما يلى : « لقد جئت لرؤيتك أمس ، لأنى أهتم كثيرا بالنحل الذى تربيه » .

فشك الألمان بذلك وأرسلوا جاسوسا سأل رجل الاستخبارات الواثق من نفسه قائلا : « هل أنت مسرور دوما من النحل الذى تربيه ؟ » . فتكلم الرجل كثيرا وعاد اليه الجاسوس ليتحدث معه عدة مرات .

وفى بعض الأحيان ، كان رجال الاستخبارات ينشؤون وكالات للمعلومات . فمثلا فى لوسوايا ، كان هناك مركز فى المستشفى نفسه ، وفى خاركوف كان المركز فى بيت معروف تحت اسم « العمة ليز » . وكان رئيس الأطباء الجراحين فى لوسوايا رجلا مهما من رجال الاستخبارات . «فقد تدبر أمره لانشاء علاقات صداقة مع الشرطة الألمانية ومع مقر قيادة الجيش حيث كان موضع تقدير خاص » . كما يقول المصنف الألمانى المنظم

---

(١) الجنرال كوفباك / المذكور سابقا / ص ٢٣ ، « نحن أنصار » المذكور سابقا ص ٧ . (المؤلفان)

حول موضوعه وقصته . « وقد حاول ضباط ألمان التدخل لصالحه » . حتى بعد توقيفه .

وكان تجنيد رجال الاستخبارات يتم من قبل العصابات نفسها . وكان التنظيم السرى للحزب يهتم بذلك ، كما يهتم بالمونين . وفى بدء الحرب ، كان بعض الأنصار يجلبون أحيانا بالقوة الى العصابات ، ثم اقتصرت العصابات فيما بعد على المتطوعين . وكانت بعض العصابات تفرض على أعضائها التوقيع على عقود بالانتماء ، وبعد التوقيع ، يتعهد العضو باحترام نواهى وواجبات الأنصار . ومن المحتمل ان العصابات كانت تستخدم نفس صيغة القسم .

ولم يكن الأنصار يرتدون البزة الروسية ، أو شارة الساعد (كالفرنسيين) ولقد قبض على بعضهم وهم يرتدون البزة الألمانية أو الروسية الا انهم كانوا دوما يخفون أسلحتهم .

وقد وصف أسلوب العمل فى أحد مكاتب تجنيد العصابات ، ضمن وثيقة من وثائق مصلحة مكافحة التجسس الألمانية بما يلى : « اكتشف بعض المخبرين ، فى ساباروجه مكتب تجنيد فى مجموعة من البيوت توارى فيها عدد من المدنيين الذين فروا من عملية التهجير والاخلاء ، وبعض الروس المتعاونين معنا والذين هربوا من الخدمة ، وكلهم كانوا قد جمعوا من قبل مجموعة من العصابات . وبالتعاون مع الفصيلة ٣٠٣ مكافحة ـ تجسس . والشرطة العسكرية طوقت هذه المجموعة وفتشت ، ووجدنا بين الأشخاص الموقوفين ، ثلاثة من الذين يقومون بالتجنيد ، واثنين وعشرين مجندا جديدا من بينهم خمسة ممن كانوا يتعاونون معنا ثم فروا . ويعتقد انه كان عليهم أن يلتحقوا بعصابة بالقرب من ساباروجه بمعرفة بعض المساعدين الذين يتظاهرون بالتعاون معنا . وكان على المجندين الجدد أن يتدبروا أنفسهم لايجاد سلاح وذخائر ، وكان على الخمسة المتعاونين معنا سابقا أن يسرقوا أسلحة لرفاقهم » .

ان تدريب المجندين ، وخاصة فيما يتعلق باستخدام السلاح ، كان يقع على عاتق العصابات نفسها . ومع ذلك ، فقد كانت هناك دورات تدريبية للمتخصصين تنظمها لجان الحزب فى المناطق . وهكذا نرى ان رجالا من جماعة كوفباك قد اتبعوا دورة ألغام (١) ، تعلموا فيها استخدام الألغام .

---

(١) أنظر كوفباك ـ المذكور سابقا / ص ٥٥ . أن مدرسة اللغامين التى اسسها ايغناتوف لتدريب العناصر المتازة من المفارز الموجودة فى قطاعه هى مدرسة لا مثيل لها ـ أنظر ايغناتوف المذكور سابقا / ص ٥ / الخ .. (المؤلفان)

وبالاضافة الى ذلك ، فان عددا معينا من المدارس النظامية كانت تعمل فى موسكو ولينينجراد وستالينجراد وأماكن أخرى : وكانت الدورات تدوم فيها مابين ثلاثة أيام وستة أسابيع ، وكان برنامج احدى المدارس يشمل ما يلى :

١ ــ دراسة تدمير السكك الحديدية ، والجسور والطائرات ، وأراضى النزول بواسطة المتفجرات ، والصمامات الموقوتة الخ ..

٢ ــ القفز بالمظلة .

٣ ــ تدريب على السلوك الواجب اتباعه على المؤخرات الألمانية : كيفية الحصول على بطاقات تحقيق شخصية المانية ، كيفية الدخول بالتماس مع الشيوعيين ، كيفية تأليف حجة معقولة تثبت وجود رجال العصابات خارج مكان المعركة فى حالة التوقيف .

٤ ــ قراءة الخارطة .

٥ ــ تدريب يستهدف تنفيذ مهمات استطلاعية لصالح مصلحة الإستخبارات فى الجيش الأحمر .

ولقد كان لمدارس أخرى فصائل خاصة للجواسيس ، ودورات المختصين بتدمير السكك الحديدية ، وقطع المواصلات وللاشارة من الأرض للطائرات ، ولاشعال الحرائق .

وكان ما يسمى بالبوليس السياسى N.K.V.D. يملك مدارس خاصة لقطعات الكشافين (الاستطلاع) ولعمال اللاسلكى وللمخربين . وكانت هذه المدارس تدرب بعض التلاميذ على سرقة الوثائق والتقارير بصورة خاصة .

كما ان **نظام العصابات** يتضمن تعليمات عامة عن قيادة العمليات . ويتضمن أيضا توجيهات مفصلة عن الخدمة فى الميدان ، وعن بناء الملاجىء ، وعن استطلاع الأرض وعن العمليات (التكتيكية) ، ووصفا للأسلحة الروسية والألمانية (١) .

---

(١) من الضرورى وجود مثل هذا النظام لمنظمات العمل الفدائى داخل الأراضى العربية المحتلة ، ولا يكتفى مثل هذا النظام بالنسبة الينا بهذه المعلومات ، بل ينبغى أن يتضمن وصفا جغرافيا لأرضنا العربية ، ومع وصف لطبيعة المستعمرات الاسرائيلية وكيفية حراستها والأسلوب المتبع فى جلب الرواد اليها . والأساليب التى يتبعها الاسرائيليون فى قتالهم ضد العصابات وطرق مجابهتها . (المعربان)

وكانت هناك تعليمات أخرى تعطى بواسطة نشرات وصحف ينشرها الأنصار . وكانت احدى هذه الصحف (النجمة الحمـــراء) كراسنايا سفيسدا تتضمن التوجيهات الآتية :

« ان الجيش الألماني ، معتمدا على تجهيزه التقنى ، يحتاج الى خطوط مواصلات متصلة مع الخلف لتأمين تموين قطعاته بالمحروقات والذخائر والمؤن وقطع التبديل .. (١) ولهذا السبب ، من الضرورى تنفيذ التخريبات على طول خط طرق تموين وتراجع العدو ، فلكى نحطم العوارض الفولاذية لجسر من الجسور لابد من تحطيم القضيبين الطولانيين فى الأعلى والأسفل بالمتفجرات . وفى حالة تدمير جسر خشبى ، يشتمل العمل الرئيسى على قطع الركائز السفلى ، وحرق بقية أجزاء الجسر اذا أمكن .

« وتدمير السكك الحديدية أكثر أعمـــال التدمير جدوى وفائدة ، اذا نظمت فى نقاط يصعب اجراء التصليح فيها ، أى فى المنعطفات ، وفى المضائق وفى أمكنة الطمى (حيث يرتفع مكان السكة الحديدية عن سطح الأرض) . وينبغى أن توضع المتفجرات بشكل يقطع فيه الخط فى ثلاثة نقاط . ولكى نخرج قطارا عن سكته ، ينصح بفك (صواميل) تجميع السكك ، ورفع المسامير التى تثبت القضبان ـ لأن هذا العمل لا يمكن اكتشافه من قبل قائد القطار وحراسه ـ خلافا لقطع الخط .

« ولكى نمنع العدو من ابطال الألغام ، نضع ألغاما مزيفة ، ولكى يكون تدمير الطرق فعالا ينبغى اجراء التخريبات فى أماكن يصعب العمل فيها ، أى فى المناطق المحاطة بالغابات ، وفى خنادق عميقة ، وفى الأمكنة التى يمر فيها الطريق على طمى (حيث يرتفع مكان الطـــريق عن سطح الأرض المجاورة) ، وفى القرى ، وعلى المنحدرات القوية ، وفى المفارق ..

« من الممكن قطع السير فى المدن والقرى بنسف بعض البيوت فى اللحظة المناسبة . ان أحسن وسيلة لتدمير الدبابات والآليات هى استخدام ألغام

---

(١) من الممكن افادة منظمات العمل الفدائى داخل فلسطين من هذه النقطة الى حد كبير . فالجيش الاسرائيلى الذى يحتل الآن جزء من أرضنا العربية ، بالاضافة الى فلسطين المحتلة ، يعتمد اعتمادا كبيرا على تفوقه التقنى وعلى قوات آلية سريعة الحركة ، تنتقل بسرعة من جبهة عربية الى أخرى . أن خطوط المواصلات لمثل هـذا الجيش ، ذات اهمية حيوية بالغة لذا فان التركيز عليها بصورة خاصة أثناء الاشتباك مع الجيوش النظامية يفقد هذا الجيش قدرته على الحركة والمناورة ، ويعطل الأساس الاستراتيجى الذى بنى عليه مخطط العمليات الاسرائيلى .

(المعربان)

متنقلة (١) فاذا ربطت عدة ألغام بحبل وسحبه أحد الأنصار وهو متوار في ملجأ ، فهناك احتمالات كبرى كي تسحق السيارة المستهدفة لغما من هذه الألغام .. » .

ونرى أيضا في احدى النشرات السوفييتية ما يلي :

« دمر خط اتصال ، ثم نصب الأنصار كمينا لفصيلة تصليح ألمانية ودمروها .

« ثبتت حشوات متفجرة على طرفي جسر خشبي طوله ستون مترا ، وحمولته ٢٤ طنا ، واقع على طريق من الطرق الكبرى . ثم أشعلت هذه الحشوات بواسطة قش مشبع بالبترول » .

وقد خصصت الاذاعة السوفييتية برنامجا خاصا بالأنصار كانت تبثه مرتين في اليوم ، في الصباح والمساء . وكانت مدة البرنامج ١٠ دقائق في كل مرة وكان يذيع نشاط الأنصار ، وعمليات القضاء على المتعاونين الروس . واليكم احدى هذه الاذاعات كما سجلها أحد موظفي مكتب الاستماع التابع لمصلحة استعلامات الاذاعة :

« كيف يمكن القضاء على حارس ألماني ؟ » . وقد عالجت الاذاعة هذا الموضوع على الشكل التالي : « ينبغي مطاردة الألمان واصطيادهم كما نصطاد الحجل ، نقترب ببطء من الحجل عندما تغني ، ونتوقف متوارين عن الأنظار عندما تبدأ في التأمل حولها . ينبغي تطبيق نفس الطريقة مع الحراس الألمان .. تقربوا في الظلام من الحارس الذي تريدون قتله ، وبيدكم فأس صغير . فاذا كان يتحرك أو يتأمل حوله ، قفوا ولا تتحركوا ، واذا كان شاردا في تفكير عميق ، ازحفوا اليه خلسة ، خطوة خطوة ، حتى تصبحوا على مقربة منه . وعندما تصبحون من القرب بحيث يمكنكم الوصول اليه بالتأكيد ، أضربوه بالفأس بسرعة وقوة على أم رأسه ، وأعملوا بسرعة حتى لا يتسنى له أن يصرخ » .

ويبدو ان الغربيين بحاجة لتدريب طويل قبل أن يتعلموا صيد الحجل بمهارة !

---

(١) وقد تكون الألغام المتنقلة ألغاما مضادة للدبابات موضوعة على لوح خشبي مربوط بحبل ، ويوضع اللوح الخشبي على حافة الطريق بحيث لا يعرقل السير العادي ، فاذا ما رأى الأنصار سيارة عسكرية ، شد أحدهم الحبل في الوقت الملائم وهو متوار في مخبئه حتى يأخذ اللوح الخشبي وألغامه وضعا عرضانيا أمام العربة القادمة.
(المعربان)

وكانت العصابات تنتقى الأماكن التى يصعب الوصول اليها كى تختفى : كالمناجم ، والأحراش والجبال والمستنقعات . ومن الصعب أن نتخيل كيف كان باستطاعة الأنصار أن يعيشوا فى مستنقعات ، وأن ينطلقوا من مثل هذه القواعد . وفى عام ١٩٤٣ ، قالت الاذاعة الألمانية عن هـــذا الموضوع ما يلى :

« يعتقد المستمعون احتمالا أن معظم هذه المستنقعات لا يمكن اجتيازه أو استخدامه ، ولكن الأمر مخالف لذلك . فقد انتشر جنودنا فى يوم من الأيام أمام مستنقع عميق ، وحاولوا اجتيازه دون جدوى . وفجأة ، لاحظ أحدهم أن الوحل فى المستنقع لا يصل الا الى حزامه . ودلت استطلاعات دقيقة فيما بعد على ان ألواحا من الخشب قد وضعت تحت الماء ، وامتدت من طرف المستنقع الى الطرف الآخر ، بشكل نشأ فيه ممر يؤدى الى جزيرة غير مرئية فى قلب المستنقع » .

وكانت العصابات تسهر على أن لا يكون لمعسكر ما الا مدخل واحد ، حتى يسهل الدفاع عنه ، كلما أمكنها ذلك . وفى بعض الأحيان ، كانت تترك مخابئها مفتشة عن ملجأ أفضل ، وعن أرض صيد ملائمة أو لكى تتجنب الأسر . الا انها نادرا ما كانت تبدل منطقة عملياتها .

وقد قام ب . ك . ايغناتوف (١) بوصف جميل لمخبأ فى الجبال قائلا ما يلى : « لا يمكن الوصول الى هذا المخبأ من الأعلى ، حتى ان الغزال لا يستطيع أن يتجرأ على نزول جرف الصخور المنحدر . وأما بداية العنق الذى يشكله المدخل فمسدودة بمخفر أمامى وبحواجز ، والمسلك الوحيد الذى يؤدى الى المعسكر ضيق كثير الانحدار حتى أن اتباعه يحتم المسير على جانب من جوانبه . وهناك مخفرا حراسة يرميان المسلك بنيران جبهية ونيران جانبية ، كما ان كل التدابير قد اتخذت لرميه من مراكز اقامتنا . ومن الممكن حصده برشاشات مفرزة استطلاعنا البعيدة . وكان المعسكر يملك أخيرا مخرجا للنجاة يسمح لنا بالطبع بالانقضاض بسرعة على ظهر المهاجمين . ويكفى عـــدة رماة مهرة للدفاع عن المعسكر ، حتى ولو كانت قوات العدو متفوقة » .

وكان معسكر الغابات يتألف عادة من براكات خشبية غائرة تحت الأرض ، على مقربة مباشرة من الأبراج الأسمنتية الموضوعة غالبا بشكل مثلث حتى يستطيع كل واحد منها مساعدة الأبراج الأخرى فى حالة

---

(١) ايغناتوف / المذكور سابقا ــ ص ٣٩ .

الهجوم . وتملك المعسكرات الهـــامه براكات للمطـــابخ والمستشفى والاسطبلات والمستودعات .

أما المسالك التى تؤدي الى المعسكرات ، فغالبا ما تكون ملغومة ومموهة تمويها جيدا . وهي تنطلق من مسالك مطروقة بصورة عامة ، الا أن أول المسلك يكون خلف شجيرات صغيرة بشكل يستطيع الأنصار بلوغه بوثبة واحدة أبتداء من المسلك الرئيسى . « ولا ينبغى أبدا أن تؤدى الى المعسكرات ، المسالك التى تنتهى بطريق كبيرة أو متوسطة الأهمية ـ هذا ما تقوله احدى النشرات الروسية عن اقامة الأنصار ـ وفي حالة اقامة وحدات على مقربة من طريق لأسباب ملائمة للعمل ، ينبغى أن تخلى البراكات غندما تقتضى الضرورة ذلك ، باستخدام مخـرج يبعد عن الطريق ، كما ينبغى محو كل الآثار بصورة دقيقة » .

وكانت العصابات تنتقل ، بصورة أعتيادية ليلا . وتستخدم دوما المسالك المعروفة من الأنصار أبناء المنطقة فقط . وكانت الدوريات تسير أمام أرتالهم ، بشكل طائع (مقدمات) تكشف الطريق ، ومؤخرات لحماية مؤخراتهم .

وكان انضباط المســير المطبق على رجال الأرتال قاسيا حازما ، وغالبا ما كانوا يبدلون خيولهم فى القرى . وكانت العصابات تقطع عادة ٦٠ كيلو مترا فى الليلة الواحدة .

يبقى علينا بعض المواضيع الواجب مناقشتهـا ، وتتعلق بتنظيم العصابات . وهذه المواضيع ، هى الاتصالات (الاشارة) ، والتموين ، والتعاون مع الجيش الأحمر . وسنهتم فى بادىء الأمر بمصلحة الاشارة .

ففى البدء ، كانت المعلومات تستقصى بصورة طبيعية من قبل رجال أستخبارات العصابات ، وتسلم الى رجال الارتباط الذين ينقلونها الى العصابات . الا أن هذا الأسـلوب لم يكن يطبق الا لاستقصاء ونقل المعلومات المحلية . ومن وقت لآخر ، كانت هناك جماعات صغيرة تجوب على أقدامها مسافات كبيرة لتلقى التعليمات . وكانت مختلف جماعات الأنصار العاملة فى القرم تستخدم الهاتف . فقد كانت تستعمل شبكة اتصال أقامتها كتائب التدمير عندما كانت مرتبطة بالجيش الأحمر . الا أن رجال الأنصار كانوا فى معظم الأوقات يتصلون ببعضهم بواسطة اللاسلكى ، اذ كانت هذه الوسيلة الوسيلة الوحيدة عمليا للاتصـــال مع الوسطاء الذين يتمركزون خلف الجيش الأحمر . واليكم خلاصة تقرير لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) .

« تلقت جماعة من جماعات مكافحة العصابات مهمة التفتيش عن محطة لاسلكية وأكتشاف الشبكة الكاملة لاتصالات (أشارة) منطقة معينة . وقد حدد بعض العملاء المدنيين موقع بيت من البيوت فى قرية روتليتن ، بقرب شانى ، وقالوا بأنه الموقع المحتمل للمحطة اللاسلكية . وقامت هذه الجماعة بالهجوم بعد اتخاذ كل تدابير الأمن الخاصة. فوجدت فى هذا البيت امرأة وفتاة . وأثناء الاستجواب الفورى ، أنكرتا كل شىء . وعند التفتيش الأعتيادى ، وجد مع الفتاة سكين وساعة ، وهى أدوات تشكل جزء من تجهيز عمال اللاسلكى الروس . ثم اكتشفت هذه الجماعة فى مخزن الغلال التابع للبيت ، جهازا لاسلكيا (للارسال والأستقبال) مموها بشكل ذكى جدا » .

وبالاضافة الى أجهزة اللاسلكى العادية ، كان الأنصار يستخدمون أجهزة لاسلكية سهلة الحمل . كما أن الأشخاص الذين ينقلون الى الأرض المحتلة للقيام بمهمات خاصة ، كانوا مجهزين دوما بأجهزة للارسال . وكان هؤلاء الأشخاص ، رجالا ونساء ، يقذفون بالمظلات أو ينزلون على الشواطىء ، أو يتسللون عبر الخطوط . وهناك فرد على الأقل من بين كل مجموعة من هذه المجموعات الصغيرة ، عامل لاسلكى مدرب ، وكان يرسل برقياته مباشرة الى المصلحة التى يتبع لها . ومع ذلك ، ففى حالة الفشل ، كان لديه أمر بمحاولة الأتصال بأقرب عصابة . وفى بادىء الأمر لم تكن معظم العصابات تملك أى جهاز لاسلكى ، ثم أنزلت أجهزة لاسلكية بالمظلات لعدد من العصابات خلال عام ١٩٤٢ ، كما أنزل بالمظلات عدد من عمال اللاسلكى ، وجهزت وحدات أخرى باللاسلكى من قبل الحزب .

وكان الأنصار يستخدمون الشيفرة عادة فى نقل برقياتهم . وقد سقطت بعض كلمات الشيفرة فى يد الألمان ، فتمكنوا من أرسال برقيات مزورة للأنصار ، واستطاعوا الدخول مع الروس بتماس صغير ، ولكن الروس كانوا حذرين جدا فى الاجابة بصورة مفتوحة . ومما لا شك فيه أن « الشيفرة » التى وقعت لم تكن كاملة وكان الألمان يجهلونها .

ولولا اللاسلكى ، لما كان نجاح الأنصار كاملا ، ولولا الطيران ، لخلقت لهم مشكلة التموين صعوبات لا يمكن التغلب عليها . وبالطبع ، كان باستطاعة الأنصار أن يتزودوا بكل ما يحتاجون اليه ، باغارات يقومون بها على مخازن العدو . ولكن عندما كان عليهم أن يقاتلوا ضد جيش منظم ومجهز بصورة جيدة ، لم يكونوا فى حالة يحسدون عليها ، لأنهم كانوا يرتبطون فى هذه الحالة ارتباطا كبيرا بالتموين الذى يأتيهم من الأراضى غير المحتلة من قبل العدو .

ولقد استفاد الأنصار السوفييت من ميزة كبرى ، اذ أنهم دخلوا القتال بعتاد كان مخزنا . فقطعة من الأنصار لا تستطيع بسهولة أن تقاتل بقبضات أيديها ، وأن تملىء مخازنها بما تستطيع الاستيلاء عليه من حراس منعزلين ، ومن الجنود المتخلفين الذين يسيرون ببطء خلف الأرتال أو من الألمان الفارين (١) . وقد نجح عدد من الأنصار مع ذلك فى التزود بعتاد كثير عند دخولهم الحرب ، فقد وجدوا هذا السلاح فوق حقول المعارك السابقة ، وهذا أمر كبير الأهمية ، فعندما انسحب الجيش الأحمر ، ترك كميات كبيرة من التموين لكتائب التدمير ، وعندما أنتقلت هذه الكتائب لتعمل مع العصابات ، كانت احتياجاتها الأولية مؤمنة بشكل جيد . ان البلد الذى ينوى القيام بحرب من هذا النوع ، ينبغى أن يستفيد من هذا الدرس : وعليه أن يعين ضباط الأنصار عندما يحتل الجيش الأرض التى يراد تنظيم العصابات فيها ، حتى ولو كان ذلك بغرض تسليمهم المؤن الأولية(٢) . وفى حالة عدم تنظيم هذا الموضوع ، فان الأنصار يجدون أنفسهم فى وضع صعب . ومن السهل فهم هذا الموضوع ، ذلك أن أفضل القوات الجوية تجهيزا لا تستطيع تموين العصابات بكميات كبيرة من العتاد عند بدء تشكيلها ، فى وقت لا يكون فيه تسليحها كافيا لتدافع عن نفسها .

وقد تكلمنا سابقا عن التسليح الطبيعى للعصابات . فباستثناء مسدس رجل العصابات) هناك أسلحة من كل النماذج والأنواع . ومع ذلك ، فقد كان لدى العصابات عتاد تصنعه محليا لعمليات التخريب . ومن عادة الروس تغطية المتفجرات بنوع من الفراء ، وتمريغ المتفجرات فى الفحم الناعم المسحوق ، ووضعها بين أكداس المحروقات من هذا النوع .

وها هى بعض الحيل المستخدمة من قبل الأنصار . ان مؤلف هذه الطرق هو شيانغ — بو — لى :

« وضع السكر فى خزان البنزين : يذوب السكر فى المحروقات ، ويسبب ترسب الفحم فى الأسطوانات فتتوقف الآلية وتتعطل . ولا يمكن

---

(١) لقد كان على بعض العصابات أن تتزود بالتجهيزات والسلاح بالقوة . فقامت بهذه العملية بالفعل . أنظر « نحن انصار » ص ١١ . (المؤلفان)

(٢) وهذا ما اضطر اليه المقاومون السريون الفرنسيون ، وقد عانوا من ذلك كثيرا . فحركة المقاومة السرية شكلت فى عام ١٩٤٢ ، وكان تجهيزها وتموينها مرتبطا أساسا بالتموين الانجلو — أميركى ، فى التسليح والتجهيز . وخلافا للأنصار السوفييت لم يكونوا مدربين فى الوقت الملائم ، سواء قبل الحرب أم أثناء وجود الجيوش الفرنسية على أرض البلاد قبل الاحتلال . (المؤلفان)

أكتشاف وجود السكر فى المحروقات من قبل العدو . وعندما تلاحظ الطائرة أو الدبابة ذلك ، يكون الوقت متأخرا جدا .

« من الممكن استخدام الفحم بتفجير منشآت صناعية ، ولهذا يحفر المخربون قطعة ضخمة من الفحم ويملؤونها بالمتفجرات ، فعندما تدخل قطعة الفحم هذه فى مرجل مصنع أو باخرة ، تحدث الكارثة بعد لحظات » .

«وهناك وسائل فعالة أخرى استخدمها المقاتلون السريون كالرصاص الحارق ، والمواد الكيميائية المخصصة لحرق تموين العدو أو جعله غير صالح للاستعمال ، والمتفجرات القوية التى تتخذ شكلا من السهل استخدامه ، هى أيضا التسليح الرئيسى المستخدم فى عمليات التخريب » (١) .

وقد سئل الفيلد مارشال فون مانشتاين ، أثناء محاكمته أمام المحكمة العسكرية ، سئل من قبل رئيس المحكمة الجنرال السير فرانك سامبسون — عن مسألة تموين الأنصار :

الرئيس : والآن ان السؤال الذى أود توجيهه اليك يتعلق بتصريح أدليت به هذا الصباح حول موضوع تنظيم وحدات الأنصار . فقد قلت أن مستودعات هامة نظمت للعصابات مسبقا ، أى قبل أشتراك هذه الوحدات فى القتال ، وقد قلت لنا ، بالرغم من أننا لم نطرح عليك أى سؤال حول هذا الموضوع ، أن هذه المستودعات ، كانت تزود بالعتاد من آن لآخر بعد قيام الأنصار باغارات على المستودعات الألمانية . هل تريد الآن أن تقول لنا ، ما هى المعلومات التى حصلت عليها عن أهمية محتوى هذه المستودعات الكبرى وهذه المخازن ؟

الفيلد مارشال فون مانشتاين : لا أعتقد أنى تكلمت عن مخازن كبرى . بل تكلمت عن مخازن كثيرة (٢) وقد استولينا على بعضها فوجدنا فيها ذخائر ومؤن ومتفجرات . ويبدو ان هذه المخازن كانت تستكمل من الاغارات التى كان الأنصار يشنونها فى المنطقة كلها .

---

(١) مأخوذة عن كتاب « الصين فى الحرب » شونغ كنغ — المجلد الثالث — رقم ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ — ص ٤٣ . (المؤلفان)

(٢) لقد كان رئيس المحكمة فى هذه المناقشة على حق ، بينما كان فون مانشتاين على خطأ . وطبقا للترجمة ، ص ٢٣١٠ ، فقد سألت المحكمة فون مانشتاين فيما اذا كان للأنصار مخازن سرية ، وقد اجاب مانشتاين قائلا : « نعم ، كان لديهم مخازن كبرى معدة غالبا بشكل جيد » . (المؤلفان)

الرئيس : كان لابد لهم من وقت طويل ، كي يشكلوا هذه المخازن الهامة .

الفيلد مارشال فون مانشتاين : نعم ولهذا فانني أعتقد أن هذه الحرب قد هيئت قبل وصولنا الى القرم . وأني أرى أن السوفييت قد قضوا ما لا يقل عن شهرين لتحضير ذلك لأننا وصلنا شمال هذا البلد قبل شهرين تقريباً ، ولا بد أن السوفييت عرفوا أننا سنخترقه .

الرئيس : أشكرك ، لقد أجبت على سؤالي بشكل جيد . فقد كنت أريد ، في الواقع ، معرفة القيمة التقريبية للمستودعات والوقت الضروري لتشكيلها . وأنا الآن على علم وثيق بهذه النقطة » (١) .

ومن الصعب جدا اعطاء معلومات صحيحة عن هذه المخازن . وفي هذا الوقت ، كان انطباع الفيلد مارشال فون مانشتاين أن هذه المستودعات تمون مجموعات من ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٠ جنديا ، الا أن بعضها كان يستطيع مع ذلك تلبية أحتياجات مائة أو عدة مئات من الأنصار . ولقد كان من المستحيل الحصول على معلومات دقيقة عن قيمة المستودعات الأولية التي تركها الجيش الأحمر وراءه ، ولكن من المهم أن نستخلص من هذه الوقائع الدرس التالي : قبل الشروع في حرب الأنصار من الضروري انشاء مخازن لها. وكلما انتشرت هذه المخازن كانت قيمتها أكبر ، ووجود مستودعات كثيرة ، يضع أمام الأنصار فرصا أكبر وأسرع للنجاح في مشروعاتهم الأولية . وبهذا الشكل يستطيعون أستثمار أثر المفاجأة ، وهو عنصر أساسي من عناصر عملياتهم .

وقد أكتشف الألمان مستودعات في أقبية المصانع ، والبيوت المنعزلة ، والأنفاق ، والغابات ، والقبور المهجورة في المقابر وأجراس الكنائس والمعابد.

وقد تكلمنا قبل ذلك عن الاغارات التي جرت بهدف الحصول على مؤن . وقد نفذ عدد لا بأس به من هذه الاغارات على مخازن العدو ، الا أن الأنصار كانوا يفضلون نهب مستودعات قراهم للحصول على المؤن . « كانوا عادة يخرجون من مخابئهم أو من المناطق التي كانوا يحتلونها لغزو قرى واقعة خارج مدى عملهم الطبيعي ، وقتل العمد (المخاتير) المعينين من قبل الألمان ، والمتعاونين معهم ، وجنود الحرس الوطني ، والمدنيين المتصلين بالعدو . وكانوا يوزعون المواشي والقمح على المواطنين الذين

(١) الترجمة في ص ٢٣٢١ — من محاكمة نورمبورغ . (المؤلفان) .

تعاونوا معهم بارادتهم أو رغما عنهم (١) . وكان يحدث أيضا أن يمون السكان المحليون ، بقيادة العمدة (المختار) الأنصار بارادتهم . ومن ناحية أخرى كانت تصلهم أيضا مواد مختلفة من تنظيمات الحزب السرية ، ومن عصابات الممونين .

وقد نقل الطيران الأحمر مختلف أنواع العتاد ، أو أسقطه بالمظلات . وكان يقوم أحيانا بنقل رشاشات أو هاونات جديدة ، وأجهزة لاسلكية ، وبطاريات كهربائية ، ومتفجرات وأعتدة لازمة للاستخبارات ، ومؤن ، وكانت الطائرات تنقل غالبا شخصيات هامة من موسكو . وعملت مصلحة النقل الجوى بصورة فعالة جدا اعتبارا من ابريل (نيسان) ١٩٤٢ ثم توسع نشاطها وازداد فيما بعد . وهبط عدد كبير من الطائرات فى المنطقة المحتلة . وبهذا الشكل تم نقل عصابات من الأنصار الى مطارات صغيرة مرتجلة .

ان هذا النوع من الجسر الجوى معروف لدينا جيدا ، وليس من المفيد أن ندرس هذا الموضوع بعمق . فخلال الحرب الأخيرة نظم الحلفاء الغربيون مصلحة خاصة من هذا النوع ، وفيما بعد ، شكل الأمريكيون فصيلة عمليات خاصة مرتبطة بمكتبهم للخدمات الاستراتيجية. وأضحى بذلك من الممكن اسقاط آلاف من أطنان الأسلحة والمتفجرات بالمظلات فى فرنسا لمساعدة رجال المقاومة السرية هناك ، وفى مناطق أخرى أيضا . الا أن طريقة العمل هذه ليست بالبساطة التى تبدو فيها . فلكى تنظم عمليات نقل من هذا النوع ، من الضرورى وجود معدات متعددة ومعقدة بالاضافة الى اللاسلكى والشيفرة واشارات التعارف (٢) . ويبدو أن العصابات السوفييتية استعملت بصورة خاصة اللاسلكى باتجاه واحد (الموجه) كما استعملت الاشارات المضيئة والنيران .

وقد وصلنا الآن الى أهم نقطة فى تنظيم العصابات الحمراء ، وهى تعاونها مع الجيش . لقد قال ماوتسى تونج كلمته المشهورة : ان الجيش والأنصار ذراعا جسم واحد ، واذا لم تنسق حركاتهما ، فليس من الممكن قيامهما بأى عمل صعب .

ولقد رأينا ، كيف كانت العصابات تقاد من قبل الحزب الشيوعى ، كما كان الجنود يقاتلون ضمن اطار الجيش الأحمر . وكان على رأس

---

(١) الرائد شيفر ـ هامبورجر فريمدنبلات رقم ١٩/١٦٧ يونية (حزيران) ١٩٤٣ .

(٢) ستيوارت السوب ـ والعقيد س . ب . جريفيث « بامكاننا أن نصبح أنصارا أيضا » فى الستردى ايفننغ بوست / ٢ ديسمبر (كانون أول) ١٩٥٠ ـ ص ٣٢ . (المؤلفان)

الجيش والأنصار ، على أعلى مستوى ، لجنة الدفاع الوطنى التى كانت تمسك بين يديها كل مقاليد الدولة . وكان ستالين آنذاك مفوض الشعب للدفاع ، ويرتبط به تسلسلان مختلفان : تسلسل الأنصار فى الأرض المحتلة ، وتسلسل الجيش فى الأرض الحرة . فالارتباط بين الجيش والأنصار يتم اذن على مستوى عال ، وكانت الخطط ترسم من هيئة الأركان العامة المشتركة .

ومع ذلك ، اذا رغب الجيش قيام مفرزة من الأنصار بمهمة من المهمات ، فهو لا يحتاج الى وسيط يربطه مع الأنصار . فكل مفرزة مهما كانت أهميتها على اتصال لاسلكى يومى مع هيئة الأركان العامة للجيش الأحمر ، ومنه كانت تتلقى التعليمات (١) . وبالاضافة الى ذلك ، كانت وحدات الجيش على ارتباط مع مفارز الأنصار العاملة فى منطقتها ، وتعطيها الأوامر مباشرة . وكثيرا ما كان يحدث هذا بين الجيش والأنصار العاملين على مقربة من الجبهة . فمفارز الأنصار وبخاصة المفارز التى كانت تعمل بقرب الخطوط ، ترتبط ارتباطا وثيقا مع الجيش أكثر من ارتباطها مع قيادتها . وكانت الأوامر المعطاة من قبل الجيش محددة ودقيقة جدا . فقد كان الجيش يحدد مثلا للعصابات النقاط الدقيقة التى ينبغى عليها الوصول اليها ، كما كان يعطيها خطة كاملة للتشتيت ، فى خطوطها الكبرى (٢) . أو يطلب اليها نسف نقطة معينة أو مهاجمة سجن أو معسكر اعتقال ، تاركا المبادأة فى هذا النوع من العمليات للأنصار .

ونستطيع القول ، كقاعدة عامة أن الجيش الأحمر لم يشتبك بأى قتال بهدف مساعدة العصابات . وبالطبع كان الجنود المنعزلون ، والأسرى الفارون ، والمظليون العسكريون ، يلتحقون بالعصابات ، الا اننا لا نجد أبدا فى التصانيف ما يجعلنا نعتقد ان الجيش السوفييتى قد خطط عمليات لصالح الأنصار ، أو لدعمهم فى اتمام مهماتهم . وفى العمليات المنفذة بالتعاون مع القوات المسلحة ، اعتبر الأنصار دوما كقوة مساعدة للقوات المسلحة . ولم يقم الجيش النظامى بأية عملية من عمليات الأنصار خلف الخطوط الألمانية الا فى المناطق المحرومة من العصابات (٣) .

وأسباب ذلك طبيعية . فقد كانت حركة المقاومة قوية بشكل يجعلها

---

(١) انظر أ ـ فيديروف المذكور سابقا ـ الجزء الثانى / ص ٣٢٠ .

(٢) انظر كوفباك المذكور سابقا ص ٥٨ ـ

(٣) انظر كوفباك المذكور سابقا ص ٥٨ ـ

(المؤلفان)

قادرة على أن تؤدى لوحدها المهمات المكلفة بها ، وخاصة عندما تقدمت الجيوش السوفييتية ، بعد ستالينجراد دون توقف .

وقد أشرنا فى الفصول السابقة الى عدة أمثلة للعمل المشترك بين الأنصار والجيش . فقد كانت هناك فى بادىء الأمر كتائب التدمير وهى نواة مفارز الأنصار ، التى جهزها الجيش وعززها بالرجال والسلاح والتجهيزات من كل نوع . ورأينا أيضا كيف كان الجيش والعصابات يعملان بالارتباط فى بعض مهمات الاستخبارات . وفى كثير من الحالات وعلى طول شواطىء القرم بصورة خاصة ، تلقى الأنصار أوامر محددة لارشاد المراكب الروسية الى شواطىء الانزال باشارات ضوئية . واستخدمت الاشارات الضوئية أيضا من قبل الجيش لانذار مفارز الأنصار . وفى هذه الحالات ، قبل الهجوم مثلا ، يعتبر قذف الصواريخ الزرقاء الاشارة التى ينتظرها الأنصار ليتدخلوا فى المعركة ولينفذوا عمليات التخريب وليسببوا الفوضى فى صفوف العدو .

لقد قدمنا قبل الآن عملية مشتركة ، هى انزال جوباتوريا حيث قاتل الأنصار الى جانب الجيش الأحمر .. وأمام موسكو ، فى عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ ، دمر الأنصار بصورة منظمة كل أجهزة الاشارة خلف الخطوط الألمانية ، بينما كان الجيش الروسى يهيىء اختراقه لها .

« ومن المحتمل أن يكون أبرز مثل للتعاون التكتيكى بين الأنصار والجيش ، أثناء المعركة الحاسمة فى الحرب ، عندما خرق الروس المواقع الألمانية فى منطقة بوبرويسك ـ فيتبسك ، فى نهاية يونية (حزيران)١٩٤٤ . وقبل الهجوم قام الأنصار بتدخلات مستمرة على مؤخرات الألمان ، فضعفت من جراء ذلك المواقع الوسطى فى الجبهة الألمانية .

وكانت هناك مناطق واسعة بين يدى الأنصار ، فقد الألمان كل سيطرة عليها . وقد أضحى الأنصار أيضا أكثر نشاطا وفاعلية فى الأسابيع التى سبقت الهجوم العام للسوفييت . فهوجمت نقاط استناد ألمانية وقطعت المواصلات الهاتفية ، ولغمت الطرق ، ودمرت قطارات وقوافل التموين .

« وفى ٢٠ يونية (حزيران) ١٩٤٤ ، التقطت برقية صادرة من موسكو تأمر وحدات الأنصار بزيادة حدة أعمالهم دون الاهتمام بما قد يصيب المدنيين .

« وخلال الليل الذى سبق الانقضاض ، قام الأنصار بأكثر من عشرة آلاف اغارة على طرق التموين والمواصلات الهاتفية واللاسلكية المعادية ،

فشلوا بأعمالهم هذه القيادة ، ثم حطمت الوحدات المدرعة الروسية هذه الجبهة بعد أن أضعفها الأنصار ، وأطبقت على شمال وجنوب الطريق الكبير مينسك — موجيليف ، وتابعت تقدمها وهى تدخل مناطق نشاط الأنصار منطقة اثر منطقة .. وقد تعرضت القطعات الألمانية لخسائر كبيرة أثناء تراجعها ، لأنها كانت تقع دوما فوق أعشاش متتابعة للأنصار » (١) .

ومن الممكن الاسهاب فى لائحة هذه العمليات المشتركة ، التى كانت متشابهة ، فقد كان الأنصار يشتبكون فى القتال بغية السماح للجيش ببلوغ أهدافه الاستراتيجية . والواقع ينبغى أن يدرس هذا التعاون مع أخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار .

لقد كان الهدف الاستراتيجى للجيش الأحمر ، ككل الجيوش فى الميدان ، هو القضاء على القوات المعادية . وقد تلقت حركة المقاومة مهمة مساعدة الجيش لبلوغ هدفه بالتدخل على المؤخرات المعادية . ومن هذه الزاوية يتضمن تنفيذ هذه المهمة مرحلتين اختلفت فيهما درجة وطابع التعاون بين الأنصار والجيش الأحمر ويمكن تحديد هاتين المرحلتين كما يلى :

١ — مرحلة تراجع الجيش السوفييتى .

٢ — مرحلة ثبات الجبهة وتحرك الجيوش الروسية الى الأمام .

ولم يكن هناك فرق واضح بين فترات التراجع والتقدم . فقد كان هناك دوما هجمات معاكسة من كلا الطرفين ، سوى أن كل ذلك لا يغير أبدا المبدأ العام ، الذى يشغلنا نحن . فقد كان التعاون أثناء التراجع ، بين الجيش والأنصار مرنا جدا . وقد نخطىء لو عزينا هذا الى أنه كان على حركات المقاومة فى بادىء الأمر أن تتشكل وأن تقيم اتصالها ببطء بعد عدة عمليات جس وأخطاء متعددة . فلقد كان لهذه العوامل بالطبع أهميتها الا انها كانت محدودة جدا ، وبخاصة أثناء النصف الثانى من عام ١٩٤٢ والسبب الحقيقى لهذه المرونة هو : أن الفرص التى تتاح للعصابات لمساعدة جيوشها المتراجعة ، أثناء انسحاب طويل ، فرص نادرة . لذا تكون المهمات التى تتلقاها مهمات عامة .. أن عليها أن تبطىء تقدم العدو فى كل مكان وبكل الوسائل ، وأثناء قتال الجيوش تراجعيا ، يبقى الأنصار فى المؤخرة ، فالذين كانوا بتماس مع جيوشهم اليوم ،

---

(١) بروكس ماك كلور : « الجيش السرى الروسى » فى مجلة المشاة العدد (٦٥) يوكية (تموز) ١٩٤٩ . (المؤلفان)

يصبحون غدا منفصلين عن مناطق العمليات بعديد من الكيلومترات . ففى هذه الشروط يكون التعاون مفقودا ، ويستهدف أهدافا عامة (فيما عدا التعاون الذى يهدف الى التفتيش عن المعلومات) .

الا أن الشروط لم تكن دوما متشابهة ، فعندما نجح الجيش الأحمر فى تثبيت جبهته وانتقل الى الهجوم واستعاد المبادأة ، كان باستطاعة العصابات أن تتهيأ لمهاجمة مؤخرات العدو ، فى اللحظة التى يتهيأ فيها الجيش الأحمر لمهاجمته وجها لوجه فى الجبهة . وكان الجيش الأحمر المهاجم قادرا على أن يعطى للعصابات مهمات خاصة فى أمكنة محددة جيدا ، وفى أوقات معينة . فحيثما كان هناك اعداد للاختراق كان باستطاعة العصابات أيضا أن تنتقل الى تنفيذ بعض الأعمال : كاستطلاع مواقع العدو أو قطع بعض طرقه الاستراتيجية ، أو احتلال ممرات اجبارية على أنهار صغرى أو كبرى ، وتنظيف القطاعات التى كانت تستعد الجيوش لدخولها والقيام بعمليات التشتيت فى المنطقة الأمامية الخ .. ويصبح التعاون أثناء هذه المرحلة الثانية أكثر توثقا وأفضل تحديدا .

ويتطور تكتيك حرب الأنصار ، كما تتطور الحرب نفسها ، الا أنه يبدو أن الاطار الذى تطور ضمنه تنظيم العصابات السوفييتية توقف بوضوح برغم التحسينات المتعددة التى كان من الممكن اجراؤها عليه . ولهذا قمنا بوصف تفصيلى لهذا الاطار التنظيمى ضمن الحدود التى أتاحتها لنا الوثائق الصالحة للاستخدام .

فالتنظيم السرى السوفييتى موجود ،

وقد وضع هذا التنظيم موضع الاختبار ،

وهذا التنظيم مستعد للقتال .

ان تنظيم حركة من حركات المقاومة لا يعتبر هاما جدا لنجاح هذه الحركة فحسب ، بل ان الوضع الشرعى للعصابات يرتبط به أيضا . ولأول وهلة يبدو أننا نعالج هنا موضوعا شائكا قليل الجاذبية . الا أنه مع ذلك موضوع انسانى فى أعلى درجات الانسانية .

فطريقة معاملة الأسرى من الأنصار متعلقة بنموذج التنظيم المختار . وهنا لابد من معرفة ما اذا كان الأنصار الأسرى سيعاملون كأسرى حرب ، أم انهم سيعدمون رميا بالرصاص ، كالجنود غير النظاميين (Francs-Tireurs.) ونستطيع القول ، بادىء بدء ، أن الوضع الشرعى للعصابات

ليس واضحا جدا ولكن عدم وضوحه لن يبعدنا عن مناقشته ، فاذا انطلقنا من أحكام قضى بها فى مشاكل جرائم الحرب ، يمكننا التأكيد بأن الانجليز والأمريكيين والهولنديين متفقون على المبادىء الأساسية .

١ ـ المظاهر العامة للمسألة :

لا تعتبر عمليات العصابات انتهاكا لقواعد اتفاقية لاهاى عن الحرب البرية ، ولكن اذا لم يخضع الأنصار لهذه القواعد ، يحرمون من الحماية التى تتيحها لهم هذه الاتفاقية . وهكذا يكون الأنصار خصوما شرعيين أو لا يكونون . فان تصرفوا بشكل غير شرعى اعتبرهم العدو من الناحية القانونية كالجنود غير النظاميين ، والقواعد المتعلقة بذلك موجودة فى المادة الأولى من اتفاقية لاهاى التى تشترط ما يلى :

« لا تنطبق القوانين والحقوق والواجبات زمن الحرب ، على الجيوش فحسب بل تنطبق أيضا على المليشيا وعلى قطعات المتطوعين التى تتوفر فيها الشروط التالية :

« (أ) أن يقودها رئيس مسؤول عن مرؤوسيه .

« (ب) أن يحمل أفرادها اشارة ثابتة مميزة يمكن التعرف عليها عن بعد .

« (جـ) أن تحمل السلاح بصورة ظاهرة .

« (د) أن تقود العمليات تبعا لقوانين الحرب وتقاليدها .

فاذا تقيد الأنصار بهذه الشروط الأربعة ، اعتبروا خصوما شرعيين ، وعوملوا كمقاتلين للبلد الذى يعملون لحسابه ، وفى حالة الأسر ، يكونون محميين بوضع أسرى الحرب » .

ولقد كان الأنصار الروس يرفضون حمل الشارة المميزة المطلوبة ، أو حمل الأسلحة بصورة ظاهرة . ويبدو أنهم امتنعوا عمدا عن تطبيق هذه الاتفاقية لحماية أنفسهم . وبتخليهم عن حقوقهم فى الحماية بعد الأسر ، كانا يضاعفون من فاعليتهم فى القتال .

وهناك تصريحان يوضحان هذا الرأى . فقد عبر الفيلد مارشال كوشلر عن وجهة النظر الألمانية بالشكل التالى : « ان هذا النوع من الحرب ، نوع خاص لأن من الممكن التعرف على الجندى الألمانى بسهولة ، بينما لم يكن التعرف على الأنصـــــار سهلا ، لأنهم كانوا يرتدون ثيابا مدنية » (١) . وها هى المسألة كما يراها الجانب الروسى : « ان القطاعات

---

(١) عن محاكمات نورمبورغ / الترجمة فى ص. ٢٨٧١ . (المؤلفان)

الألمانية عاجزة عن السير باطمئنان فكل دغل هادىء مسالم ، قد يخفى بين أوراقه وأغصانه رشاشا . وكل فلاحة شابة بسيطة قد تحمل أو تنقل قنبلة يدوية فى سلتها » (١) .

وتنطبق حيثيات حكم المحكمة العسكرية فى القضية التى سميت قضية الجنوب الشرقى على الأنصار السوفييت أيضا : « انهم لم يكونوا يرتدون بزة رسمية . بل كانوا يلبسون بصورة عامة ألبسة مدنية ، وقطعا من البزات الألمانية الرسمية أحيانا ، وبزات ايطالية وصربية. وكانت النجمة السوفييتية هى شارتهم الوحيدة ، سوى اننا لا يمكن أن نقول انها مرئية عن بعد . ولم يكونوا يحملون سلاحهم بصورة مكشوفة الا عندما كانوا يجدون فى ذلك ميزة من الميزات .. ولا يمكن القول ان العصابات التى كنا نجابهها ، كانت تنفذ شروط الخصومة الشرعية . وهـذا يعنى بالطبع ان الأفراد المأسورين من هذه المجموعات غير الشرعية لا تستطيع المطالبة بتطبيق وضع أسرى الحرب عليها . فلا يمكن توجيه تهمة الجريمة للمتهمين لقضائهم على أفراد قوات المقاومة الأسرى ، لأنهم كانوا من الجنود غير النظاميين » (٢) .

ولقد صدر حكم آخر يؤكد ان هؤلاء الرجال « من الممكن الحكم عليهم بالموت اذا ثبت انهم مسؤولون عن المخالفة التى اتهموا بها » (٣) ومن الممكن فى كل الأحوال مناقشة نوع الدليل الواجب تقديمه لتثبيت هـذه المسؤولية ، أى لكى يمكن معاملة الأسير من الأنصار كجندى غير نظامى . ان البريطانيين والأمريكيين ليسوا متفقين فى الرأى حول هذه النقطة . فالأمريكيون « يشككون فى الزام القانون الدولى احالة المتهمين أمـام محكمة » (٤) ، بينما يرى الانجليز ان حكم المحكمة ضرورى . وقد قدم هذا الرأى فى خلاصة قضية فون مانشتاين أمام المحكمة العسكرية ، وهى خلاصة كتبها جستس كولنجوود بالشكل التالى :

« ان اشتباك الروس فى حرب العصابات على نطاق هائل أمر طبيعى . وان التهديد المستمر الذى شكلته هذه الحرب للقوات الألمانية واضح أيضا كل الوضوح .

---

(١) عن كتاب « نحن أنصار » ـ المذكور سابقا / ص ٤ .

(٢) عن محاكمات نورمبورغ (أقوال ليست ـ الترجمة ص ١٠٤٤٠ .

(٣) عن محاكمات نورمبورغ ـ حالة مجموعات الكوماندوس الخاصة رقم ٩ الترجمة ص ٦٧٥٨ .

(٤) محاكمات نورمبورغ ـ لينست / ص ٤٨ ـ الحكم ـ (المؤلفان)

« ان أى شخص مقتنع بأنه عمل كجندى غير نظامى ، لا يستطيع أن يطالب بمعاملته طبقا لمعاملة أسرى الحرب . ولكن هذا يفترض مسبقا ان المعنى بالأمر قد مثل أمام المحكمة كما هى الحالة بالنسبة للجواسيس .

ولا يمكن قبول جواب الجنرال ليست عندما قال : أنه لم يكن هناك وقت لجمع المحاكم . اذ لا يمكن أهمال احترام قوانين الحرب لمجرد أنها تضايقنا » (١) .

وينبغى أن نضيف أيضا ان الألمان أنفسهم يشاركون البريطانيين رأيهم . فكل الجنود الألمان يملكون «الوصايا العشر للجندى فى الميدان» وتقول ثالث هذه الوصايا : «لا ينبغى قتل الخصوم الذين يستسلمون حتى ولو كانوا أنصارا أو جواسيسا بل ينبغى أن ينالوا جزاءهم العادل فى محكمة عدلية » (٢) .

ومع ذلك ، فقد أعدم الألمان رميا بالرصاص فى روسيا ، كل الأشخاص الذين أشتبهوا بأنهم أنصار « دون محاكمة » . وهذا عمل غير شرعى .

وكان الألمان فى روسيا يميزون بين ثلاثة أنواع من الأنصار : المشبوهون ، والموالون ، والأنصار أنفسهم . وسنعدد فيما يلى القواعد الشرعية التى يمكن تطبيقها على هذه الأنواع الثلاثة :

(ا) الأشخاص المشبوهون : ان اعدام شخص مشتبه به رميا بالرصاص لمجرد الاشتباه بأنه من الأنصار عمل غير شرعى « فالإشتباه هى حالة ذهنية للمدعى ، وليست حالة ذهنية أو عملا من أعمال المتهم . ومن الأمور الرهيبة الفوضوية ان تكون حالة المدعى الذهنية هى العامل الحاسم فى الحكم على المتهم رغم عدم وجود جرم مشهود ، وخاصة اذا كان الحكم يؤدى الى اعدام المتهم » (٣) .

(ب) الموالون (أو المتعاطفون) : ان اعدام الموالين عمل غير شرعى ، عندما لا يرتكبون عملا يضعهم فى عداد الجنود غير النظاميين ، ولكن الألمان أعدموا فتاة عمرها ١٩ عاما لأنها كتبت أغنية معادية لهم ... اما اذا ثبت بالدليل القاطع ان نشاطهم ساعد الأنصار ودعمهم أو أنهم اشتركوا معهم بعملية من العمليات ، فان تنفيذ حكم الاعدام بهم شرعى (٤) . وهنا لابد من المثول أمام المحكمة ، وصدور حكم الاعدام .

---

(١) مذكورة سابقا فى محاكمات نورمبورغ ، ليست ص ٣١٤٤ .

(٢) وولتزوغ « القانون فى الحرب » برلين صفحة ٥ .

(٣) محاكمات نورمبورغ ، فون ليب ص ٩٦ من الحكم .

(٤) محاكمات نورمبورغ ، لبست ، ص ١٠٤٤٢ من الترجمة . (المؤلفان)

(ج) الأنصار : ـ لقد كان من عادة القيادة الألمانية ان تميز بين عدة انواع من الأنصار ، وان تعرف كل نوع من الأوامر والتوجيهات . وبهذه الطريقة أضافت اسم كل الأشخاص الذين تعتبرهم مشبوهين الى لوائحها ولم يكن الألمان يكتفون باعدام الجنود غير النظاميين شنقا أو رميا بالرصاص ، بل كانوا يقومون باعدام أشخاص آخرين بدون سبب وجيه غير السبب الذى أبداه هتلر عندما أعطى أمره التالى : « تخلصوا من كل الأشخاص المعادين » (١) .

وأثناء مؤتمر عقد فى فارسوفيا ، فى ١١ يونيه (حزيران) ١٩٤١ ، أعطى الجنرال موللر التعليمات التالية العدلية العسكرية التابعة للقوات المسلحة : « ينبغى ان يعتبر كل مدنى يزعج أو يشجع الآخرين على ازعاج القوات المسلحة الألمانية ، رجلا من رجال الأنصار ، ويشمل هذا الأمر المحرضين ، وموزعى المنشورات ، والأشخاص الذين لا يحترمون الأوامر المعطاة ، ومشعلى الحرائق ، والأشخاص الذين يدمرون العلامات على الطرق ، والذين يهاجمون قوافل التموين أو مستودعاته الخ ... » وكان الجيش الحادى عشر الألمانى يعتبر جنود الجيش الأحمر كالأنصار . وقد أوصى بما يلى : « ان الجنود الروس ومجموعات الجنود التى تختبىء بعد القتال ، لتجتمع من جديد فيما بعد « حاملة » السلاح وتهاجم مواصلاتنا بيديهتها الخاصة ، ان هؤلاء الجنود سيعاملون كجنود غير نظاميين » . وهكذا شمل تعبير الأنصار كل الجنود ، والوحدات العسكرية وجماعات المدنيين المشتبكين فى نشاطات سرية ، على المؤخرات (الهجوم على آليات منعزلة ، وعلى المعسكرات ، أو الجسور ، الخ ..) .

وتبعا لرأى القيادة العليا للحلفاء التى تعبر عن الرأى العام حول هذا الموضوع فان من غير الشرعى اعدام الأفراد الذين ينتمون الى النماذج التالية ، والذين تضعهم الأوامر الألمانية مع الأنصار :

١ ـ جنود وحدات الجيش الأحمر التى تستمر فى القتال وراء خطوط العدو .

٢ ـ الجنود ببزاتهم العسكرية ، والتابعون الى الجيش الأحمر والذين التحقوا بالأنصار .

٣ ـ المدنيون الذين يزعجون أو يشجعون الآخرين على ازعاج القوات المسلحة الألمانية « لا تسمح قوانين الحرب ولا القوانين الدولية

---

(١) محاكمات نورمبورغ ، فون ليب ، ص ٩٦ من الحكم . (المؤلفان)

بمعاملة مثل هؤلاء الأشخاص كجنود غير نظاميين أو أنصار ، أو عصابات » (١) .

٢ ـ التمرد العام :

لا تمنح أتفاقية لاهاى حمايتها فقط للأنصار بل تمنحها أيضا للمدنيين الذين يشتركون بثورة عامة . وتقول المادة الثانية من أتفاقية لاهاى ما يلى :

« ان سكان أرض غير محتلة يحملون السلاح فورا لمقاومة الغزاة عند أقترابهم من مناطقهم ، دون أن يتاح لهم الوقت لتنظيم أنفسهم طبقا للشروط المذكورة فى المادة الأولى ، يعتبرون خصوما شرعيين ، اذا حملوا السلاح بشكل مكشوف ، واحترموا قوانين الحرب وتقاليدها ».

ان المواطنين السوفييت لم يحملوا السلاح أبدا بشكل مكشوف ، لذا ، فلسنا بحاجة للمناقشة كثيرا حول هذا الموضوع ، ولكننا نؤكد مرة أخرى أن لهؤلاء المواطنين المأسورين ، قبل أعدامهم ملء الحق بالمثول أمام المحاكم .

ومن البديهى أن الأنصار السوفييت الذين تجاهلوا حماية اتفاقية لاهاى لهم لم يكونوا ينتظرون الرحمة من خصومهم .

---

(١) من محاكمة فون ليب ـ عند مناقشته حول موضوع الأنصار ، ص ١٠٧ ، ١٨٨ ، ٢١٣ ، ص ٣١٦١ من ترجمة محاكمة مانشتاين العسكرية ، حول الانتقام من الأنصار . (المؤلفان)

الفصل الرابع

المهمات التكتيكية للأنصار السوفييت

لخص الجنرال بونومارنكو ، رئيس هيئة الأركان العامة للأنصار ، المهمات التكتيكية للأنصار السوفييت على الشكل التالى :

« لقد بدأ الأنصار السوفييت بتشكيل مفارز لرجال العصابات وجماعات للتخريب . عند مطلع الحرب الوطنية الكبرى ردا على النداء الذى وجهه اليهم جوزيف ستالين ... وكانت مهمتهم العمل ضد القطعات المعادية ، وتجميد الطرق ، وقطع المواصلات الهاتفية واللاسلكية ، وتدمير المخازن والمستودعات ، ووضع الخصم وشركاءه من المتعاونين فى أوضاع لا يحسدون عليها ، وازعاجهم بصورة دائمة ، والقضاء عليهم قضاء تاما ومقاومة كل التدابير التى قد يضطرون الى اتخاذها » .

وينبغى علينا هنا أعطاء بعض التفسيرات كى نفهم جيدا « المهمات التكتيكية » للأنصار (١) . فعندما كان الأنصار يقاتلون فى المنطقة المحايدة No Man's Land لم تكن النتائج التى حصلوا عليها نتائج هامة . فلم يكن أمامهم فى الواقع أى هدف للهجوم عليه ، سوى عدو كان قد اشتبك فعلا فى القتال . وهذا النوع من المهمات هو من مهمات الجيش . وليس من عمل الأنصار القيام بمثل هذا الدور ، كما أن تجهيزهم لا يسمح لهم بذلك . ولقد ذكر ستالين ذلك فى أمره الذى أصدره فى (١) مايو (مايس) ١٩٤٢ ، عندما قال : « ان الأرض المثالية للأنصار هى مؤخرات العدو » .

وينتج عن ذلك ان غزو الأرض واحتلالها ليست مهمة من مهمات الأنصار . والواقع ان الأنصار لم يقاتلوا للتشبث بالأرض ، الا عندما كان عليهم يهيئوا بعض المواقع للجيش الأحمر . فمهمتهم الأساسية

---

(١) من كتاب استراتيجية الحرب السرية ، راجع أيضا ميكشه المذكور سابقا . ص ٦١ والصفحات التالية . (المؤلفان)

هى انهاك العدو بمهاجمته دون توقف ، والتعرض للأجزاء الحساسة من تشكيلاته وترتيبه . وقد رأينا ان رأى ماوتسى تونج متفق مع هـــذا الرأى وهو فى ذلك محق جدا .

ويقول كارل ماركس : ينبغى على الأنصار أن يمارسوا تكتيكا يسمح « لقوة ضعيفة بالتغلب على خصم أقوى وأكثر تنظيما » . ولهذا من الضرورى أن يتجنب الأنصار العدو فى كل مكان يتفوق فيه . ولقد طبق ماوتسى تونج هذه القاعدة فى الصين بكل نجاح .

واستنتج ماو من هذه القاعدة الاستنتاج التالى : ينبغى أن يشن هجوم الأنصار بالمفاجأة . وأن ينفذ بسرعة قبل أن يتاح للخصم الوقت لجلب قوات متفوقة ، وعلى الأنصار أن ينسحبوا بسرعة ، عندما ينفذون ضربتهم . والقاعدة الاساسية هى البقاء بتماس مع العدو أقل وقت ممكن . ان التكتيك الذى كان يعلمه الكولونيل لورانس لجيشه العربى ، صالح أيضا ، وعلى كل وحدة من وحدات الأنصار أن تطبقه . ويتضمن هذا التكتيك «استخدام الأعداد الصغيرة ، فى أبعد مكان ممكن ، وبعيدا جدا ، خلف الخطوط » ولا ينبغى أن يترك للخصم الوقت لاعادة تماسكه .

وعلى قائد الأنصار أن ينتقى أهدافه بعناية ، على أن تكون أهدافا هامة ، ثم يختار بعد ذلك أكثر الأهداف حساسية للخطر .

ولهذا يحتاج هذا القائد الى الى جهاز استخبارات ممتاز . ويتعلق نجاح مشروعاته حقا بقيمة جهاز استخباراته . وينبغى أن يحقق هذا الجهاز ، لدى الأنصار ، هدفين : على القائد أن يعرف ماذا يجرى لدى العدو : « فقد كان القائد يعرف كل ما كان بنوى الألمان القيام به ضده ، وبفضل ذلك ، كان قادرا على تغيير ترتيبه أو اتخاذ التدابير اللازمة فى الوقت الملائم » (١) ولا بد أن يعرف القائد كل ما هو ضرورى لنجاح عملياته . فليس من المستحسن القيام باغارة ضد مخزن معاد اذا كان هذا المخزن فارغا ، أو تخريب خط حديدى اذا كان القطار المقبل قطارا مدنيا .

الا أن كل الأهداف الهامة والحساسة ليست أهدافا للأنصـــار . فلنفترض أن جهاز استخبارات لوحدة من وحدات الأنصار اكتشف أن جسرا للخط الحديدى لا يحرس من قبل العدو حراسة كافية ، وان ثلاثة قطارات للقطعات بالاضافة الى عدد كبير من قطارات التموين تمر فوقه كل ليلة ، وان المعلومات تقول ان مهاجمة هذا الجسر ممكنة مع كل فرص النجاح ، فى لحظة تبديل الحرس ، فى الساعة ٢٠,٠٠ . فمن الممكن أن

(١) انظر كوفباك المذكور سابقا ص ٩٤ . (المؤلفان)

يكون هذا الجسر هدفا لهجوم يقوم به رجال المظلات التابعون للجيش في الليلة نفسها . فاذا لم يتم تنسيق عملية التدمير ولم يتفق عليها ، أدت الى أزعاج قطعاتنا أكثر من أزعاج العدو . وان سكون الأنصار بناء على خطة مدروسة قد يشكل أحيانا مساهمة حيوية في انتصار قوات الجيش النظامي .

وهناك مثال تقليدي لوجهة النظر هذه ، أعطاه الأنصار انفسهم في ربيع عام ١٩٤٤ ، فحتى هذا التاريخ ، كان الأنصار يبذلون نشاطا هائلا في المنطقة المحتلة من قبل مجموعة جيوش الوسط الألمانية ، التي كانوا يدمرون باستمرار شبكتها الحديدية . وفي الفترة الكائنة بين يولية (تموز) وأكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤٣ ، هاجموا ٤٨٠٠ مرة تقريبا السكك الحديدية ، وعطلوا ١٢٠٠ قاطرة ، وفي أكتوبر (تشرين الأول) نسفوا ٤٧ جسرا وأخرجوا ٢٨٥ قطارا عن سكته . وتابع الأنصار ايقاع عملهم بهذه السرعة حتى الربيع . في هذه اللحظة توقف نشاطهم فجأة . فما السبب ؟ كانت جبهة مجموعة جيوش الوسط الألمانية تتمتع بخط متعرج . وكانت هذه الجبهة تشكل بمجموعها نقطة استفهام ضخمة ذات رأس كبير . وبعمليات تشتيتية ذكية أعطى الجيش الأحمر انطباعا عن أستعداده لمهاجمة الجزء الجنوبي من الجبهة الألمانية . وبهذا الشكل دفعت مجموعة الجيوش الألمانية ، في هذا الاتجاه ، بكل قواتها الاحتياطية التعبوية (العملياتية) ، وبعض وحدات سحبت من الشمال والجنوب لتعزيز مكان الهجوم المحتمل . وقد استخدمت هذه الوحدات في جميع حركاتها الخط الحديدي الوحيد الذي كانت تملكه : أورشا ـ برست المار بمينسك . فأوقف الأنصار الذين اعتادوا مهاجمة هذا الخط كل عملياتهم ، ولم يهاجموا القطارات الا نادرا . وكان الجيش الأحمر في الواقع يرغب في أن يقوم الألمان بتنفيذ هذه التحركات بهدوء فأعطى أوامره للأنصار بالتزام الهدوء ، وعدم النشاط . وعند وصول النجدات الألمانية الى الجنوب ، هاجم كبد الجيش الروسي في الشمال ، بشكل مفاجيء . وعندما اضطر الألمان لاعادة النجدات الى الشمال لدعم الجبهة المتداعية ، قام الأنصار بقطع كل حركة النقل ، تنفيذا لأمر صدر اليهم من قيادة الجيش الروسي من جديد ، وقاموا بتخريبات شاملة لم يعرف لها مثيل من قبل . وهكذا انهارت مجموعة جيوش الوسط ، نظرا لنقص القطعات وانقطاع النجدات » (١) .

---

(١) هيرمان تيسك .. (هيدلبرغ ١٩٥٢) ص ١٩٢ والصفحات التالية ، ص ٢١٠ والصفحات التالية .

فعند اختيار الأهداف ، لابد لقائد العصابات أن يضع ترتيبا لأفضلية الأهداف ، فهناك في المقام الأول العمليات التى تستهدف الحصول على السلاح والتجهيزات والمؤن لعصابته ، وبدونها لا يستطيع عمل أى شيء . وقد أعطى الجيش الأحمر أيضا لأنصاره مهمات خاصة تنفذ حسب ترتيب الأفضلية كما تلقى الأنصار فى بعض الأحيان أمرا للقيام بآلاف التخريبات على الطرق أو السكك الحديدية فى ليلة واحدة . فتفكيك جهاز النقل المعادى يتطلب اعدادا دقيقا لعمل العصابات .

وفى بعض الأحيان تلتزم العصابات الهدوء الكامل . فقد وجدت الجيوش الألمانية نفسها فى هذا الوضع عندما كانت تحتل منطقة لأول مرة . وكانت رغبة الأنصار هى أن يحس الجنود الألمان فى بادىء الأمر بالأمن الكامل ، بشكل يستطيعون فيه بعد فترة ، ضرب العدو بقوة أكبر لأن مفاجأته ستكون مفاجأة كاملة .

وفى حرب العصابات هذه ، يستفيد عامل المفاجأة من ظروف مختلفة عرف الأنصار الحمر كيف يستثمرونها بصورة جيدة . وكما عرفنا فيما سبق ، لم يكونوا يرتدون البزة الرسمية الا فى المناسبات ، حيث كانوا يرتدون البزات الألمانية ، والرومانية ، كما أنهم أيضا لم يكونوا يحملون سلاحهم بشكل مكشوف ، فقد كان الأنصار السوفييت يعرفون أساليب الاختفاء . ثم ان الجبهة الألمانية كانت طويلة وعميقة ، وقد استطاع الأنصار انتقاء أهداف لم يكن العدو ليتوقعهم فيها أو كان توقعه لوجودهم فيها قليلا . وكانوا يتنقلون ، بدون تجهيزات وتحت جنح الليل . فكانت حركيتهم كبيرة جدا . وكانوا يعملون بصمت كما يعمل لصوص الفنادق ، كما كانوا يعرفون الأرض معرفة تامة وكانت هذه ميزة من أكبر الميزات .

يستطيع الأنصار اذن انتقاء الأهداف التى تتيح لهم استثمار ميزاتهم الخاصة ، وأن يوازنوا بهذا الشكل التفوق التقنى للعدو . والميزات التى تقدمها أهداف لا يمكن الدفاع عنها الا بصعوبة واضحة لا تحتاج الى تفسير . ومن أهم هذه الأهداف : الطرق أو السكك الحديدية ، ومنشآت الغاز والكهرباء العامة ، والشبكة الهاتفية ، والآبار غير المحروسة ، ثم تأتى بعد ذلك الأهداف التى هى بالأصل ضعيفة الحراسة : كالجسور والمخازن ، والورشات ، والمستودعات وأخيرا ، هناك الأهداف البشرية المنعزلة : الحراس المهملون ، والقوافل الصغيرة ، والمدافع المنعزلة المتمركزة ومفارز القيادات .. الخ وفى النهاية ، هناك الأهداف التى ترد فورا على الهجوم : كالمواقع ، أو الوحدات السائرة ولكن ، بعد أن منى الأنصار

السوفييت بالفشل تلو الفشل ، تجنبوا مثل هذه الأهداف ، وعندما كان عليهم أن يهاجموا قطعة من القطعات ، كانوا يقومون بالهجوم بشكل اغارات مفاجئة متعددة على النقطة الضعيفة والحساسة فى الترتيب ، وكانت هذه النقطة بصورة عامة هى : القائد أو رتل الوحدة المهاجمة . وفى سبيل تنفيذ هذه العمليات فى وقت قصير جدا ، كان لابد من القيام بالاستطلاع قبل تنفيذها . وقد أوصى ماوتسى تونج بذلك فى كتاباته .

ولم تنفذ كل مهمات الاستعلام التى قام بها الأنصار بهدف التفتيش لصالح العصابات عما يجرى فى أرض عملهم . فقد عملت مصلحة الاستخبارات التابعة للأنصار مرارا لصالح ادارة مخابرات الجيش . وكان الأنصار صالحين بصورة خاصة لهذا النوع من العمل . وكان من السهل على الجيش الدخول بتماس معهم لأن مواضعهم معروفة لديه ، ولأنهم مجهزون بأجهزة لاسلكية للارسال والاستقبال . وكانوا يعرفون الأرض بصورة جيدة ، كما أن التفتيش عن المعلومات ، كان عملا مالوفا عندهم .

وقد رأينا كيف نشر الأنصار عددا كبيرا من العملاء فى المواقع الهامة : فى المعسكرات والمستشفيات العسكرية ومصالح التموين ، حيث كانوا على تماس دائم مع الضباط والجنود الألمان .

وكان كثير من الروس يفهمون اللغة الألمانية بصورة جيدة ، ويفهمون ما يقال فى مطاعم الضباط ، خلال الأحاديث الدائرة بينهم حول الحرب . وهناك معلومات من نوع آخر ، كانت العصابات تستقصيها ، الا أن هذه المعلومات كانت تتطلب أحيانا صبرا ووقتا . فقبل نسف خط حديدى ، كان من الضرورى اعداد توقيت لهذه العملية . ولهذا الغرض ، كان أحد الأنصار يتسلق شجرة بجوار الخط الحديدى ويسجل نوع القطارات التى تمر عليه ، وحمولتها ، وأسلوب الأمن المستخدم فى كل قطار ، وساعات المرور ، بصورة يصبح فيها من المستطاع تدمير القطار فى الساعة والنقطة المختارتين .

وكانت ادارة المخابرات السوفييتية تستخدم فى كثير من الأحيان جواسيسها الذين ينزلون بالمظلات على المؤخرات الألمانية . وكانت تنفذ هذا العمل عندما تريد الحصول على أختام ووثائق أصلية ، وبعض الخطط ، أو نوع معين من بطاقات تحقيق الشخصية المطلوبة من السكان المحليين للانتقال من قرية الى أخرى ، أو مخطط موقع العدو المحصن مع كل المعلومات الضرورية عن تنظيمه . وفى مثل هذه الحالات كان على رجال

الاستخبارات نقل المعلومات بأنفسهم ، دون أن يستخدموا لاسلكى الأنصار .

وقد يرى الأنصار ، مع تطور وسائل الاتصال الحديثة تضاؤل أهميتهم فى هذا الموضوع ، وهنالك حالات لم يستخدم الجيش فيها جهاز مخابرات الأنصار ، وبصورة خاصة ، عندما كان للمعلومات المطلوبة طابع خاص جدا ، أو أنها كانت هامة جدا ، ولا يجوز أن تعرف من قبل الأشخاص الغرباء عن الجيش كما لا يجوز نقلها باللاسلكى . وعندما كان الجيش الأحمر يرسل عناصره الخاصة على مؤخرات العدو ، لم تكن هذه العناصر تلتقى مع عناصر الأنصار حتى ولو كانوا يعملون معا . وكانت « صناديق البريد » تستخدم فى مواضع مموهة جيدا ، وتوضع الرسائل فيها لتجنب اتصال شخصى .

ومع ذلك ، فان العصابات كانت مجهزة جيدا لتلبية احتياجات جهاز مخابرات الجيش . وينبغى أن لا ننسى ، أن التاريخ لم يعرف فى خلال الحروب السابقة ، جيشا كان يملك مثل هذا العدد من العملاء المنتشرين بكثرة فى منطقة احتلال لها مثل هذا الاتساع . لذا وجد الألمان منذ ابتداء عمل الأنصار الجدى أن لا أمل لهم فى المحافظة على أسرارهم داخل هذه الشبكة الكبيرة من رجال الاستخبارات . ويقول تقرير أحد الفيالق الألمانية فى ٥ مارس (آذار) ١٩٤٢ ما يلى : « لقد عرفنا أن العدو كان مطلعا على حركات قطعاتنا بشكل لا يمكن تصديقه » .

اذن فحركة الأنصار تقدم خدمات تعادل أضعاف أضعاف ما يبذل لانشائها أو تغذيتها وتنميتها نظرا لقيمة عملها الثمينة فى مجال البحث واستقصاء المعلومات . وقد كان الجنرال بونومارنكو على حق عندما قال : « أضحت حركة المقاومة السوفييتية أحد أهم أسباب هزيمة الغزاة » .

ولو تركنا فحص الأهداف المباشرة للأنصار ودرسنا أهدافهم العامة للاحظنا أن هذه الأهداف تنقسم الى نوعين :

١ ــ انهاك أفراد العدو بغية أضعاف الجبهة المعادية .

٢ ــ القيام بأعمال ضد تحركاته بشكل نحرمه فيه من أسلحته وتجهيزاته وتموينه .

ويبلغ الأنصار هدفهم الأول بمجرد وجودهم ، فهم يضطرون الخصم الى تبديل قواته لتأمين مؤخراته وقوافله . وتزداد أهمية هذه القوات المخصصة للأمن بازدياد عدد الأنصار ونشاطهم واتساع دائرة عملهم .

وسنعطى فيما بعد ، بعض المعلومات الدقيقة عن أهمية القوات الألمانية المستخدمة لتأمين أمن المؤخرات .

وان أفضل وسيلة لانهاك القوات المعادية هى فى تكبيدها خسائر مادية . ويتذكر القارىء ، دون شك ، أن الجنرال بونومارنكو قد قدر عدد الجنود الألمان الذين ذهبوا ضحية الأنصار أثناء السنتين الأوليتين لحرب العصابات بـ ٣٠٠،٠٠٠ جندى على الأقل . وهذا الرقم يعادل من ١٥ الى ٢٠ فرقة ألمانية ، وقد يكون فيه بعض المبالغة . ولكن اذا قارنا هذا الرقم (أو أى رقم آخر أقل منه) مع تعداد القوات الألمانية المتمركزة فى البلدان المحتلة ، عام ١٩٤٣ (١٧ فرقة فى الغرب ، ١٤ فرقة فى ايطاليا قبل استسلامها ، ١٧ فرقة فى البلقان) ظهرت لنا فاعلية حرب الأنصار فى حقل استنزاف قوات العدو ، ولنذكر أخيرا ، أن قدرة العصابات على انهاك الخصم تتناسب مع سرعتها وقدرتها على التملص .

ان سهولة التملص التى يتميز بها الأنصار مهمة جدا لسبب آخر . فعصابة عاملة من الأنصار تجمد بالطبع العدو أمامها . أما العصابة المدمرة التى قضى عليها فتترك العدو حرا طليقا للقيام بمهام أخرى .

لذا فالمهمة الأولى لعصابة من العصابات ، هى اذن أن تبقى موجودة ، وأن تقوم « بانسحابات استراتيجية » أكثر من أن تثبت أمام الخصم ، لأن ثباتها ، أمام الخصم هو الانتحار ، وقد كان ماوتسى تونج من هذا الرأى ، كما طبقه الأنصار السوفييت أيضا . ان على الجندى النظامى أن يدافع عن الموقع الذى أوكل اليه ، مهما كان الثمن . أما رجل الأنصار، فعليه أن يختفى عندما يسوء الوضع بالنسبة اليه (١) .

ولقد ألح الجنرال كوفباك على هذه النقطة فى كتابه ، فقد طوقت

---

(١) ينطبق قول المؤلفين على عمل العصابات وتصرفها فى المراحل الأولى لقتال العصابات ، وعندما لا يسمح لها عددها وسلاحها وذخائرها بمجابهة العدو والتشبث بالأرض ، وعندما تكون مهمتها مقتصرة على مفاجأة العدو وضربه فى أضعف نقطة بغية بلبلة مؤخراته وقطع مواصلاته والاختفاء بعد ذلك بسرعة .. ولكنه لا ينطبق على عمل العصابات فى مرحلتى تطورها الثانية والثالثة ، أى عندما تسمح لها قوتها بمجابهة العدو والدخول معه فى معارك حقيقية ، بالاضافة الى التمسك بمناطق واسعة والسيطرة عليها ، أو التشبث بنقاط حساسة من الأرض والدفاع عنها لتسليمها الى الجيش النظامى الصديق المتقدم من ذلك الاتجاه . ان الأساليب التى تستخدمها العصابات أساليب متعددة تختلف بناء على عدة عوامل منها : قوتها ، وسلاحها ، وتدريبها ، وقوة العدو ، وطبيعة الأرض ، وموقف الجيش النظامى .. الخ .

(المعربان)

تقريبا كل مفارز أنصاره ، كما أن ذخائرهم قد استهلكت . فقرر قطع القتال نهائيا . ويكاد الأمر الذى أعطاه لمفرزته ، أن يكون أمرا تقليديا :

« لكى نحافظ على قواتنا لخوض معارك فى المستقبل ، تخلى غابة سباد شتشانسكى فى أول ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ ، فى الساعة ٢٤ ، مع اجراء محاولة للخروج منها باتجاه غابات بريانسك » (١) .

وفى نفس الوقت ، فان أحسن وسيلة لحرمان العدو من أسلحته وتجهيزاته وتمويناته هى فى تدميرها أو منع العدو من استخدامها. وهذه نقطة بديهية لا تحتاج الى شرح .

ان حركة العصابات لا تستطيع القيام بمهماتها التكتيكية بصورة جيدة الا اذا حققت شرطين : (١) ينبغى على الأنصار أن يكونوا فى كل مكان ، أى التفرق الكامل قدر الأمكان . (٢) ينبغى أن يكونوا مستقلين أيضا . وقد تشكلت حركة الأنصار السوفييت بناء على هذين الشرطين .

فكم كان هناك من الأنصار ؟ ليس هناك من يستطيع الاجابة على هذا السؤال فالتقدير الروسى يعطى رقم ٠٠٠ر٥٠٠ر١ ، وهو رقم يبدو مبالغا فيه . وسبب تناقض الأرقام هو أن الأنصار الروس كانوا فى كل مكان خلال فترات الحرب الأخيرة ، وقد برهنت حرب الأنصار الروس أن ألفا من العصابات ، كل عصابة تتألف من خمسين رجلا أكثر فاعلية من خمسين عصابة ، كل عصابة مؤلفة من ألف رجل .

وهناك مبدأ يقول أنه اذا عملت العصابات بصورة مستقلة ، كانت قوة صدمتها أكبر . وينبغى أن تملك كل عصابة أجهزتها اللاسلكية وأسلحتها وذخائرها ومستودعات مؤنها الخاصة . ومن هذه الناحية كانت العصابات السوفييتية منظمة بصورة جيدة . وكانت مفارز الأنصار تتمتع باستقلال ذاتى واسع النطاق ، الا عندما تكون العمليات عمليات مشتركة مع مفارز أخرى (٢) .

---

(١) كوفباك — المرجع المذكور سابقا — ص ٣٦ . (المؤلفان)

(٢) لا تتناقض حرية العمل النسبية ، والاستقلال التكتيكى الذاتى لكل عصابة مع مركزية التوجيه الاستراتيجى ، الذى يجب أن يصدر عن قيادة عامة واحدة للعصابات مرتبطة مع قيادة الجيش النظامى العامل على نفس الجبهة . لذا يجب أن تتمتع كل جماعة من الفدائيين العرب بحرية كاملة فى تنظيمها وعملياتها داخل قطاع نشاطها فى أراضى فلسطين المغتصبة ولكن هذه الحرية لا تتنافى مع وحدة العمل الفدائى فى فلسطين تحت قيادة مركزية استراتيجية كما لا تتنافى مع ارتباط جميع العمليات الفدائية بتوجيهات أركان عمليات الجبهات العربية النظامية . (المعربان)

ولقد أكتشف الأنصار بأنفسهم ، وفى وقت مبكر جدا ، نوع المهمات التى كان عليهم أن يقوموا بها ، فأتاحوا للخبراء التكتيكيين فرصة دراسة هذه المهمات وشروط تنفيذها موضوعيا . ولقد لخصها الجنرال كوفباك، وهورجل خبير لا يمكن أنكار تجربته فى هذا الموضوع ، على الشكل التالى :

« لقد كلفتنا المعارك الدفاعية التى فرضها العدو علينا كثيرا من التضحيات . فلا يستطيع الخصم استغلال تفوقه العددى ، والتقنى الا فى هذا النوع من القتال : وقد حصلنا على انتصاراتنا الكبرى فى كل مكان استطعنا فيه المحافظة على حرية عملنا . وكانت كل خططنا وحساباتنا ، ابتداء من اللحظة التى تركنا فيها غابة سبادشتشانسكى ، مستندة الى مسيرات سريعة طويلة ، وحركات سرية ، وهجمات مفاجئة. فاذا تحركنا دوما ، وناورنا باستمرار ، وبقينا فى كل لحظة قادرين على تغيير اتجاه مسيرنا ، تعذر على العدو الوصول الينا . وفقد أثرنا ولم ينجح فى حشد قواته لضربنا فاذا ما تمكن من احتوائنا بقوات متفرقة ، فان حركيتنا ستسمح لنا دوما بالتهرب منه » (١) .

ولو أراد ماوتسى تونج أن يتكلم ، لما أضاف شيئا الى هذه السطور . فقد برهن الأنصار السوفييت أنهم تمثلوا تعاليم ماو بصورة جيدة .

---

(١) كوفباك / المرجع المذكور سابقا / ص ٨١ .   (المؤلفان)

القسم الثانى

المجابهة الألمانية للعصابات

الفصل الخامس

مرحلة المحاورات والتجارب والأخطاء

- **أيها النمر ، أيها النمر .**
- **كيف أصبحت ، أيها الصياد الجرئ ؟**
- **أخى ، لقد كان الترصد طويلا ، وكان الليل باردا .**
- **والفريسة التى تريد القضاء عليها .**
- **أخى ، أنها ما زالت تركض فى الأدغال .**
- **فأين تلك القوة التى صنعت كبرياءك ؟**
- **أخى أن قوتى تنزف من جانبى الجريحين .**
- **اذن ، لماذا تسير بهذه السرعة ؟**
- **أخى ، أحاول الوصول الى عرينى لأموت فيه .**

كتاب الأدغال (روديارد كبلنج)

عندما شن هتلر معركته فى روسيا ، كان يعتقد أن كل شئ سينتهى فى ستة أسابيع أو بضعة أشهر . وأنها ستنتهى مهما تعقدت الأمور قبل مطلع الشتاء .

فليس من المدهش اذن ، أن هتلر وقيادته العامة ، لم يوجهوا انتباههم قبل بدء النزاع الى النشاط المحتمل للأنصار الروس .

الا أن ما يدهش أكثر هو تأكدنا من أن كبار القادة الألمان ، كونوا فكرة خاطئة جدا عن حركة المقاومة الحمراء . ولهذا فأن كل التدابير المتخذة من قبل الألمان لمجابهة هذا التهديد لم تكن متلائمة مع الهدف المطلوب . فحيثما كان الألمان ينتظرون هجمات من الأنصار ، وينقلون قواتهم لمجابهتها كان الأنصار يختفون ليقوموا بهجومهم على نقاط لا يكون الألمان قادرين على مجابهتهم فيها . وعندما بدأ الألمان فى وضع تدابير وقائية ، كانت عصابات الأنصار قد تشكلت . وعندما أرادوا تدمير الأنصار بطرق أرهابية ، كانوا يصبون الزيت فى النار ، وكانت عصابات الأنصار تتضاعف . وقد حاول الألمان اصلاح أخطائهم الاستراتيجية فيما بعد ، وأقاموا تنظيما لمكافحة العصابات أكثر فاعلية ، الا أنهم لم يحاولوا أبدا اصلاح أخطائهم النفسية . بل ارتكبوا أخطاء جديدة ، ومن بينها خطيئة ارسال العمال الروس الى ألمانيا ، حيث كانوا يخضعون لأسوأ معاملة .

وكان على منظمتين مختلفتين أن تهتما بالأنصار هما :

الجيش ، وشرطة الأمن ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . وكان من الواجب أن يعمل هذان التنظيمان بصورة منفردة فى قطاعات مختلفة ، ومهمات متميزة وتسلسل هرمى خاص بكل تنظيم .

ولقد تم الاتفاق على عمل الجيش منفصلا عن مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) — التى تضم شرطة الأمن ، ومجموعات الكوماندوس الخاصة (Einsatzgruppen) ، وسرايا وفصائل الكوماندوس الخاصة — قبل دخول الجيش فى المعركة بثلاثة أشهر . ولم يكن توزيع المهمات نابعا من ضرورات عسكرية ولكنه تأثر بالاعتبارات السياسية . فالشعبية التى كان يتمتع بها الجيش الألمانى بعد معركة بولونيا ومعركة فرنسا كانت تهدد بتدمير توازن القوى الذى أنشأه هتلر بكل عناية داخل الدولة . فلقد أضحى الجيش المنتصر عاملا سياسيا . ولهذا قرر الحزب مجابهة نفوذ الجيش حيثما كان ذلك ممكنا . ولهذا فان ادارة البلدان المحتلة ، هذه الادارة التى بقيت بين يدى الجيش أثناء كل الحروب السابقة ، رفع القسم الأعظم منها والقى على عاتق الموظفين النازيين . وكانت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) تأمل بهذا الشكل أن تأخذ حصتها من المجد الذى حصل عليه الجيش الألمانى

فى الإتحاد السوفييتى . ولهذا الغرض وقع اتفاق فى ٢٦ مارس (آذار) ١٩٤١ بين الجنرال واجنر ، ممثل الجيش ، وهيدريخ ، ممثلا عن مصالح الأمن العسكرى للرايخ . وقد حدد هذا الاتفاق مسائل التنظيم ، والمهمات والعلاقات بين الجيش من ناحية ، والجستابو ، وقطعات الـ (S.S.) ، ومصلحة الأمن العسكرى من ناحية أخرى

وقد أكد الاتفاق أن « تنفيذ مهمات شرطة الأمن الخاصة التى لا تتعلق بالقطعات يتطلب وجود قوات خاصة وفصائل كوماندوس خاصة (Sonder Kommandos) تابعة لشرطة الأمن فى منطقة الاحتلال » .

ومن المستغرب حقا أن يعتبر واجنر وهيدريخ أن تدابير مكافحة العصابات « خارجة عن مهمات القطعات » . ولكننا نجد السبب عندما نتابع قراءة الاتفاق . فمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) احتفظت لنفسها بالعمل على مؤخرات الجيوش ومجموعات الجيوش . ولعلها كانت تعتقد أن الجيش لا يقاتل الا على الجبهة نفسها .

وطبقا لتعابير الاتفاق ، ألحقت وحدات من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) بالجيوش ومجموعات الجيوش ، الا أنها لم تكن ملحقة بهذه الوحدات الكبرى الا فى التحركات والاقامة والتموين فقط . وكانت تحت أوامر هملر حيث تتلقى منه التعليمات مباشرة . وكان عليها أن تعلم قواد الوحدات التى ترتبط بها بهذه التعليمات . وكان على هذه الوحدات أن تقدم لها كل التسهيلات للقيام بمهماتها ، وجميع التعليمات اللازمة لتجنب تدخلها فى العمليات العسكرية الصرفة .

وبهذا الشكل ، كان كل شيء معدا للقضاء قضاء تاما وجماعيا على كل عناصر الشعب المعتبرين معادين للأيديولوجية النازية .

وكانت عدد مجموعات الكوماندوس الخاصة (أربعة ، مرقمة بالأحرف أ ، ب ، جـ ، د . وكل مجموعة منها تعد من ٨٠٠ الى ١٢٠٠ رجل موزعين على سرايا كوماندوس خاصة(Eineatz Kommandos) وفصائل كوماندوس خاصة (Sonder Kommandos) وجماعات كوماندوس خاصة (Teil Kommandos) ، وبحسب الاتفاق ، كانت المهمات المعطاة لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) هى التالية :

١ — فى مؤخرات الجيوش « التأكد من الحصول على بعض الأدوات ، قبل بدء العمليات (عتاد ، تصانيف ، مصنفات عائدة لتنظيمات أو مؤسسات ، أو جماعات معادية للرايخ أو للدولة ، أو أفراد لهم وزنهم الخاص — مهاجرون مهمون ، مخربون ، ارهابيون — الخ ..) » .

٢ ـ فى مؤخرات مجموعات الجيوش « التفتيش عن كل من يعمل ضد الدولة والرايخ ومحاربته ، وخاصة الأشخاص الذين لا يرتبطون بالقوات المسلحة المعادية والتفتيش أيضا عن كل المعلومات العامة عن الوضع السياسى لصالح قائد منطقة مؤخرات مجموعات الجيوش » .

ونرى بوضوح اذن كيف كانت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) تفهم دورها فى مكافحة العصابات : لقد كانت تحاول أن تعرف كل شىء عن حياة ايفان وفلاديمير وديمترى ، وهى مزودة بالتصانيف ، وبمصنفات المعلومات وبأدوات التصنيف اللازمة . أما المهمات الأخرى أى : توقيف الزعماء والقادة ، والقضاء على العصابات قبل دخولها فى القتال فهى من صلاحية الغستابو ، ولم يكن قادة قوات الكوماندوس الخاصة عسكريون ، بل كانوا يتبعون دورة تدريبية فى بريتش لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع قبل دخولهم روسيا ، ولم تكن هذه الدورة تشمل الا على تمارين فى النظام المنضم ، ورمايات بالبندقية فى حقل الرمى . وكان من الطبيعى أنهم كانوا يرسلون الى روسيا لا كجنود ، بل كممثلين للايديولوجية الفاشيستية .

وفى المعارك ، كانت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) نوعا من المكتب المركزى المتحرك لأمن الرايخ ، ونوعا من الغستابو المنقول (١) .

فهذا المفهوم الغريب لمكافحة العصابات ، وبخاصة بعد الحوادث ، كان مدعوما فى واقع الأمر بمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . فقد كان يعكس بالتأكيد أفكار هيدريخ عن الوضع . وقبل بدء الاشتباكات بعدة أيام ، اجتمع القادة الرئيسيون لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) فى مقر المكتب المركزى لأمن الرايخ فى برلين (٢) . وقد تكلم فى هذا المؤتمر « الجلاد » هيدريخ الساعد الأيمن لهملر ، والذى كان يمارس رئاسة شرطة الأمن (أى الغستابو والشرطة الجنائية) ومصلحة الأمن العسكرى منذ عام ١٩٣٦ . وكان قد نشر الرعب بين السكان البولونيين .. وكان عليه أن يتكلم فى ذلك اليوم . عن مهمة الأمن العسكرى فى الاتحاد السوفييتى .

---

(١) انظر الحكم فى حالات مجموعات الكوماندوس الخاصة المذكورة سابقا ص ٦٧٥٤ .. لقد كان المكتب الرئيسى لأمن الرايخ السلطة العليا لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . (المؤلفان)

(٢) وقد حضر بعضهم مؤتمرات أخرى فى مايو (مايس) ١٩٤١ فى بريتش ودروبن . (المؤلفان)

وقد حكم على كل هؤلاء الرجال الذين حضروا هذا الاجتماع بالموت: فقد مات هيدريخ فى حادث اغتيال فى شوارع براغ التى كان يحميها. وقد حكم على خلفه كالتنبرونر بالاعدام أيضا من قبل المحكمة العسكرية الدولية، كما أن عددا كبيرا جدا من قادة مجموعات الكوماندوس الخاصة بقوا على قيد الحياة فترة كافية الى أن سمعوا الحكم بالاعدام من قبل محاكم الحلفاء العسكرية.

وكانت مهمتم واضحة جدا: وهى قمع شعوب روسيا السوفيتية. وبعد أربع سنوات، لخصت محكمة نورمبورغ هذه المهمة مع التحفظات القانونية الاعتيادية كما يلى: « استخدم الغستابو ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) لأغراض اجرامية. وقد سببت هذه الأغراض .. كثيرا من الأذى لادارة البلدان المحتلة » (١).

وقد ألح هيدريخ فى خطابه على أن مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) ستكون مسؤولة عن « أمن » قطعات الجيش الألمانى فى المناطق التى ستجتازها، وأن عليها أن تقضى دون شفقة على كل معارضة للحزب الاشتراكى - الوطنى. وأن تعمل بعنف ضد الأنصار الذين يتوقع نشاطهم فى مناطق متسعة. ومن المؤكد أن مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) كانت تعلم التدابير التى يجب اتخاذها أمام الخطر المتوقع وبالنسبة لهيدريخ، لم يكن الموضوع هو اعادة زمام الأمن الذى لا يمكن أن يضطرب، وانما « المحافظة على الأمن » طبقا لطرق الغستابو.

والخلاصة، ينبغى على مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) التى تأتمر بأوامر هملر أن تقضى على حركة المقاومة فى المؤخرات قبل أن تتشكل.

وكما سنرى، اضطر الجيش، بامرة قادته، الى التدخل ضد الأنصار. ومنذ ان تمركز القسم الأعظم من القطعات على الجهبة، وعلى مقربة مباشرة منها اعتبرت هذه المنطقة الأرض الرئيسية لمطاردة الأنصار.

وقد توقع الفوهرر ذلك فى أمره «باربروس الموجه لادارة العدلية»

---

(١) ولنلاحظ أن لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) وظيفتين: « لقد كانت مكلفة بالقضاء الجرمى على بعض العناصر. كما كانت تمارس النشاطات الطبيعية للبوليس بالارتباط مع أمن مؤخرات الجيوش، ولهذا فقد تدخلت كثيرا ضد العصابات » انظر المحاكمات ص ١٢١، وسنهتم بالجزء الثانى من مهماتها.
(المؤلفان)

وهو الأمر الذى رجعنا اليـه باختصـار قبل ذلك . وقد ظهر الأمر فى ١٣ مايو (مايس) ١٩٤١ ، ونقرأ فى هذا الأمر ما يلى :

«مرسوم متعلق بممارسة العدلية العسكرية فى المنطقة «باربروس» والتدابير الخاصة الواجب أتخاذها من قبل القطعات .

« ان الهدف الأول للعدلية العسكرية التابعة للقوات المسلحة هو **المحافظة على النظام** » .

« ان اتساع منطقة العمليات فى الشرق ، وأسلوب القيادة التعبوية التى اضحت ضرورية لهذا السبب ، وميزات خصمنا ، كل هـذه الأمور تضع المحاكم العسكرية أمام مشكلات لن تستطيع ايجاد حلول لها أثناء العمليات .. ولا يمكن أن يعود السلام والهدوء الى المنـاطق المحتلة ويصبح سلاما فعليا ، الا اذا اقتصر هذا التشريع على تنفيـذ مهمته الرئيسلية نظرا لقلة عدد الموظفين المكلفين بتنفيذه .

« ولا يمكن هذا الا عندما تدافع القطعات نفسهـا دون شـفقة ولا رحمة ضد كل تهديد يصدر عن السكان المدنيين المعادين .

« بناء على ذلك ، وبالنسبة لمنطقـة « باربروس » يوصى بما يلى (لقطعات العمليـات ، ومؤخرات الجيوش والمناطق الخاضعة للادارة السياسـة) :

١ ـ « طريقة معالجة الجرائم المرتكبة من قبل المدنيين الأعداء .

« ١ ً ـ **الجرائم الخاضعة للقانون** والتى يرتكبها أعداء مدنيون ـ ليست من صـلاحيات المحاكم العسكرية الميدانية ومجالس الحرب المشـكلة .

« ٢ ً ـ **العصابات** ، يقضى عليها ، دون شفقة ولا رحمة من قبل القطعات ، سواء أكان ذلك أثناء القتال أم أثناء انسحابها .

« ٣ ً ـ **كل هجوم يقوم به أعداء مدنيون ضد القوات المسـلحة** أو ضد أفراد هذه القوات ، أو العناصر المرتبطة بها ، يصد من قبل القطعات ، فى منطقة عملها ، وبكل الوسائل الممكنة ، حتى يتم القضاء التام على المهاجمين .

« ٤ ـ وحيث لا يمكن اتخاذ التدابير اللازمة ، أو حيث لا يمكن تطبيقها منذ البدء ، **تجلب كل العناصر المشبوهة أمام ضابط وهو الذى يقرر اعدامهم أو عدمه .**

« وتتخذ **تدابير جماعية** . فورا بأمر من ضابط لا تقل رتبته عن

رتبة قائد كتيبة ، ضد **القرى** التى تنطلق منها الهجمات ضد القوات المسلحة اذا كانت الظروف لا تسمح بالتوقيف السريع للجناة .

« ٥ ب – يمنع منعا باتا التحفظ على الأشخاص المشبوهين لاحالتهم الى المحاكم بعد اعادة السلطة القضائية التى ستهتم بالسكان المحليين .

« ٦ – يستطيع قادة مجموعات الجيوش ، بالاتفاق مع القادة المعنيين البحريين والجويين ، اعادة السلطة القضائية العسكرية على المدنيين فى المناطق التى أصبحت تتمتع بالسلام بصورة كافية .

٢ – « طريقة معالجة الجرائم المرتكبة من قبل أفراد من القوات المسلحة والموظفين المرتبطين بها ضد السكان

« ١ – ليس هناك ملاحقات اجبارية ضد الأعمال المرتكبة من قبل أفراد القوات المسلحة أو العناصر المرتبطة بها ضد المدنيين الأعداء ، حتى ولو كان الفعل نفسه يشكل بحد ذاته مخالفة أو جريمة عسكرية» .

« ٢ – . . . . »

ثم اعترفت القيادة العامة الألمانية بعدم شرعية هذا المرسوم فأصدرت فى ٢٧ أغسطس (آب) أمرا باحراق كل نسخة ، كى لا يقع بين يدى العدو .

ولم تكتب أية تعليمات أخرى للقطعات عن القتال ضد الأنصار ، على هذا المستوى . ولسوء حظ الألمان ، أن الأنصار لم يهاجموا قطعات الجبهة ، الا فى البدء . وفى الخلف لم ينتظر قادة الأنصار حتى توقفهم مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) بعد دراسة ملفاتهم . ولقد احتاج الألمان الى وقت طويل ليفهموا كم كانت أفكارهم عن هذا النوع من الحروب خاطئة . ويتأتى ذلك دون شك . من أن الأنصار ، كما أشرنا الى ذلك فيما قبل ، لم يمارسوا نشاطا كبيرا عند بدء الأشتباكات .

الا أنهم عندما اشتبكوا فعلا فى القتال ، وجهوا ضرباتهم للألمان فى أضعف نقاطهم ، وفى أكثرها حساسية وتعرضا للخطر فى مؤخراتهم ، بينما كانت هذه المؤخرات محمية بصورة ضعيفة لدرجة لا تصدق . وكانت مجموعات الكوماندوس الخاصة التابعة لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) تشمل على ٤٠٠ جندى وبعض فرق الأمن التابعة

للجيش ، والتى كان من الممكن استخدامها ضد الأنصار ، سوى أنها كانت، منتشرة على جبهة واسعة فى كل المنطقة الخلفية لمجموعات الجيوش (١) .

ومع ذلك فلم تكن هجمات الأنصار موجهة فقط ضد المؤخرات الموضوعة تحت اشراف مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . بل كانت الهجمات تستهدف أهدافا واقعة فى منطقة العمليات ، وهى منطقة أمامية بالنسبة للمنطقة المخصصة لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) ، وأهدافا مباشرة خلف هذه المنطقة الأمامية . وفيما يتعلق بمكافحة العصابات ، فان هذا الجزء من منطقة العمليات لم يلق على عاتق الجيش ولا على عاتق مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . وكان من الطبيعى أن تعمل القطعات المتمركزة فيه فيما لو هاجمها الأنصار ، الا أنه لم يكن هناك قطعات معينة فيها للشروع بمجابهة العصابات بصورة منظمة . وقد حاول الألمان مجابهة الخطر بثلاث طرق مختلفة :

أولا : أرسل الى منطقة العمليات جزء من قوات الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) .

ثانيا : أعطيت وحدات خاصة لمكافحة العصابات .

ثالثا : وأخيرا طبق الجيش ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) أساليب أكثر قوة وعنفا ضد الأنصار .

وسنعالج بصورة عامة النقطة الأخيرة بالتفصيل ، لأنها تنطبق بنفس الوقت على الجيش . وعلى مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) فالتقرب النفسى من مقاومة العصابات ، عمل هام يستحق دراسة تفصيلية وايجابية . وبالاضافة الى ذلك ، فان الوقائع التى سنعرضها وقائع جديدة .

لقد رافق الحرب المتمدينة ، منذ وقت قصير ، اتفاقان دوليان

---

(١) الا أن هذا لم يمنع وحدات مجموعات الكوماندوس الخاصة وشرطة الامن من قتل مليونى شخص من المدنيين العزل . وقد اعطى هذا الرقم من قبل المحكمة العسكرية الدولية وأكدت صحته المحاكم التى حكمت على قادة مجموعات الكوماندوس الخاصة . وسنقتصر دراستنا على التدابير المتخذة فى المناطق الخاضعة للرقابة العسكرية . ففى روسيا المحتلة التى كان يديرها مفوضو الرايخ الألمان ، وكانت وحدات الشرطة التابعة لقادة S.S. ولقادة البوليس هى التى تخوض القتال ضد الأنصار . مع بعض تشكيلات تابعة لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) .
(المؤلفان).

هامان : اتفاقية لاهاى فى ١٨ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٠٧ ، التى تعالج القواعد المستخدمة فى الحرب البرية ، واتفاقية جنيف حول تحسين وضع الجرحى والمرضى العسكريين . وفيما يتعلق باتفاقية جنيف ، فقد صرح الاتحاد السوفييتى بتاريخ ١٦ يونيه (حزيران) ١٩٢٥ ، أنه يعتبر نفسه ملتزما بهذه الاتفاقية . ولكن بالرغم من أن روسيا القيصرية قد ساهمت فى وضع اتفاقية لاهاى ، الا أن الاتحاد السوفييتى لم يقدم أى تصريح عنها . كما أن كوروين الذى كان يتمتع بمنصب هام فى الاتحاد السوفييتى قال ما يلى :

« ان مرسوم ١٦ يونيه (حزيران) ١٩٢٥ ، (المذكور أعلاه) لا يعنى قانونية الاتفاقات التى وقعتها روسيا قبل الثورة » . بما فى ذلك اتفاقية لاهاى (١) .

ومع ذلك فلأسباب يعرفها الاتحاد السوفييتى أفضل منا ، فقد صرح فى أغسطس (آب) ١٩٤١ أنه يعتبر نفسه ملتزما باتفاقية لاهاى واتفاقية جنيف ، مع التحفظ بأن الحكومة السوفييتية ستلتزم بهذه الاتفاقات اذا احترمتها ألمانيا (٢) .

ومن الغريب أن نلاحظ أن هذا الالتزام لم يمتد الى الاتفاق الدولى الثالث والهام وهو : اتفاقية جنيف لعام ١٩٢٩ المتعلقة بمعاملة أسرى الحرب .

ولنؤكد هنا أن اتفاقية لاهاى واتفاقية جنيف حول معاملة أسرى الحرب ، ان هذه الاتفاقات معترف بها كقوانين دولية ، وتطبق بصورة عامة من قبل كل المتنازعين سواء كانوا من الأطراف التى أبرمت هذه الاتفاقات أم لا . ويعبر حكم المحكمة العسكرية الدولية أيضا عن هذا الرأى ، كما أن كل القضاة الدوليين ، بما فيهم القاضى الذى عينته روسيا السوفييتية ، كانوا متفقين حول القرارات التى أصدروها بهذا الشأن (٣) .

---

(١) كوروين : « القانون الحديث للأمة » (موسكو ، لينينغراد ، ١٩٣٦ ، ص ١٤٣) . (المؤلفان)

(٢) وقد تحفظت روسيا السوفييتية أيضا على تطبيق بروتوكول جنيف تاريخ ١٧ يونيه (حزيران) ١٩٢٥ المتعلق باستخدام غازات القتال . (المؤلفان)

(٣) لقد كان حكم المحكمة الدولية ، ص ٢٥٣ ، كما يلى :

« ان كثيرا من المتنازعين ليسوا أطرافا فى اتفاقية لاهاى . وطبقا لرأى المحكمة ، هذه نقطة لاضرورة لمناقشتها .. فقد اعترفت فى عام ١٩٣٩ كل الدول المتمدنة بقواعد هذه الاتفاقية ، واعتبرت هذه القواعد أساسا لقوانين الحرب وتقاليدها . وبالنسبة لاتفاقية جنيف حول موضوع أسرى الحرب ، راجع نفس الحكم ، ص ١٣٢ .

(المؤلفان)

فلماذا لم يعترف الاتحاد السوفييتى بهاتين الاتفاقيتين قبل الحرب؟ ولماذا لم يصبح الاتحاد السوفييتى ، حتى فى عام ١٩٤١ ، عضوا موقعا لاتفاقية لاهاى ؟ لماذا صرح الاتحاد السوفييتى أنه مستعد للالتزام باتفاقية جنيف اذا احترمها الألمان ؟ ولماذا استثنى الاتحاد السوفييتى الاتفاقية الأخرى ؟ ولماذا لم يحترم الاتحاد السوفييتى عمليا قواعد الحرب المتمدينة أثناء حربه ضد ألمانيا ؟ سنحاول فيما يلى الاجابة على هذه الأسئلة .

لقد اضطرت روسيا السوفييتية أثناء الحرب ، الى التصرف بشكل يتناقض مع الوعود التى قدمتها . واليكم أمر لمفوضى شعب الاتحاد السوفييتى ، مؤرخ فى ١ يولية (تموز) ١٩٤١ :

« يمنع منعا باتا :

« (أ) شتم أسرى الحرب ومعاملتهم بقسوة .

« (ب) استخدام الاكراه والتهديد ضد أسرى الحرب للحصول منهم على معلومات عن الوضع العسكرى لبلادهم أو عن أى موضوع آخر .

« (ج) الاستيلاء على بزاتهم العسكرية ، أو ألبستهم الداخلية ، أو أحذيتهم ، أو أى لباس من ألبستهم الشخصية . كما يمنع منعا باتا الاستيلاء على وثائقهم الشخصية وأوسمتهم الخ .. ينبغى أن تؤخذ أمتعتهم الشخصية وأموالهم من قبل أشخاص مخولين بذلك ، ولقاء ايصالات استلام رسمية ، بغية تأمين المحافظة عليها » .

فماذا كانت الحقيقة ؟ الحقيقة أنه بالرغم من كل المحاولات الرسمية والخاصة ، لم يستطع أقرباء أكثر من مليون جندى من جنود القوات المسلحة الألمانية أن يحصلوا على أية معلومات عنهم (١) .

وكنا نريد أن ننشر هنا خلاصة بعض الوثائق التى وقعت بين يدى

---

(١) يعتقد أن هذا الرقم مبالغ به ، وانه جزء من حرب الاشاعات التى شنها الحلفاء الغربيون ضد الاتحاد السوفييتى بعد انتهاء الحرب مباشرة ، وظهور الاتحاد السوفييتى كدولة أوروبية تهدد مصالحهم الامبريالية .

(المعربان)

الألمان لتظهر لا مبالاة السوفييت تجاه القواعد الدولية المعترف بها (١) وحتى يعرف الرأى العام ما ارتكبه الخصمان المتحاربان من مخالفات لأصول الحرب والتقرير التالى ، صادر عن الجيش الثالث والثلاثون السوفييتى . وهو مؤرخ فى ٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٤١ . ونقرأ فى هذا التقرير ما يلى :

« أعدم مائة أسير أسرتهم فرقة المشاة الأولى رمياً بالرصاص بأمر مفوضى الفرقة السياسيين نظرا للوضع الدقيق الذى نحن فيه .. » .

« قائد فصيلة استطلاع أركان الجيش ٣٣ ـ النقيب بوتابوف »

« تقرير رقم ١١ صادر عن أركان فرقة المشاة ٢٦ ، بتاريخ ١٣ يولية (تموز) ١٩٤١ :

« ترك العدو ٤٠٠ قتيلا فوق ساحة المعركة ، وقد أعـدم رميا بالرصاص ثمانون جنديا استسلموا » .

خلاصة أمر المعركة السوفييتى رقـم ٨٦ ، المؤرخ فى ٢ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ ، وقد كتبـه رئيس أركان جيش السـواحل فى سيباستبول .

« وكقاعدة عامة ، تقضى القطعات على الأسرى دون اسـتجوابهم استجوابا أوليا ودون نقلهم فى بادىء الأمر الى أركان الفرقة .

« ويذكرّ الجميع أنه لا يمكن القضاء على الأسرى الا فى حالة مقاومتهم مقاومة واضحة أو فى حالة الهرب .

« بالاضافة الى ذلك ، فان اعدام الأسرى فى مكان أسرهم أو فى الجبهة، هذا العمل الذى يمارس على نطاق واسع ، يثير عناد الجنود الأعداء ، ويمنعهم من الفرار والاستسلام » .

---

(١) مستقى من جرائم البلشفية ضد قوانين الحرب والانسانية ، وثائق جمعتها وزارة الخارجية الألمانية (برلين ، ١٩٤٢) . (المؤلفان)

تعليق :

لقد كانت الحرب التى شنتها القوى النازية الهتلرية ضد المانيا حربا تتسم بالعنف وتفتقر الى الشفقة والرحمة ، خسر الاتحاد السوفييتى فيها حوالى ١٧ مليون قتيل ، لم يسقطوا كلهم فى ساحات القتال بل مات كثيرون منهم فى ساحات الاعدام وعلى أعمدة المشانق ، وداخل معسكرات التعذيب أو غرف الغاز ، أو خلال العمل الاجبارى المنهك . وانتقم الألمان باعتراف المؤلفين من السكان المسالمين ضد أعمال الأنصـار العسكرية ، وكانت غايتهم كما سنرى ابادة الشعب السوفييتى جوعا لتأمين رفاهيـة الشعب الألمانى . ان العنف يثير عنفاً معاكسا والتعذيب والارهاب بسلاح ذو حدين ، لقد استخدمه الألمان بملء ارادتهم فى بداية الحرب ، فلا عجب ان ارتد الى صدورهم فى نهايتها بكل عنف . (المعربان)

وتحتوى « مجموعة » وزارة الخارجية الألمانية كثيرا من اعترافات الجنود والجنرالات عن الأعمال المرتكبة ضد أسرى الحرب . وقد عرف الجيش الألمانى بهذه الأعمال بسرعة ، فرد عليها بأعمال انتقامية .

وربما نستطيع أن نجد فى هذه الوقائع سبب تردد روسيا السوفييتية فى الانضمام الى اتفاقية لاهاى . وبوعدها الشعوب الأخرى بالانتماء اليها ، كانت روسيا السوفييتبة تحاول أن تبدو دولة متمدنة كالدول الأخرى ، ولكنها بارتكابها تلك الأعمال دفعت الجنود الألمان للقيام بأعمال فى منتهى القسوة والوحشية بغية اطفاء الشعلة التى تحرك الأنصار فى كل روسيا المحتلة . فكان رد الفعل عكسيا ، وتأججت نار المقاومة مع تصاعد العنف ، فهل كان هذا مخططا من قبل القيادة السوفييتية ؟

ومهما يكن من أمر ، فان الجندى الألمانى قد رد بالطريقة التالية : أثناء الأشهر الخمسة الأولى من الحرب ، لم يسمع بالأنصار الا نادرا ، رغم أمر « باربروس » والأوامر التالية التى هى من نفس النوع والتى سندرسها فيما بعد . ولكن ابتداء من شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ ، قاتل الجندى الألمانى الأنصار دون شفقة .

وأول أمر من هذه الأوامر أصدرته القيادة الألمانية العليا فى ٢٥ يولية (تموز) ١٩٤١ . ويعالج هذا الأمر السلوك الواجب اتخاذه ضد المدنيين المعادين . وقد ذكر الأمر ما يلى : « لوحظ أن العنف المطلوب لم يطبق فى كل مكان » .

« ان التسامح والميوعة دليل على الضعف ، ويؤديان الى الأخطار » .

« ينبغى أن يقمع بشدة كل هجوم ، وكل عمل من أعمال العنف أو كل محاولة من محاولات العنف ضد أشخاص أو أهداف عسكرية حتى يتم تدمير العدو تدميرا كاملا » .

ولقد علق هالدر رئيس أركان الجيش الألمانى على أمر ريخناو السابق قائلا : ان على كل جنرال عاقل أن يلقى به فى سلة المهملات .

وسنذكر فيما يلى المقطع الذى يبحث موضوع الأنصار فى أمر قائد الجيش السادس الفيلد مارشال ريخناو الصادر فى ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٤١ :

« اننا لا نأخذ القتال الذى يدور فى مؤخرة الجبهة على محمل الجد . فلا زلنا نأسر الأنصار الخونة والقساة والنساء المنحلات . ولا زلنا نعامل

الجنود غير النظاميين والمشردين الذين يلبسون البزة العسكرية أو المدنية كجنود .. لذا فلا بد من اتخاذ تدابير قاسية ضد الأنصار الذين يلقى عليهم القبض وأسلحتهم بأيديهم على مؤخرات الجيش . وتطبق هذه التدابير ايضا على السكان الذكور الذين كان بامكانهم منع تنفيذ الاغارات المعدة وأعلامنا بها فى الوقت الملائم ، فلم يفعلوا ذلك . ان لامبالاة جزء كبير من العناصر التى تدعى بأنها معادية للبلشفية ، هذه اللامبالاة المتجسدة بموقف « الانتظار والمشاهدة بسلبية » ، ينبغى أن تستبدل بقرار حاسم للتعاون بصورة فعالة فى المعركة ضد البلشفية . وفى الحالات المعاكسة ، ليس لأحد الحق فى الشكوى اذا اعتبر وكأنه جزء لا يتجزأ من الجهاز السوفييتى وعومل بناء على ذلك . وعلى الناس أن يخافوا أعمال الانتقام الألمانية أكثر من التهديدات التى يوجهها اليهم الشيوعيون الذين ما زالوا أحرارا طليقين » .

وقد اعتبر البعض أمر ريخناو ، فى تلك الفترة ، كنموذج من نوعه لأن الفيلد مارشال فون رونشتدت ، وهو الرئيس الأعلى لريخناو ، تحدث عنه الى قواد جيوشه ونصحهم بتقليده قائلا : « أصدروا أوامر فى قطاعاتكم لتحقيق الهدف نفسه .. فالاهمال واللامبالاة السائدان بعد القتال أمور لا يمكن التسامح بها » .

ولم يكن أمر ريخناو فريدا فى نوعه ، الا أنه أمر كاف لتحديد اتجاه تفكير الألمان آنذاك . وأخيرا فان أعمال الألمان لم تبق مقيدة بالأوامر الصادرة عن هيئات الأركان . فقد أعدم رميا بالرصاص آلاف عديدة من الأنصار والمشبوهون والرهائن البريئة ، وقام بعمليات الاعدام مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) بالتعاون مع الجيش ، أو مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) لوحدها بعد أن سلمها الجيش هذه العناصر . وسنسرد عددا كبيرا من الوثائق عن هذه الفظائع ، وهى وثائق كتبها ضباط وموظفون ألمان بشكل تقارير رسمية ، عندما سنهتم بتطبيق التدابير المتخذة ضد الأنصار وأسباب فشلها : وقد عرفنا حتى الآن نتائج الطرق الارهابية للألمان : لقد كان من أبرز نتائجها ازدياد العصابات ونموها فى كل مكان .

ثم أضحى من الضرورى ارسال وحدات من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) الى مختلف قطاعات العمليات ودعمها بالنجدات . وفى نفس الفترة ، بدلت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ(S.D.) طرق عملها . فبدلا من الاقتصار على التنقيب فى المصنفات ، أو على اتخاذ تدابير أمن منطلقة من استنتاجات وضعتها مصلحة الاستخبارات ، توصلت مصلحة

الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) الى تفتيش الأرض لطرد العصابات منها ، وحماية الألمان ضد مشروعات الأنصار . وكانت التعزيزات تصل من منبعين : الجيش والميليشيا ، وسنفهم فيما بعد الأسباب التى دفعت الألمان لعدم زج قطعاتهم الممتازة فى هذه المعركة ، كما سنفهم مثلا لماذا ضمت مجموعة جيوش الجنوب اليها فرقتين رومانيتين .

وبالاضافة الى ذلك ، نجد فى أمر من أوامر احدى الفرق ما يلى : « لقد نظمت المصلحة الخاصة مفارز مليشيا محلية فى عدة أماكن . وقد أختير رجال المليشيا المحليون باعتناء كبير . وكانوا يقومون بواجبات الشرطة المحلية فى القرى بواسطة دوريات وحراسات ، وكان تسليحهم : بندقية دون ذخائر » .

ويبدو من الصعب أن نتخيل فائدة مليشيا مسلحة بالبنادق دون ذخائر . ولم يكن الجيش قادرا على تخصيص قطعات أخرى لعمليات مكافحة العصابات لأن قطعاته كانت مشتبكة فى قتال عنيف فى الجبهة . فلقد ابتدأ ، الجيش الحادى عشر على سبيل المثال بمهاجمة القرم فى نهاية سبتمبر (أيلول) ١٩٤١ ، وفى منتصف نوفمبر (تشرين ثانى) كان قد احتل شبه جزيرة القرم تقريبا . وكان الجيش مضطرا ، فى كل لحظة للقتال ضد قوات متفوقة ، كما كان مضطرا أيضا لحراسة ساحل يمتد مئات الكيلومترات . ، معرض لعمليات الانزال الروسية عليه فى أى وقت ، نظرا لأن الروس كانوا يملكون السيطرة الكاملة على البحر الأسود . وقد حاولوا ذلك مرارا . فخلال هذه المرحلة الحرجة وفى منطقة هذا الجيش ، كان هناك لواءان رومانيان جبليان ، ولواء خيالة ، وفوج آلى ، وعدد كبير من التشكيلات الألمانية المعادية . وقد استخدمت هذه التشكيلات فى العمليات المضادة للأنصار .

وكان على الجيش اذن وعلى مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) أن تقوم بالعمليات فى نفس القطاعات ، وكانت لها نفس المهمات . وكان من الواضح ضرورة اتخاذ التدابير اللازمة لتنسيق أعمال هذين العنصرين . فلم يتأخر الألمان كثيرا اذ أقاموا تنظيما مشتركا للسلاحين وأنشأ الجيش الحادى عشر أفضل تنظيم مضاد للعصابات . وسنقوم بوصف هذا التنظيم ، كمثال من الأمثلة فيما بعد .

وقد اكتفى فى البدء بنوع من الارتباط بين الجيش ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)، ثم صدرت أوامر تؤكد ضرورة ارسال تقارير مصلحة الاستخبارات الى مركز موحد مكلف بدراسة هذه التقارير ،

والافادة منها ، ويرتبط هذا المركز بمصلحة استخبارات الجيش . على أن ترسل كل التقارير والمعلومات المتعلقة بالأنصار الى هذا المركز فورا . وقد إتفق أيضا على أن تعمل مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) مع الجيش بارتباط . وتنفذ العمليات المستهدفة تدمير جماعات صغيرة للأنصار ، تحت قيادة مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . بينما تبقى العمليات الواسعة النطاق بين يدى الجيش . وتبعا للظروف ، تجهز القوات المشتبكة فى هذه العمليات بأسلحة مشاة ثقيلة ، وببعض المدافع بصورة كافية .

ان لهذه التدابير ضعفا واضحا ، يتجلى فى عدم وجود «تعاون وثيق» بين مختلف الوحدات المضادة للأنصار . فقد كان من الواجب اقامة مركزية فى ادارة عمليات هذه الوحدات . وقد فهم الألمان وجود هذا الضعف ، فبعد خمسة أيام ، وفى ١٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ ، عين قائد الجيش الحادى عشر ، رئيس مصلحة الاستخبارات فى منصب مدير العمليات المضادة للأنصار فى داخل منطقة الجيش . وقد وضع تحت تصرفه فصائل الكوماندوس الخاصة التابعة لشرطة الأمن ، ولمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) وقطعات مكلفة بالدفاع عن المؤخرات ، لكى يستخدم هذه القوات فى عمليات الاستطلاعات ولقيادة العمليات ذات المدى المحدود الى نتائج حسنة .

وكان من الواجب ارسال كل التقارير وكل المعلومات عن وجود الأنصار فورا اليه . وكان من مهماته مقابلة وانتقاء العناصر المدنية الراغبة بالتطوع للقيام باستطلاعات أو للعمل كأدلاء . فاذا ما تحدد مكان جماعات من الأنصار ومراكز مقاومتهم بدقة ، يطلب هذا الضابط من الجيش القطعات الضرورية للعمل فورا .

الا أن المعلومات عن العصابات ، وعن مستودعات الذخيرة وقوة وحدات الأنصار لم تكن تصل بالسرعة الكافية حتى يمكن استخدامها من قبل الجيش . فقرر رئيس الأركان العامة عندئذ مكافأة الروس المدنيين الذين يتقدمون لاعطاء معلومات من الممكن الاستفادة منها . وكان الألمان يعرفون بوجود مستودعات للأسلحة والمؤن ، الا أنهم كانوا يجهلون مكانها .

ولقد تركت كمية كبيرة من الأسلحة على الأرض ، بعد المعارك التى جرت بين الطرفين . وكان من الضرورى جمعها قبل أن يستولى عليها المدنيون ، أو الأنصار ويخفونها أو يستخدمونها .

وقد وضع رئيس الأركان قائمة بالمكافآت التي يمكن منحها في حالة تسليم هذه الأسلحة :

- للبنـــدقية : ٥٠ روبل
- للرشاش الخفيف : ١٠٠ «
- للرشاش الثقيل : ١٥٠ «

ونحن نجهل المصدر الذي كان يمول الجيش بالأموال اللازمة لذلك كما نجهل هل استطاع الجيش جمع هذه الأسلحة أم لا . الا أن ما نعرفه معرفة جيدة هو أن الأنصار كانوا يشترون الأسلحة من الأهالي بسهولة أكثر من الألمان ، أو يحصلون عليها مجانا .

ان الأمر الذي تحدثنا عنه أعلاه ، والذي وقعه رئيس الأركان ، هو من صنع مختلف مكاتب الجيش التي كانت مكلفة باقامة تنسيق فعال بين الجيش ومصلحة الأمن العسكري للرايخ (S.D.) ، وتحـــديد تبعية هذه المصلحة الى الجيش على كل المستويات . وفي نفس الفترة ، أعطيت التوجيهات بصورة عامة « بضرورة الزام كل الوحدات للمشاركة في القتال ضد الأنصار » .

وقد احتاج الألمان الى خمسة أشهر لفهم ضرورة وجود تنظيم جدي للقتال ضد العصابات ، وقد توصل الجيش خلال هـــذه الفترة الى الاشراف على مصلحة الأمن العسكري للرايخ (S.D.) فيما يتعلق بكل العمليات الجارية لمجابهة العصابات . وأثناء هذا الوقت ، فهم الجيش أيضا أن مكافحة العصابات أضحت أمرا واقعا وثابتا ينبغي أخذه بعين الاعتبار في كل لحظة . ولو كان الجيش الألماني أكثر توقعا للمستقبل ، ولو اهتم منذ البدء بهذا التهديد الذي يشكله الأنصار ضده ، لكان بوسعه أن يحصل في هذا المجال على نتائج حاسمة .. ولو كان رائده المنطق والرحمة بدلا من الحقد والارهاب ، لما كان عليه مقاتلة عدد كبير من الأنصار ، أو على الأقل ما كان عليه أن يقوم بالقتال ضد الأنصار على نطاق واسع .

الفصل السادس

التنظيم الألماني المضاد للأنصار

ثم بدأ الألمان يكتشفون أن عمليات الأنصار تشكل خطرا جديا ، وأن من الواجب اتخاذ تدابير فعالة مختلفة عن تدابير القمع العادية لمجابهة هذه الحرب الجـديدة . وكان الجنرال فون مانشتاين قائد الجيش الحادى عشر أول قائد ألمانى يتخذ قرارات عملية فعالة فى هذا الصدد .

وكان القائد الأعلى للجيش الفيلد مارشال فون براوختيش قد أصدر قبل ذلك فى ٢٥ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤١ تعليمات خاصة ورعت حتى مستوى الكتائب تحت اسم « تعليمات حول القتال ضد الأنصار » .

ولقد كتبت هذه التعليمات دون اعـداد كاف ، ودون أن تتوقع الأحداث المحتملة فى المستقبل . ولم يكن فيها أية توجيهات مبنية على الدروس المستقاة من المعارك ضد الأنصار . ولم تكن أكثر من تذكرة بتدابير الأمن والحيطة المعروفة آنذاك ، مع التأكيد على ضرورة تحديد أماكن معينة لتجميع اللاجئين والجنود الروس الذين تتجاوزهم القوات الألمانية المتقدمة .

كما كانت تؤكد على ضرورة استخدام الأجهزة المضادة للتجسس خلال العمليات المتوقعة ضد الأنصار . وكانت قيادة الجيش العليـا متلائمة فى أوامرها مع العقيدة الألمانية الأساسية حول أسلوب معاملة الأنصار والمخربين السوفييت .

ولم يكن فون مانشتاين راضيا تمام الرضى ، اذ لاحظ أن التدابير المتخذة داخل حدود منطقته غير كافية لدرء الأخطار . لذا قرر اعادة تنظيم أركانه لتلائم هذه المهمة ، واستبدال ضابط الاستطلاع العامل معه بضابط من العمليات .

وفى خلال محاكمة فون مانشتاين فى نورمبورغ سأله محاميه الدكتور لاتيرنسير عن سبب تشكيل أركان خاصة مضادة للأنصار ، فأجابه قائلا :

« لقد كان من الضرورى تركيز قيادة العمليات ضد الأنصار بغية تنظيم التعاون فيما بينها ، ولتأمين استخدام المعلومات التى يتم الحصول عليها أحسن استخدام . علما بأنه كان **للأنصار أنفسهم قيادة سرية مركزية** » ولهذه الاجابة معنى كبيرا ، فلقد رفع فيها فون مانشتاين شأو الأنصار عندما اعلن بأنه كان يقلدهم ويسير على خطاهم .

وفى ٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ أصدر فون مانشتاين تعليماته « لتنظيم وادارة القتال ضد الأنصار » وعينت هذه التعليمات الرائد ستيفانوس من الشعبة الثالثة (العمليات) فى الأركان العامة مكان ضابط الاستطلاع الذى كان مكلفا قبله بهذا العمل . وتمتع الرائد ستيفانوس كما سنرى بسلطات واسعة حقا سمحت له بأن يعمل على مسئوليته الخاصة . وكانت التعليمات الخاصة بهذا الموضوع كما يلى :

١ ــ **ان ابادة مجموعات الأنصار المتعددة التى يتم كشفها** ، ومنع تشكيل جماعات جديدة وتأمين حماية مؤخراتنا هى التدابير الهامة اللازمة لتطهير بلاد القرم واحتلالها احتلالا حقيقيا كاملا . وعلى جميع تشكيلات الجيش الحادى عشر ، وخاصة القطعات التابعة لمصلحة الامداد والتموين والمستودعات أن تشترك فى تنفيذ هذه المهمات .

٢ ــ تتم هذه **المهمة القتالية** فى القطاعات المحددة سابقا على مسؤولية قادة الفيالق ، ومسؤولية الجنرال المدير العام لمؤخرات الجيش .

٣ ــ ولقد شكلت القيادة العامة للجيش الحادى عشر أركانا مضادة للأنصار تسمح بتحقيق شكل **نمطى موحد** لأساليب البحث عن المعلومات الخاصة بنشاط الأنصار ، كما تؤمن تدخل القوات الضرورية لذلك . ووضعت على **رأس هذه الأركان الرائد** ستيفانوس من القيادة العليا ، على أن يكون مقر قيادته فى سيمفيروبول . ويرتبط هذا ارتباطا مباشرا مع قيادة الجيش العليا .

٤ ــ **المهمات :**

(أ) **البحث عن المعلومات** حول نشاط الأنصار فى منطقة عمل الجيش بالتعاون التام مع الضابط المكلف بالعمل ضد عمليات الاستطلاع المعادية (الرائد ريسين) ، وعلى مختلف القيادات فى الجيش أن ترسل الى هذه الأركان الجديدة مباشرة وبأسرع ما يمكن تقاريرها عن نشاط الأنصار فى قطاعاتها ، على أن تذكر هذه التقارير فى كل مرة : المكان ، والزمان ، والقوات المعادية المكتشفة ، والتدابير المتخذة ضدها ،

ونتائج هذه التدابير ، مع تحديد المصالح والادارات التى تم ابلاغها بذلك .

(ب) **البدء بالعمليات ضد الأنصار** فى مختلف قطاعات الجيش التى لم يتخذ الجيش أو الفيالق فيها حتى الآن تدابير أمن وحيطة عامة . لهذا يوضع تحت تصرفه مجموعة المقدم ايورت . ومن الضرورى الانتباه الى أن القتال ضد الأنصار مهمة من المهمات الأساسية لضباط شعبة العمليات فى كل هيئة أركان .

(جـ) انشاء تنظيم معاكس ملائم مؤلف من عملاء المخابرات والعناصر الموثوقة التى يتم اختيارها من الأهالى المدنيين .

(د) تنظيم شروط تنفيذ العمليات بالتعاون التام مع قيادات الفيالق وقيادات الفرق . اذا كانت العمليات متوقعة فى حدود مناطقها أو قرب مؤخراتها .

(هـ) تحضير وتنفيذ **دعاية** خاصة فى كل منطقة عمل الجيش .

٥ ـ الرائد ستيفانوس مكلف فى الحالات الخاصة العاجلة باصدار الأوامر نيابة عنى **وباسمى** بالنسبة لجميع الأمور المتعلقة بالقتال ضد الأنصار . الا اذا كانت العمليات واسعة النطاق . وعليه أن يكون على ارتباط دائم مع النسعب الثالثة (العمليات) فى قيادات الفيالق والفرق .

٦ ـ ستصدر أوامر لاحقة لجميع قيادات الفيالق والفرق بغية مساعدة الأركان المضادة للأنصار الى أبعد الحدود ، ومساندة فصائل الكوماندوس الخاصة وقطعات الجيش التى تستدعى للعمل معها . وذلك بتقديم الدعم والتموين اللازمين . ولقد تلقت ادارة الامداد والتموين أوامر خاصة بهذا الصدد .

٧ ـ على جميع قطعات الجيش اعتبار تأمين **الحيطة الذاتية** ضد الأنصار ، ومهاجمة جماعات الأنصار الصغيرة الموجودة قرب مراكز الاقامة **وتدميرها** ، مهمات دائمة فى كل الأوقات . ويمنع سير العربات منعزلة فى الجبال ، وتسير المفارز والارتال وهى جاهزة للاشتباك فى القتال فورا خلال المسير ، وتوضع على ظهر عربات النقل رشاشات مستعدة للرمى فورا ، ويمنع المرور على الطرقات الخطرة جدا ، أو يوقف سير العربات المنعزلة فى نقاط مراقبة مشكلة من مفارز حراسة آلية ، ثم يتم اجتياز مناطق الخطر بقافلة تحرسها هذه المفارز الآلية .

« لقد تعرضت بعض وحد تنا بعد تدمير وتطهير معسكرات ومستودعات العدو الى خسائر لا مبرر لها نظرا لسحب عناصر التغطية قبل الأوان ، أو لالغاء تدابير الرصد والانذار بعد ذهاب القطعات مباشرة .

« لوحظ أن الأنصار يرتدون أحيانا **الزى** العسكرى الألمانى ، أو ألبسة النســـاء .

« على الفيالق أن تعلم قيادة الجيش عن عدد الجنـــود المتحدثين باللغة الروسية ، والذين تستطيع الاستغناء عنهم لوضعهم تحت تصرف « الأركان المضادة للأنصار » . يجب استخدام المترجمين على أوسع نطاق ، وتشكيل فصائل الكوماندوس الخاصة فورا . أمر العمليات يتبع . على كل فرقة أن تقدم جنديين على الأقل لهذه المهمة . »

(التوقيع) فون مانشتاين

وهكذا كان الرائد ستيفانوس يتبع قائد الجيش الحادى عشر مباشرة عن طريق رئيس أركان الجيش الذى كان يراه كل يوم . وكانت ملاكات (كادرات) الأركان آنذاك ملاكات قتال . لذا كان عدد أفرادها قليلا . وكانت الأركان المضادة للأنصار مشكلة من الرائد ستيفانوس ، وملازم أول مساعد ، وضابط اشارة مسؤول عن الاتصالات السلكية واللاسلكية ، وكان مركز هذه الأركان كما نعرف فى سيمفيروبول . ومن غرائب الأمور ان كل اتصالاتها الهاتفية كانت تتم عن طريق مركز هاتف (سنترال) سيمفيروبول ، ولم يكن ذلك عملا يتلاءم مع أهمية اتصالات هذه الأركان وسريتها . ولقد استفاد الأنصار من هذه الخطيئة فوائد جمة .

وكانت المهمة الرئيسية لهذه الأركان العمل كمقر عمليات (تعبوى) للعمل ضد الأنصار ، مع القيام بتنظيم التعاون مع مختلف القيادات . وكان تنظيم التعاون يتطلب منها ما يلى :

١ ــ استلام ودراسة جميع المعلومات والتقارير حول نشاط الأنصـــار ووحدات الحماية والأمن .

٢ ــ نقل العمليات الهامة إلى الشـــعبة الثالثة (العمليات) فى أركان الجيش .

٣ ــ تقديم الاقتراحات حول العمليات التى يراها ضرورية ، والاجراءات التى على أركان الجيش القيام بها .

٤ ــ اعطاء المعلومات لكافة القيادات والقطعات الموجودة فى بلاد القرم

حول نشاط الأنصار ، وتقديم جميع المعلومات اللازمة عن الطرقات المخربة ، ومناطق تجمع الأنصار .. الخ .

٥ ـ الاتصال الدائب مع ادارة الامداد والتموين لتزويد القطعات المشتبكة بعمليات ضد الأنصار بالذخيرة والمحروقات اللازمة .

وكانت « الأركان المضادة للأنصار » تستلم التقارير من القطعات والعملاء المنتشرين فى بلاد القرم ، وتصنف المعلومات التى تحتويها الى معلومات هامة وأخرى بلا أهمية .

ولقد اشترك المراسل الحربى جيرهاردت شنيدر التابع لتنظيمات الـ (S.S.) فى بعض حملات مطاردة الأنصار ، وكتب عن مشاهداته خلال الأحداث دون تحليل وبأسلوب صحفى بحت فقال :

« كنا ننتظر فى مكان ما داخل مركز الشرطة ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) عندما أعلمنا قائد مجموعة القتال هاتفيا بأن العمدة (المختار) السوفييتى لقرية « ل » أخبره عن تسلل الأنصار المستمر الى القرية ، واستيلائهم على المواشى ، ومحاولاتهم ضم الشباب الى صفوف المقاومة السرية . كما أعلمه أن الأنصار يهددونه بالشنق ... وأن من الضرورى التدخل بسرعة . ووضع تحت تصرفنا خمسين رجلا من رجاله .

« وفى خلال العملية تم أسر اثنين من الأنصار ، وصرح الأسيران أن هناك مئات من الرجال المسلحين يعسكرون داخل الغابة ... » ويتابع المراسل الحربى كلامه :

« وكان مقر قيادة الأنصار فى بيت منعزل ريفى على بعد ٣ كيلومترات داخل الغابة . وكان فى البيت عدد من المتطوعين الجدد القادمين من القرى المجاورة . وعرفنا أن المكان محروس بشكل جيد وأن علينا أن لا نزج بأنفسنا بلا روية فى غابة عمقها عشرون كيلومترا . فقرر قائدنا البحث عن معلومات اضافية تفيد فى عملية مقبلة ...

« وتقدمنا داخل الغابة تغطبنا مقدمة صغيرة ، وسار كبد المفرزة خلفها على مسافة مناسبة آخذا على عاتقه مهمة تأمين المؤخرة حتى تخوم الغابة . وكان علينا أن نتحاشى التطويق ... وسرنها بهذه التشكيلة خلال نصف ساعة تقريبا ، ونحن نراقب ما حولنا بحذر نظرا لكثافة الغابة وتشابك أشجارها ، ولم نكن نرى الا الى مسافة عدة خطوات أمامنا . ووصلنا خلال مسيرنا الى بقعة صغيرة جرداء ، وفيها عش مقاومة

(بلوكوس) لا يكاد يبعد عنا أكثر من عشرين مترا . وفجأة انصب على رتلنا الصغير سيل نارى حقيقى أجبر رجالنا على الاختفاء خلف الأشجار . ثم ظهر أمامنا عش رشاش وأسلحة آلية أخــرى ، ويبدو أن الحراس السوفييت رأونا مسبقا وانسحبوا لينذروا رفاقهم . ورددنا على الرمايات بمثلها مستخدمين مسدساتنا الرشاشة وبنادقنا . وهنا لاحظنا أن فى نوافذ البيت الريفى المنعزل ٣ رشاشات موجهة الينا ، بالاضافة الى رماة آخرين يقبعون خلف البيت أو على التخم المقابل للأرض الجرداء . وبدا تفوق العدو العددى علينا واضحا . ومع هذا أعطى قائدنا أوامره بتطويق المنزل من جانبيه ، واستطعنا اسكات الرشـــاشات بالقنـابل اليدوية . وعندما لاحظ الأنصار اننا نقوم بحركة التفاف بدأوا انسحابهم ، وغـــادر البيت من بابه الخلفى عشرون شخصــا تحميهم نيران الرماة المتمركزين على التخم المقابل . واختفى الجميع وسط الغابة الكثيفـة قبل أن نستطيع اصابتهم ...

« ثم دخلنا المنزل ، فوجدنا فيه قتيلا وعدة أسلحة رشاشة ، وجبال من الرمانات ، والذخيرة والمحروقات .. الخ ، وتم تنفيذ المهمة بنجاح . وقررت قيادة القطاع القيام بعملية أوسع نطاقا ، مبنية على استطلاعات دقيقة ومعلومات تفصيلية . وطوقت الغابة من جميع الجهات ، وجرى تفتيشها بدقة متناهية بالتعاون مع وحدات من الجيش . ووقعت خلال العملية عدة اشتباكات استطعنا بعدها اخراج ١٥٠ رجلا مسلحا من أوكارهم وأسر معظمهم بعد مقاومة عنيدة جدا (١) » .

وبينما كان الرجال المشتبكون مع الأنصار يتحدثون عن أعمالهم ، كانت التقارير تذكر الأحداث بلهجة رسمية لا تخلو من بعض الزخرف . وها هو تقرير كتبه ملازم تابع لسرية من سرايا راكبى الدراجات :

« عندما اجتاحت القوات الروسية مقدمتنا لذت مع ضابط آخر وبعض الرجال بالجبل ، واندفعنا فى شعابه بغية الالتحاق بقرية شورى . وقابلنا فى الطريق جماعة مؤلفة من ١٤ رجلا من الأنصار يرتدون الألبسة المدنية ويحملون البنادق الآلية . ولاحقنا هؤلاء الأنصار عدة كيلومترات بمساعدة كلب بوليسى . ولكننا أستطعنا تضليلهم والفرار منهم . وما أن سرنا فترة من الزمن حتى قابلنا مفرزة أخرى مسلحة بالرشاشات ومدافع

---

(١) المراسل الحربى من الـ (.S S) جيرهاردت شنيدر فى هامبورجر فريمدنبلات ١٩٤٢ رقم ١٤٥أ ـ ١٤ فبراير (شباط) ١٩٤٢ .

(المؤلفان)

الهاون ، وخسرنا فى المعارك التى تلت رجلين ، ولكننا استطعنا مع ذلك أن نتخلص . وفى وادى لامارتا ... شاهدنا عدة عربات تسير على طريق يبدو فى حالة حسنة ، وتحرسه جماعات الأنصار بخفراء مزدوجين ، كما سمعنا مدفعا يرمى باتجاه بيجا ـ سالا » .

وكانت هذه التقارير تمر على قيادة الفوج فاللواء فالفرقة لتصل الى « الأركان المضادة للأنصار » وقد خلت من معظم مبالغاتها . وها هى بعض الأمثلة :

« تقرير فرقة المشاة ٥٠ ليوم ٢١ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ .

(أ) فى ١٨ نوفمبر تعرضت عربة نقل تابعة للمفرزة المضادة للدبابات رقم ١٥٠ الى هجوم بالقنابل اليدوية ، فقتل جندى وجرح جنديان آخران ، ونجا جنديان تمكنا من حماية الجريحين وأسر اثنين من الأنصار ، تم تسليمهما الى مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) .

(ب) فى ١٧ و ١٨ نوفمبر (تشرين ثانى) اشتبكت المفـــرزة رقم ١٥٠ المضادة للطائرات مع جماعة من الأنصار تعمل قرب مزرعة ... وأجبرتها على الفرار وتم اعدام رجل وامرأة .

(جـ) فى ١٩ نوفمبر (تشرين ثانى) أعلم سكان ايوى ـ سالا العريف بارمان المتمركز مع جماعته فى القرية عن وجود أنصـــار داخـــل القرية ... فقام هذا العريف النشيط بعمليـــات تفتيش سريعة قتل خلالها روسيان أظهرا بعض المقاومة . وكان أحدهما يرتدى اللباس العســـكرى الألمانى ويخفى تحت ســـترته بنطال جندى روسى .. »

ويستمر التقرير هكذا خلال صفحات وصفحات . وكانت التقارير الموجزة ترسل كل أسبوع الى مكتب العمليات . فيصدر الرائد ستيفانوس ما بين آونة وأخرى معلومات عن نتائج العمليات ضد الأنصار ، مع ذكر الأماكن التى وقعت فيها الاشتباكات وخسائر الطرفين فيها .

وفى يوم ٥ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ أعلم الجنرال فون مانشتاين رئيسه المباشر قائد مجموعة جيوش الجنوب عن التدابير المتخذة ضد الأنصار والنتائج التى تم الوصول اليها فى هذا المضمار قائلا :

« وازاء هذا الخطر (يقدر عدد الأنصار فى بلاد القرم بحوالى ٨٠٠٠ مقاتل) تم اتخاذ تدابير عاجلة ، الأمر الذى أجبرنا فى بعض الأحيان الى

اشغال بعض القطعات عن مهماتها الأصلية لاستخدامها فى القتال ضد الأنصار وهذه الوحدات هى :

(ا) الأركان المضادة للأنصار (الرائد ستيفانوس من الأركان العامة) مهمته جمع المعلومات وتقديم كافة المقترحات المفيدة .

(ب) الفيلق الجبلى الرومانى مع لواء الخيالة الثامن واللواء الجبلى الرابع .

(جـ) الكتائب المضادة للدبابات ٢٤ و ٥٢ و ٢٤٠ ...

(د) فى قطاع الفيلق ٣٠ : فوج الخيالة الرومانية الآلية وبعض وحدات اللواء الجبلى الأول .

(هـ) فى مناجم كيرش : كتيبة مهندسين ، وبعض وحدات الاستطلاع من أفواج المشاة فى فرقة المشاة ٤٦ .

(و) مجموعات من الحرس ودوريات صاعقة على عدة طرق جبلية .

« النتيجة التى تم الوصول اليها حتى الآن : تطهير ١٩ معسكرا من معسكرات الأنصار . وتكبيد العدو ٦٤٠ قتيلا و ٥٢٢ أسيرا مع تدمير عدد كبير من الأسلحة والذخائر والمعدات المختلفة والاستيلاء على أعداد وفيرة منها . ومنها ٧٥ هاونا ، و ٢٢ رشاشا ، و ٢٠ دراجة نارية ، وعدة عربات نقل ، و ١٢ مستودع اعاشة ، بالأضافة الى كمية من الذخيرة والمواشى والزيوت والمحروقات ومحطتين لاسلكيتين » .

ولهذا التقرير أهمية بالغة لأنه يكشف أن القوات المخصصة لمجابهة الأنصار فى منطقة عمل جيش واحد تعادل فيلقا تقريبا ، وذلك فى وقت كانت حركة الأنصار فيه بعيدة كل البعد عن الشكل الواسع الذى أخذته فيما بعد . وهذا « ما أجبر القيادة فى بعض الأحيان على اشغال بعض القطعات عن مهماتها الأصلية » .

وفى حوالى منتصف ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ كان الرائد ستيفانوس قد جمع ودرس كل المعلومات المفيدة المتعلقة بالمعارك ضد الأنصار ، فبدأ يصيغ مذكرة تبحث أسس وقواعد السلوك الواجب اتباعه ازاء الأهالى المدنيين والأنصار الأسرى . ويمكن مقارنة هذه المذكرة مع تعليمات قيادة الجيش الألمانى العليا التى ظهرت بعد خبرة ٣ سنوات فى هذا الصدد .

« I / ١ — . . . . :

« ٢ – ... يجب أن يخاف الأهالى من تدابير القمع التى نقوم بها أكثر من أن يرهبوا تدابير الأنصار .

« تم تشكيل مفارز مليشيا فى بعض القرى ، فقدمت هذه المفارز لنا فوائد جمة . ولقد أعدم الأنصار بعض أفرادها ، الأمر الذى يثبت كرههم لها ويدفعنا الى **زيادة عددها وتوسيع نطاق عملها** .

« علينا تقديم **مكافأة** مالية ومعنوية مجزية لأفراد الميليشيا ، والأدلاء المتطوعين ، وجميع المدنيين الذين يقدمون معلومات هامة عن الأنصار .

« يجب افهام الأهالى أن ما يأخذه الأنصـــار منهم ضائع لا يمكن استرداده . وأن للقطعات الألمانية هدفا واحدا هو : تأمين سلامة المواطنين (كذا) .

« II ١ – . . . .

« ٢ – قدمت لنا **عملياتنا ضد الأنصار فى بلاد القرم** خبرة واسعة حول هذا الموضوع ، ولقد جمعت هذه الخبرة وركزت فى مذكرة كتبها أحـــد الضباط ثم استخدمت أهم فقرات هذه المذكرات ومختصرات التقـــارير الهامة الأخرى لوضع « مبادىء الحرب ضد الأنصار » المتعلقة بالشروط الخاصة التى يعيش فيها الجيش . وسنرى هذه المبادىء فيما يلى :

« III ١ – تتضمن **العمليات ضد الأنصار** عادة ثلاث مراحل :

(أ) الاســتطلاع .

(ب) الهجوم وتدمير نقاط مقاومة الأنصار .

(ج) الحمـــاية .

« **وتختلف** هذه المراحل الثلاث حسب عدد الأنصار ، وحالة البـــلاد **الداخليـــة** ، وأحوال منطقـــة العمليات فى وقت ما ، وطبيعة القـــوات المتوفرة لدينا .

« يلعب الطقس دورا هاما فى هذه العمليات .

« عندما تجرى المعركة ضد الأنصار فى منطقة جبلية ، يتم تدمير نقطة المقاومة التى تحددها مصلحة المخابرات العسكرية بهجمات تنطلق من عدة جهات متجهة نحو المركز .

« أما فى الأراضى المفتوحة (أراضى مزروعة وغابات) فمن الأفضل نطهير مناطق واسعة وذلك بعمل جيوب حصينة تنطلق منها قوات استطلاع قوية .

٢ ـ **الوسائل المستخدمة للبحث عن المعلومات :**

« ـ أحاديث المدنيين مع العملاء أو مع الجنود الذين يرتدون الزى المدنى (معرفة اللغة الروسية ضرورية فى هذا المضمار) .

« ـ اعترافات الأهالى . .

« ـ اعترافات الأنصار الهاربين من صفوف رفاقهم .

« ـ اعترافات أهل الأنصار وذويهم .

« ـ دراسة الوثائق والخرائط .. الخ التى يتم العثور عليها خلال العمليات ضد الأنصار .

« ـ التقارير حول هجمات الأنصار .

« ان اعترافات الأشخاص الذين اشتركوا فى انشـــاء مستودعات الاعاشة والذخيرة اعترافات هامة . ويمكن استخدام هؤلاء الأشخاص كأدلاء بعد اتخاذ احتياطات الأمن اللازمة .

« يمكن أن تقدم دراسة الأرض أو الخرائط معلومات اضافية قيمة ، على أن يتم العمل دائما تحت ستار كثيف من السرية ، والا أخذ الأنصار حذرهم وبدلوا مواضعهم .

« يجب أن تكون وحدات الاستطلاع المسلح قوية وقادرة على الانتقال من الاستطلاع الى الهجوم فى كل لحظة .

« يجب أن لا نترك للأنصار أية فرصة للشعور بالنصر .

« يتم اختيار الجنود المشتركين فى الاستطلاعات بكل عناية حسب وظائفهم فى الحياة المدنية (حراس مزارع ، موظفو أمن ، رعاة ... الخ) حتى يتمكنوا من دراسة كل آثار العدو على الأرض ، ويستطيعوا معرفة الطرقات وخصائص الأرض ، ويخرجوا منها باستنتاجات عملية . ويجب أن تكون عملية الاستطلاع مشابهة لعمل الهنود الحمر الســـائرين الى ساحات القتال أو « لعبة عساكر وحرامية » . وأصلح العسكريين لهذه العمليات أولئك الذين يحبون الصـــيد والقنص ... ثم تقدم نتيجة الاستطلاع الى الضابط المكلف بقيادة العملية المتوقعة فى المستقبل حتى يكون عنده فكرة واضحة عن الأرض وقوة العـــدو وامكانيات الدفاع أو الانسحاب .. الخ .

٣ ـ **مهاجمة وتدمير نقاط مقاومة الأنصـــار** : يجب أن يكون هذا الهجوم محضرا بكل اعتناء . ويحمـــل الرجال معهم تجهيزات جبلية (حقائب ظهر ، تجهيزات انقضاض ، بوصلات ، مناظير .... الخ) ومواد غذائية قابلة للحفظ (شكولاتة ، خبز ميدان ... الخ) ويمكن تعيين بعض الرجال لحمل الاعاشة والذخائر . ويزود كل رجل بسلاح فردى خفيف وقنابل يدوية ، ويرافق المفارز عدد من الممرضين .

تؤسس على مقربة من أرض العمل **قاعدة عمليات** يعرف مكانها جميع الرجال . وتفيد هذه القاعدة باستخدامها كمركز قيادة وتموين خلال العملية ، مع اتخاذ كافة التدابير للقيام بالاسعافات الأولية .

« تزداد امكانيات وفرص النجاح بتزايد دراسة الاســتعدادات واتقانها .

« هنالك نوعان من الهجوم :

(ا) عندما يكون الاستطلاع الدقيق المسبق ممكنا : فى هـــذه الحالة يتم الهجوم بعد التطويق ، ويمكن مهاجمة نقطة المقاومة من كل الجهات بآن واحد (مع تجنب السير على الممرات القريبة من العدو ، والانتقال بصورة مخفية ... الخ) أو باغـــلاق جميع المداخل ، ودفع مفرزة قوية نحو نقطة المقاومة ، تحت حماية نيران الأسلحة الخفيفة أو المدفعية . وتنظم نقط مقاومة الأنصار عادة مع ترك سبيل واحد يستخدمونه ويدافعون عنه جيـــدا . وقد أثبت استخدام الهاون ، ومدفعية المشاة ، والمدافع المضـــادة للمدرعات ، والمدافع الجبلية ، فائدة هذه الأسلحة فى قطع هـــذا السبيل ، وتدمير نقاط المقاومة .

(ب) اذا لم يسبق الهجوم استطلاع واسع (نظرا لانعـــدام الوقت أو لوعورة الأرض .. الخ) فان **الهجوم** الجبهى هو الحل الوحيد الذى يمكن استخدامه بنجاح . ويمكن استخدام هذا الأسلوب عندما تقدم وحدة من الوحدات تقريرا عن قيام الأنصار بهجمات فى قطاعها ، وعن امكانية القيام بمهاجمتهم ومطاردتهم بقوات كافية متوفرة لديها .

(ج) على القوات فى كلتى الحالتين أن تتقدم مستخدمة الأرض أفضل استخدام ، وتفضل الحركة ليلا أو مع الفجر بدلا من السير خلال النهار الذى يسبق العملية وقضاء الليل فى مواضع مجهزة أمينة

بغية بدء الهجوم فى صبيحة اليوم التالى . وعلينا أن نلاحظ هنا أن الأنصار قادرون على التسلل من بين صفوفنا فى الأراضى الجبلية والغابات ، والتملص من هجومنا اذا علموا به مسبقا .

٤ ــ **الهدف** : تهدف كل عملية الى ابادة الأنصار وتدمير أسلحتهم ومعسكراتهم ومستودعات اعاشتهم وذخيرتهم . ويستحسن بعد انتهاء عملية ما العودة الى أرض الاشتباك خلال عدة أيام . اذ يقدم لنا هذا العمل رصيدا كبيرا من المعلومات ، كما أن الأنصار يعودون غالبا الى معسكراتهم المدمرة ليروا فيما اذا كانت مخابئهم الفردية سليمة أم لا . وهم يعتقدون أن عدوهم لن يرجع الى الهدف ثانية بعد تدميره ، ويعتبرونه مكانا أمينا يمكن التمركز فيه من جديد .

٥ ــ **الحماية** : يجب تامين حماية العمليات منذ الانطلاق بالمهمة حتى العودة الى المعسكرات . وتحمل جميع الأسلحة دائما جاهزة للرمى ، ويمكن استخدام تشكيلة القنفذ قرب نقاط المقاومة المعادية وعند الانسحاب . وقد يترك الأنصار العدو يدمر معسكرهم ونقاط مقاومتهم بدون دفاع جدى ، ليقوموا بتدميره عند الانسحاب بفضل عدد من الكمائن . وعلى كل فرد من المشتركين فى العمليات ضد الأنصار أن يعرف :

« ــ الهدف .

« ــ المهمة الفردية .

« ــ السلوك الواجب اتباعه عند المفاجأة .

« ــ السلوك الواجب اتباعه عند الانفصال عن وحدته أو الوقوع فى الأسر .

« تنعدم الجبهة فى هذا النوع من القتال . وليس هنالك جبهة ومؤخرات ، وعلى الجميع أن يستعدوا للاشتباك بالسلاح الأبيض فى كل لحظة .

« تحمى عربات القيادة من كل الجهات بواسطة شاغليها ، وتوضع عادة فى أمكنة تؤمن لها الحماية من نيران الأسلحة الفردية . ويتم اختيار مكان تجمع عربات النقل والعربات الأخرى بكل اعتناء .

« على جميع الرجال أن ينتظروا **المفاجأة** على مختلف أنواعها ، ويتوقعوا وجود الأفخاخ فى كل مكان ، وأن يبحثوا عن مستودعات العدو ومعسكراته

فى كل بيت اذ ليس لهذه المستودعات ما يميزها عما يحيط بها ، ولا تحمل أبوابها ونوافذها أية شبكات معدنية للحماية من السرقة .

« يجب تدمير مستودعات الأنصار ومخابئهم وأماكن اقامتهم بكل اعتناء ، حتى ولو وقعت الحملة عليها ووجدتها خالية خاوية .

« على القوات عندما تتقدم أو تنسحب أن تعتبر كل **مدنى** يوجد قرب الهدف مشبوها ، وأن تعمل على ايقافه وتفتيشه ، ولا تطلق سراحه حتى ولو أثبت براءته الا بعد انتهاء العملية . فاذا ما حامت حوله أصغر الشبهات وجب تسليمه الى أقرب مركز شرطة ، واعطاء هذا المركز معلومات دقيقة عن مكان وزمان توقيفه ، والظروف الخاصة المحيطة بذلك .

« على كل جندى أن يعرف أنه يقاتل ضد عدو مدرب وخطير . ومن الضرورى استخدام كافة الأسلحة المتوفرة بلا استثناء . والعنف والشدة أمران ضروريان ، لأن الشفقة فى غير محلها تعرض رجالنا للخطر .

« من الخطأ استخدام طريقة واحدة تقليدية فى العمليات ضد الأنصار ، والخبرة المستقاة من القتال خبرة عامة ، فالعمليات مختلفة عن بعضها اختلافا بينا ولكل حالة لبوسها .

« يجب أن نفهم أن (الهجوم) هو عبارة عن لعب جميع الأوراق الرابحة .

« ٦ ــ **الاتصالات** : يؤدى استخدام جميع وسائل الاشارة الى تسهيل العملية ، ويشارك فى تحقيق النصر . وفى الهجوم على نقطة مقاومة من عدة اتجاهات تكون أجهزة اللاسلكى الخفيفة وسيلة الاشارة الرئيسية ويمكن استخدام شهب الاشارة ، والشهب المضيئة للاعلام عن الوصول الى نقطة معينة متفق عليها . ولكن لهذه الشهب مساوئها لأنها تنذر العدو وتدله على مكان قواتنا . ويستحسن عدم استخدامها قبل تطويق نقطة المقاومة تطويقا كاملا .

« يمكن استخدام الطائرات فى العمليات الهامة لاعلام القائد عن الأمكنة التى وصلت اليها وحداته المتعددة ، وذلك بواسطة اللاسلكى أو الرسائل المثقلة الملقاة من الجو . ولايفيد الاستطلاع الجوى فى الجبال والمناطق المشجرة الا اذا كان الجو صحوا (الطيران على ارتفاعات منخفضة) . ويقدم هذا الاستطلاع خلال العمليات العادية معلومات حتمية وسريعة لكشف نقطة المقاومة المعادية ، فهو يحدد وجودها بمجرد

اكتشاف ممرات ومسالك وآثار مختلفة ودخان فى مناطق غير آهلة بالسكان .

« ٧ ــ معاملة الأسرى :

(ا) يتم استجواب الأنصار الذين يقعون فى الأسر خلال العمليات ، ثم يعدموا رميا بالرصاص (اذا كانوا من جنود الجيش الأحمر السابقين) أو شنقا (اذا كانوا من المدنيين) .

(ب) أما الأنصار الذين يقعون فى الأسر خارج العمليات فيتم شنقهم بلا استثناء ، ويعلق على صدروهم لائحة كتب عليها : أحد الأنصار الذين لم يسلموا أنفسهم ... » .

وهكذا نصل الى نهاية تقرير ستيفانوس ، وكان التنظيم الذى وضعه الجيش الحادى عشر آنذاك نموذجا يحتذى . وأثبت هذا التنظيم فاعليته ، ولا أدل على ذلك من تنويه قائد الشرطة العسكرية بهذا التنظيم فى تقريره الذى رفعه الى القيادة العامة للقوات المسلحة فى ٣١ يوليه (تموز) ١٩٤٢ . ويقول التقرير :

« تم الهجوم بنجاح على جماعات كبيرة من الأنصار بفضل وحدات الشرطة الميدانية وبالتعاون مع وحدات الجيش ولقد كان التعاون فعالا فى بلاد القرم بصورة خاصة . اذ شكل الجيش الحادى عشر فى هذه المنطقة « أركانا مضادة للأنصار » ... واستطاعت هذه الأركان ابادة آلاف الأنصار المتمركزين فى مواقع دفاعية قوية ... » ويلى ذلك لأئحة طويلة من العتاد الذى تم الاستيلاء عليه من الأنصار بدء من المدافع ١٠٥ مم حتى الخيول والأبقار والأغنام .

وينتهى التقرير قائلا : « والاستنتاج الرئيسى الذى نخرج به من خبرة عمليات عديدة هامة هو ضرورة استخدام وحدات **آلية** ، وخلق مصلحة خاصة للاستعلام » .

وبهذا تعلم الألمان خلال احتكاكهم مع الأنصار أشياء جديدة هامة .

ولم يكن التنظيم ضد الأنصار مقصورا على الجيش الحادى عشر ، بل قامت جميع الجيوش بتنفيذ تعليمات القيادة العليا ، وشكلت وحدات خاصة مضادة للأنصار ، تنسجم مع أفكار قادة الجيوش وضرورات الموقف .

فنظم الجيش السابع عشر العائد الى مجموعة الجيوش الجنوبية « تنظيما خاصا للاستطلاع والقتال ضد الأنصار » وشمل هذا التنظيم ما يلى :

ــ ضابط استطلاع من الجيش .

ــ ضابط أركان من الفوج .

ــ ضابط ملحق من مكتب الموقع .

ــ وحدات مطاردة على مستوى الفيلق والفرقة والفوج .

وقامت مجموعة الجيوش الوسطى بتشكيل « القرى المسلحة » فأنشأت ٦٠ نقطة محصنة تستطيع الواحدة منها دعم الأخرى ، والعمل بالتعاون الوثيق مع وحدات الامداد والتموين وقطعات الأمن المتمركزة فى مختلف المناطق .

وشكلت مجموعة الجيوش الشمالية وحدات خاصة لمطاردة الأنصار ، يبلغ تعداد كل واحدة منها مائة رجل تقريبا .

وهكذا ظهرت الى الوجود الوحدات الآلية الصغيرة الفعالة كوماندوس المطاردة Jagdkommandos وسنعود الى ذكرها عند دراسة التعليمات والأوامر النهائية التى أصدرتها القيادة العليا للقوات المسلحة عام ١٩٤٤ . ولكننا سنرى هنا الأوامر الصادرة لتشكيلها من قبل مجموعة الجيوش الشمالية فى نهاية شهر أغسطس (آب) ١٩٤٢ .

تعليمات خاصة بوحدات كوماندوس المطاردة Jagdkommandos

« يمكن مقاتلة عصابات الأنصار بوحدات كبيرة نظامية ، ولكن هنالك مهمات صغيرة تتصف بأهمية خاصة يتم تنفيذها بكل نجاح بواسطة وحدات كوماندوس المطاردة القليلة العدد المزودة بأحسن الأسلحة وأفضل القيادات .

١ ــ على قادة المناطق الواقعة على مؤخرة مجموعة الجيوش ، وقادة قوى الأمن ، وقادة جميع القوات العاملة فى مناطق نشاط الأنصار ، وتنظيم وحدات كوماندوس المطاردة فورا .

« ــ التشكيل .

« ــ ضابط .

« ٤ ــ زمر تقريبا . وتتألف كل زمرة من عدد من العسكريين بالاضافة الى دليلين من الأهالى المدنيين الذين أثبتوا ولاءهم فى الصراع ضد الأنصار ويوضع تحت تصرف كل زمرة حصان أو حصانان لجر العربات ونقل الاعاشة والتموين .

٢ ـ تزود هذه المفارز بأسلحة جديدة مختارة بكل اعتناء . على أن يكون فى كل واحدة منها مثلا رشاش خفيف ، و ١ ـ ٢ بندقية روسية نصف آلية ذات منظار ، ومسدسان رشاشان ومسدسا اشارة . ويحمل كل رجل أربع قنابل يدوية وكمية من المتفجرات .

٣ ـ يجرى تدريب رجال كوماندوس المطاردة على مسؤولية قادتها المباشرين ، وتعفى المفارز ان أمكن من خدمات الحرس وجميع الأعمال الأخرى ، كى تلتفت الى مهمتها فى العمل ضد الأنصار واكتساب الخبرة فى هذا المضمار .

٤ ـ يتم العمل بناء على التعليمات المرفقة المبنية على الخبرة فى هذا الصدد ، وعلى نوعية أعتدة العدو التى تم الاستيلاء عليها .

٥ ـ تكون وحدات كوماندوس المطاردة بشكل تكون معه آلية الى أبعد الحدود حتى فى فصل الشتاء . ولهذا تزود بزحافات فردية ، وعربات زحافة ، وأعتدة تمويه شتوية ، وألبسة شتوية خاصة . ويتم اختيار قادتها وأفرادها بكل اعتناء مع الانتباه الى الملاحظات المذكورة أعلاه .

«ان التعليمات المشار اليها فى الفقرة الرابعة هى :

١ ـ تتحرك وحدات كوماندوس المطاردة الى مناطق القتال ليلا وعلى الأقدام حتى تقلل احتمالات الخيانة ، أو التعرض لأنظار العدو . على أن تختبىء خلال النهار فى الغابات بعيدا عن القرى بشكل يمنع الأهالى من ملاحظة وجودها أو رؤية الحراس الذين تضعهم حولها عند التوقف لحمايتها .

٢ ـ ما أن تصل وحدات كوماندوس المطاردة الى منطقة القتال حتى تعمل كعصابات الأنصار نفسها وذلك بأن :

(أ) تستطلع الأرض استطلاعا دقيقا ، ثم تبث الأفخاخ فى جميع الأماكن التى يحتمل قدوم العدو اليها . أى على المسالك التى تزرع عصابات الأنصار عليها عادة ألغامها ، وعلى الجسور الخشبية التى تحاول هذه العصابات احراقها وتدميرها ، وعلى تخوم الغابات أو القرى التى تقول المعلومات أن العدو يستخدمها فى عمليات التموين .

(ب) تدمر وحدات كوماندوس المطاردة كل خصم يقع فى هذه الأفخاخ ، على أن تتجنب الاحتكاك مع العدو ان تأكدت من تفوقه عليها ، وعليها فى هذه الحالة اعلام قيادتها فورا

وتقوم القيادة عندئذ بالاعداد لعملية أوسع . وتبقى وحدات كوماندوس المطاردة متمركزة فى مكانها حتى قدوم القطعات المعينة للعملية الجديدة وتعمل عندئذ معها كمفرزة استطلاع.

(جـ) لا يمكن أن يكون الفخ فعالا ومفيدا الا اذا تحلت وحدات كوماندوس المطاردة بالصبر . وقد تضطر للاختباء فى منطقة ما عدة أيام وليال متعاقبة وهى تنتظر قدوم العدو .

(د) اذا لم تكن الظروف صالحة لتحقيق المفاجأة ، لأن الأهالى مثلا كشفوا مكان المفرزة عن طريق الصدفة ، تقوم هذه المفرزة باخلاء المكان فورا ، الا اذا تم ايقاف أو ابادة هؤلاء الشهود المزعجين بدون ضوضاء .

(هـ) على وحدات كوماندوس المطاردة أن لا تبقى فى منطقة العمل بعد اغارة ناجحة . وأن تتحرك فورا للقيام بمهمات جديدة.

٣ ـ تزود كل وحدة من وحدات كوماندوس المطاردة بجهاز لاسلكى مرسل (اذاعة متنقلة) ان أمكن ذلك . وتوضع مراكز تقوية اذا كانت منطقة العمل واسعة .

٤ ـ لا يجب أن تكون العمليات فى هذا النوع من القتال سريعة أو عاجلة، فهى تتطلب على العكس كثيرا من الاناة والوقت .

٥ ـ يجب أن تتمتع وحدات كوماندوس المطاردة خلال العمل باستقلال ادارى كامل . فلا تضطر الى مصادرة المواد الغذائية أو استخدام مطبخ الميدان المتنقل . لذا تزود هذه الوحدات باعاشة احتياطية تكفيها ١٤ يوما ، مؤلفة من اللحم المحفوظ والشكولاتة والدخان والخبز المجفف والقهوة أو الشاى .

٦ ـ بعد الانتهاء من عملية ناجحة تذهب وحدات كوماندوس المطاردة الى معسكر الراحة حيث يستريح رجالها ويستعيدون نشاطهم ويتغذون بشكل جيد ، ويكون لهم أفضلية فى استلام المواد التموينية من النوادى .

٧ ـ ثم تعود هذه الوحدات الى التدريب قبل البدء باشتباك جديد . وتهتم بتمارين الرمى وقذف القنابل اليدوية ، حتى يستطيع الرجال استخدام البندقية والبندقية الآلية بكل مهارة واصابة الأهداف أثناء المسير والعدو .

٨ ـ يبدأ التدريب الشتوى مع ابتداء سقوط الثلج .

٩ ـ تزود وحدات كوماندوس المطاردة بالمعلومات الصحيحة ، وتقدم لها القيادة باستمرار أحدث المعلومات ونتائج الاستطلاعات التى تتم فى منطقة عملها .

١٠ـ العمل فى وحدات كوماندوس المطاردة يعتبر مكافأة .

***

وبعد أن رأينا تشكيل ومهمات التنظيمات الألمانية المضادة للأنصار لابد لنا من القاء الضوء على الدور الذى لعبه بعض الروس المتعاونين مع الألمان فى هذا النوع من العمليات .

فى يوم ٧ أكتوبر (تشرين أول) ١٩٤١ أصدرت فرقة المشاة الألمانية ٢٢ أمرا بتشكيل مليشيا مزودة بالبنادق بدون ذخيرة ، تكون مهمتها القيام بأعمال الشرطة المحلية ، ثم بدأ بعض التتار المناوئين للنظام البلشفى يتطوعون لمساعدة الألمان فى محاربة الأنصار .فشكلت وحدات من التتار قدمت للألمان خدمات كبيرة .

ويقول الجنرال فون مانشتاين فى اعترافاته التى أدلى بها أمام المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبورغ ما يلى :

« لقد ساعدنا فى صراعنا ضد الأنصار عدد كبير من الأهالى ، ففى جبال ييلا ـ داغ فى بلاد القرم كانت مناطق عمل الأنصار وعرة يصعب الوصول اليها ، ولم يكن قتال الأنصار ممكنا فلجأنا الى تجويعهم بقطع المؤونة عنهم ، ومنعهم عن النزول من الجبال الى قرى التتار بغية القيام بالتموين . لذا سلحنا بعض التتار ودربناهم . ثم قامت مصلحة الأمن العسكرية للرايخ (S.D.) بعد ذلك بالباقى . وساعدنا هؤلاء التتار على اكتشاف مراكز ومستودعات الأنصار .. ولم يدفعنا الى هذا العمل سوى نقص القطعات الألمانية الموجودة تحت تصرفنا (١) » .

وفى يناير (كانون ثانى) ١٩٤٢ أصدر الجيش الحادى عشر أمرا يتعلق بالشؤون الادارية تحت عنوان : « التدابير المؤقتة لتموين التتار الملتحقين بالقطعات الألمانية » وفى هذا الأمر ما يلى :

« ... تشكل مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) سرية حماية من التتار قوامها حوالى ١٠٠ رجل للاشتراك فى الصراع ضد الأنصار

(١) من محاكمات مجرمى الحرب فى نورمبورغ ـ الجزء ٢٠ صفحة ـ ٦٦٦ .
(المؤلف)

فى المدن والقرى التالية : كاراسوباسار ، باخسشيساراج ، سييمفيروبول، يالتا ، الوسشتا ، سوداك ، سانت كريم ، جوباتوريا .

ولقد قامت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) فعلا بانشاء ١٦ سرية من التتار بناء على هذا الأمر .

كما شكلت وحدات محلية من القوزاق وجمعت فى خمس كتائب . ويقول الجنرال رينهاردت أنه لم يكن من الممكن الاعتماد على هذه الكتائب ، وأن كتيبة منها قامت بعصيان مسلح وقتلت رقباءها الألمان فى عام ١٩٤٣ الأمر الذى دعا الى حلها بسرعة .

وأسس الجنرال فرانزفون روكيس نفسه شرطة محلية مسلحة لحماية الأهالى المدنيين أسماها(E.K.A.) مفرزة القتال الأهلية . كما تم تأسيس وحدة أخرى أطلق عليها اسم « وحدة حماية المزارع » . ويقال ان هذه التشكيلات قتلت ١٣٧ من الأنصار ولم تفقد سوى خمسة من رجالها .

واستخدمت الشرطة والأمن العام ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)رجالا يتمتعون بثقة الألمان ، أو عملاء خصوصيين . وكانت تقارير الشرطة تشير غالبا الى خدمات هؤلاء العملاء . ومنها مثلا التقرير التالى:

« لقد عاد النشاط الشيوعى فى أوكرانيا الى الظهور ، ولكن مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) تراقب نشوء وتطور الخلايا الشيوعية بكل دقة بفضل **استخدام** الأهالى الموثوقين . الذين يقدمون للشرطة معلومات دقيقة وافية عن وضع هذه التنظيمات » .

وكان استخدام الرجال الموثوقين واسعا فى عمليات البحث عن المعلومات الخاصة بالأنصار . وكانت هذه المعلومات تستخدم لاعداد الاغارات على مواضع الأنصار فيما بعد .

وبالاختصار : أعطت القيادة الألمانية العليا بعد بدء الحملة العدوانية على روسيا بأربعة أشهر توجيهاتها الخاصة بالصراع ضد الأنصار ، وتلى ذلك سيل من الأوامر المختلفة الصادرة عن الجيش وعن مختلف تشكيلات القتال . وفى أغسطس (آب) ١٩٤٢ جرت أول محاولة لاعاده بناء جميع الوحدات المضادة للأنصار بصورة نموذجية ، وذلك عندما تلقت جميع الفرق أمرا بانشاء وحدات كوماندوس المطاردة .

وفى ١١ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٢ أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية أولى تعليماتها . ولقد لاحظ القارىء بلا شك ضرورة توحيد الأساليب بناء على التجربة التى مرت بها القوات الألمانية خلال ١٧ شهرا من القتال ضد الأنصار .

ويقول الجنرال البارون فون بوتلار برادنفلس رئيس قسم النشر فى القيادة العامة للقــوات المسلحة أن التعليمات المعطــاة فى نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٢ حول القتال ضد الأنصــار فى الشرق بقيت بلا جدوى . ويبنى البارون هذه الأقوال على الاحساس الذى تشكل عنده بعد قراءة التقارير القادمة من الجبهة . ولكلامه وزن كبير نظرا لمركزه والوظيفة التى كان يشغلها ، ولأنه هو الذى صــاغ التعليمات المذكورة سابقا . والحقيقة أن هذه التعليمات لم تكن أفضل من مذكرات الرائد ستيفانوس بكثير .

وتركت القيادة العامة لقادة الوحدات حرية اختيار أفضل الأساليب القتالية للعمل ضد الأنصار . على اعتبار أن القتال ضد الأنصار عملية حربية ذات صفات خاصة وتحتاج الى استخدام تكتيكات خاصة ملائمة .

عندما تصطدم القطعات المتحاربة فى الحرب التقليدية ، يكون الصدام على جبهة محددة نسبيا . ويمكن لهذه القطعات القيام بهجمات جبهية أو على المجنبات مع محاولة تطويق العدو .. الخ أما فى حالة الحرب ضد الأنصار فينتشر العدو بشكل قنفذي ، ولا تؤدى الهجمات الجبهية الا الى اخراجه من مواضعه . وقد تكون هذه النتيجة هامة اذا ما تم الحصول عليها ضد عدو نظامى فى معركة تقليدية ، ولكنها تفقد أهميتها فى القتال ضد الأنصار ، خاصة اذا استطاع هؤلاء الأنصار الانسحاب لاعادة تشكيلهم فى مكان آخر . والتطويق فى الحرب التقليدية وسيلة من وسائل المناورة المكنة ، ولكنه يعتبر فى الحرب ضد الأنصار الوسيلة الرئيسية الوحيدة لابادة جماعات الأنصار ابادة كاملة .

وهناك ولا شك وسائل متعددة للوصول الى النصر بفضل التطويق أو الهجوم الجبهى . ولكل وسيلة من هذه الوسائل محاسنها ومساوئها . وكان على القيادة الألمانية أن تقوم بواجبها فى شرح هذه الأمور ، ولكنها تقاعست فى هذه النقطة ولم تفعل ما كان عليها أن تفعله ، ولم توجه الى القطعات فى الوقت الملائم مخططا عاما يشرح التكتيك المتبع ضد الأنصار. ولو فعلت ذلك لكان هذا المخطط منطلقا يسمح بوضع تكتيك خاص وتحسينه مع الزمن ، ليتلائم مع امكانيات الأنصار المختلفة . وهكذا تركت القطعات بلا توجيهات واضحة ، فكانت كجيش يقاتل بدون « نظام الخدمة فى الميدان » واضطرت الى ابتداع أساليب قتالية خاصة الأمر الذى جعل نتائج العمليات صغيرة محدودة .

ويمكن أن نستخلص من هنا درسا هاما : وهو أن على كل جيش أن يضع منذ زمن السلم نظاما خاصا للقتال ضد الأنصار .

الفصل السابع

عمل القوات الألمانية المضادة للأنصار

« وتابعنا التقدم ... وتوغلنا داخل الغابة ، وكانت أشعة الشمس تتسرب إلينا من بين أوراق الشجر ، أنه صباح رائع ، تزقزق فيه آلاف العصافير بين الأغصان . وبعد قليل ازدادت صعوبات الطريق الذى غدا مليئا بالبرك والمستنقعات ، وكان الطريق يضيق مع تقدمنا ، وتغوص عجلات السيارات فيه بعمق بشكل يجبر الرجال على دفعها مسافات طويلة . ومع هذا تابعنا تقدمنا بإصرار ... وفجأة اتجه نحونا حصان يعدو مسرعا ثم وقف أمامنا ، عندئذ شاهدنا الفارس الذى كان يتمدد على جانب حصانه على طريقة القوزاق ، فتقدمنا منه ... ونقل لنا المترجم كلامه بصوت منخفض ، لقد وصلت مقدمتنا الى تخوم الغابة المقابلة للقرية « م » ، وهى تؤكد أن فى هذه القرية رجالا من العصابات يستعدون لتركها .

« وكان علينا أن نعمل بسرعة عملا يتقدمه الفرسان ! ... وانطلق الفرسان عدوا نحو تخم الغابة ، وامتدت أمامنا أرض جرداء واسعة ، وكان علينا أن نجتاز ٨٠٠ مترا للوصول الى القرية ، وبعد القرية مباشرة تمتد الغابة من جديد ، وأمامنا نطاق من المستنقعات بعرض ١٠٠ متر يحيط بالقرية التى كان ينبعث من مداخنها دخان كثيف ...

« ومرت الدقائق بطيئة واتجه أول فصيل من الخيالة نحو اليسار ، وغاص رجالنا حتى أكتافهم فى المستنقع البارد المتجمد ، ولكنهم اجتازوه أخيرا واختفوا خلف سياج من الأشجار على الطرف الآخر من الأرض الجرداء . وفى هذه اللحظة أزت أولى الرصاصات فوق رؤوسنا ، لقد كان عدونا يقظا ، ولم يعد أمامنا مجال للاختيار ، وشق كبد قواتنا طريقه بصعوبة عبر المستنقعات ، وتمركزت بعض رشاشاتنا الى يسارنا ، ونجح الخيالة فى حركة التطويق بينما كان كبد قواتنا يجد صعوبة فى الوصول الى القرية .

وأشعلت الرصاصات المحرقة المنطلقة من رشاشاتنا الثقيلة النار فى أهدافها ، وشاهدنا أشباحا تعدو نحو الغابة هاربة ، وتسقط فى فرارها تحت نيران أسلحتنا .

وبدأنا نسمع صوت اللهيب ، وسقوط أخشاب السقوف ، وخوار الأبقار المذعورة ، وصهيل الخيول المتراكضة وسط تلك الفوضى ، .. ثم دخلنا القرية التى ترك فيها الأنصار قتلاهم ، واستنتجنا من آثار الدماء الكثيرة على الأرض أن العدو تكبد خسائر أخرى .

« ثم عرفنا بعد ذلك كيف استطاع العدو اكتشاف قدومنا بسرعة . لقد وضع على الطريق المؤدى الى القرية مخفرا أماميا متصلا مع قيادته بجهاز هاتفى ، ورأى أفراد هذا المخفر فصيل الخيالة وهو ينتشر نحو اليسار ... ومع هذا نفذنا المهمة بنجاح .

« وكان انسحابنا بعد تنفيذ المهمة عسيرا ، فما أن دخلنا الغابة من جديد حتى لاحقنا الرصاص ، واشتبكت المؤخرة مع الأنصار ... لقد كان تكتيك الأنصار دائما الانسحاب أمام تقدم قواتنا عبر المستنقعات وعلى طرق ومسالك صعبة وعرة ، ومراقبتها وملاحقتها وضربها من الخلف بعد انتهاء المهمة وبدء الانسحاب .. ورددنا على رماياتهم بنيران الرشاشات حتى أسكتناهم .

« ان المعركة قاسية ... ولكن معنويات المقاتلين المتطوعين ، واندفاع رجال الـ (.S.S)وحماسهم وعنفهم هى مقومات النجاح (١) » .

ومع هذا لم يكن رجال الـ (.S.S) وأعوانهم سعداء فى هذا النوع من الاشتباكات . ولعل القيادة أمرت بنشر هذا المقال لرفع معنويات الألمان . وهذه قصة أخرى تختلف عن سابقتها اختلافا بينا :

« وانطلقوا مع مغيب الشمس المختفية وراء الهضاب ، وكانوا رقيبا وعريفا و ١٥ جنديا من الذين مارسوا كثيرا من التجارب ، وحملوا بعض الأوسمة . انهم مقاتلون حقيقيون ، اعتادوا على الدوريات والاستطلاعات ، وتدربوا على القتال القريب جسما لجسم .

« ومكثنا ننتظر عودتهم حتى منتصف الليل ، ولكن الوقت مضى دون أن تصلنا أخبارهم . وفى حوالى الساعة الثالثة صباحا تناهت الى أسماعنا بعض الأصوات ، وسمعنا صوتا مكبوتا يشبه صوت سقوط جسم بشرى على الأرض ، وهرعنا نحو مكان الصوت فوجدنا العريف

---

(١) النقيب (.S.S) وبر « مطاردة العصابات فى الشرق » هامبورجر فريمدنبلات ، العدد ١٣١ فى ١٣ مايو (مايس) ١٩٤٣ . (المؤلفان)

ووجهه مضرج بالدماء . واستطاع العريف أن يتمتم بكلمات متقطعة يتخللها سعال عنيف ، وعرفنا منه ما وقع لرفاقه ، عندها جمع القائد مفرزة سريعة الحركة انطلقت على ظهور الجياد لنجدة رجالنا وتخليصهم من مأزقهم .

« واليكم ما حصل بالتفصيل مع الرقيب ورجاله : لقد فتشوا الغابة ووصلوا الى منطقة تندر فيها الأشجار ، عندها وجدوا أنفسهم فجأة أمام قوات متفوقة تسد الطريق أمامهم . وحاول العدو التقدم نحوهم فورا ... ووقع رجالنا أمام حوالى ١٥٠ من البلاشفة . وتم اشتباك عنيف وسط الغابة ... وانتشر رجالنا بكل ثقة وهدوء ليعطوا العدو فكرة خاطئة عن عددهم ونواياهم ، ولجره الى معركة قاسية على جبهة عريضة ، ثم تقدموا وكبدوا البلاشفة بعض الخسائر . وعندما قرروا الانسحاب أخذوا تشكيلة قنفذية بدأت ترمى على العدو الذى أندفع نحوها بكل عناد رغم غزارة النيران . وقام بهجوم لتحقيق الخرق .

« وسقط فى صفوفنا قتلى ، وجرحى ، وتناقص عدد الجماعة الصغيرة ، ولكن قائدها كان حاذقا يستخدم رجاله بكل مهارة . وكان كل جندى من جنودها مقاتلا ممتازا يقوم بواجبه بكل بداهة وشجاعة .

« وقاتل رجالنا ٣ ساعات تقريبا بدون دعم ، ولم يكونوا قادرين على الصمود أكثر من ذلك ضد قوات متفوقة عليهم . فأرسلوا العريف الينا لطلب النجدة . وما أن ترك العريف جماعته حتى اصطدم بجماعة من الأنصار واشتبك معها بقتال سريع وحشى ، وسقط من البلاشفة قتيلان ، وتلقى العريف طعنة حربة فى كتفه وضربة أخرى على أم رأسه كادت أن تؤدى به ، ثم جاء يحبو عبر الغابة والأرض الجرداء يتبعه بعض الروس المسلحين بأسلحة آلية .

« وما أن وصلت الوحدة السريعة الحركة الى مكان الاشتباك حتى طوقت العدو واشتبكت معه فى معركة قاسية أدت الى سحقه وابادة معظم الأنصار ، وانتهت المعركة وسط الغابة خلال نصف ساعة ، وانسحب رجالنا وأسعفنا الجرحى . وكان علينا بعد ذلك أن نصنع صليبين من الخشب ونودع صديقين من رجالنا .

« هكذا كان عمل جماعة الاستطلاع وكان عرض الجبهة يجبرنا دائما على تشكيل مئات وآلاف من هذه الجماعات فى كل سرية وفوج وفرقة . ولم يكن الذهاب مع بعض الرجال المنعزلين ، والتغلغل فى الغابات الكثيفة والمستنقعات أمرا سهلا مسليا .

« وكان على رجالنا أن يثبتوا مهارتهم فى المعارك ضد الأنصار ومهرة الرماة الكامنين بين الشجيرات وخلف الاسيجة ، ويؤكدون تفوق تدريبهم على تدريب العدو وتفوق أساليب القتال لديهم (١) » .

« ولقد كنا بحاجة لآلاف الدوريات ... ان التحدث عن هذا الأمر سهل ولكن تنفيذه صعب جدا . وتتطلب أصغر العمليات ضد الأنصار اعدادا كبيرة . وها هو الأسلوب الذى تمت به احدى اغاراتنا على العصابات :

« القرار :

« تتم مهاجمة الأنصار من ثلاث جهات ، ويعمل أفراد الميليشيا مع قطعاتنا كأدلاء . وتتألف قواتنا من :

١ ــ مفرزة شرطة عسكرية : ضابط و ١١ جنديا .

٢ ــ جماعة شرطة عسكرية : ضابط و ١٨ جنديا .

٣ ــ فصيلة مشاة : ضابط و ٣٠ جنديا .

٤ ــ أشخاص من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)) : ٣ ضباط و ٩ جنود » .

فماذا كانت نتيجة هذه الاغارة ؟ يحدثنا التقرير التالى عن النتيجة قائلا :

« فى الساعة ١٠٫٤٥ اصطدمت المقدمة مع جماعة مؤلفة من ٦ ــ ٨ من الأنصار مع ٣ خيول ففتحت النار فورا . وسقط رقيب من الشرطة العسكرية قتيلا بعد أن أصابته رصاصة فى قلبه ، وكان هذا الرقيب قد قتل أحد الأنصار برصاصة فى رأسه . وتم القبض على اثنين من الأنصار أحدهما جريح وجرى اعدامهما . ولقد حققت مع الجريح بمساعدة مترجم من الأهالى الموالين ثم استلمته مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) وأعدمته » .

ويدل التقرير أن نتائج هذه العملية قليلة بالنسبة للقوات المستخدمة فيها (٦ ضباط و ٦٨ رجلا) .

وكان على الألمان مراقبة وتفتيش الغابات والقرى والمستنقعات والسير بحذر وانتباه على جميع الطرقات .

---

(١) دى هورست سليسنا ــ صراع الجنود ضد الموت والشيطان ــ دوسلدورف ١٩٤٢ ــ صفحات ١٨٢ وما يليها . (المؤلفان)

« اذ يمر على الطريق رجال يحملون الأكياس ولا يدل شكلهم على نواياهم العدوانية . ومع ذلك يتم تفتيشهم جميعا ، ولقد قدم أحدهم مرة وثيقة مطبوعة بالألمانية تشهد بأن فلان فلاح مسالم يعود الى بلده . وكانت هذه الوثيقة تحمل توقيع وخاتم القيادة الألمانية . ولكننا اكتشفنا حيلته لأن الأوامر الواردة الينا مؤخرا تدل على امتناع القيادة عن اعطاء مثل هذه الوثائق . كما أن الكتابة كانت بلغة ألمانية غريبة لفتت أنظارنا .

وعندما فتشنا هذا الرجل عثرنا معه على ديناميت مخبأ فى قاع كيسه تحت كمية من الخرق البالية والألبسة الداخلية . وفهمنا فورا معنى ذلك . أنها بداية عمليات تخريب ! وأعطيت الأوامر على طول الطريق ، وتم القاء القبض على عدد كبير من المدنيين الذين يحملون وثائق مشابهة ، وكان بعض الأنصار قد خربوا الطريق فى مكانين ، وجرى اصلاح التخريب بسرعة . وتم شنق عدد من الأنصار على الأشجار القريبة من الطريق » (١) .

وكانت القوات الألمانية تضطر للتدخل فى المدن والمدن الصغيرة مستخدمة عددا كبيرا من الرجال ، لأن أصغر العمليات بحاجة الى تعداد كاف . وسنصف فيما يلى عمليتين من هذه العمليات هما : اغارة على سيمفيروبول ، واغارة على مدينة لم يذكر اسمها .

الاغارة على مدينة سيمفيروبول قام بها الجيش الألمانى الحادى عشر ، واليكم فيما يلى جزء من أمر العمليات الصادر عنه :

« نظرا لارتكاب الأنصار لعدة حوادث ، ورغبة بالاشتباك مع أكبر عدد منهم ، تقوم قواتنا باغارتين على مدينة سيمفيروبول فى ٢٦ و ٢٧ نوفمبر (تشرين ثانى) على أن يتم تنفيذهما فيما بين الساعة ١٧٫٠٠ والساعة ٢٠٫٠٠ .

« **هدف العملية :**

« ١ ـ قطع جميع الصلات بين السكان المدنيين والأنصار .

« ٢ ـ توقيف واستجواب كل شخص يشاهد خارج منزله بعد حلول الظلام ، رغم أوامر منع التجول .

---

(١) دى هورست سليسينا المرجع المذكور سابقا صفحة ١٦٧ .

« يتم استخدام ٤٥٠ ضابطا وجنديا تقريبا فى هذه العملية ، على أن يتم تطويق المدينة فى الليلة الأولى لعزلها عما حولها ، وتقسيم الضواحى المطوقة الى أربعة قطاعات يتم تفتيشها من قبل العناصر المكلفة بذلك . ثم ينتقل العمل فى الليلة التالية لتفتيش المدينة نفسها بعد تقسيمها الى أربعة قطاعات .

« تسجل أسماء الموقوفين على لوائح خاصة ، ثم يساقون الى مكتب الموقع ليتم استجوابهم من قبل شرطة الميدان السرية ومصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) » .

ويدل تقرير قائد الحملة على أنه تم القبض على ٦١١ مدنيا خارج بيوتهم ، ولقد كان هدف العملية كما نعرف «الاشتباك مع أكبر عدد ممكن من الأنصار » ولكن التقرير لا يشير الى تحقيق هذا الهدف أم لا . لذا يمكننا اعتبار الحملة كلها فاشلة لأنها لم تحقق هدفها رغم التحضيرات الكبيرة ، ورغم استخدام ٤٥٠ رجلا فيها .. وعلى كل حال لم يتحسن الوضع فى سيمفيروبول بعد العملية ، ولم يتبدل الموقف لصالح الألمان .

ولم تصب الاغارة الأخرى نجاحا أكبر ، ولقد قامت مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) بتنظيمها ، وقادها فى ١٢ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٢ الدكتور براون (حكمت المحكمة العسكرية فى نورمبورغ بعد ذلك على الدكتور براون بالاعدام) . وسنستند عند شرح هذه العملية الى أمر من أوامر مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) . ومن المعروف أن عدد الأشخاص الذين اطلعوا على مثل هذه الأوامر عدد قليل جدا ويقول هذا الأمر :

« ١ ــ بناء على أوامر القيادة العامة للجيش الحادى عشر ، تجرى فى ١٢ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٢ الساعة ١١٫٠٠ عملية مفاجأة بغية ايقاف العناصر المشبوهة : أنصار ، مخربين ، جنود أعداء ، مظليين بألبسة مدنية ، زعماء شيوعيين ، يهود .. الخ .

« ٢ ــ تكلف القيادة العامة للجيش الحادى عشر المجموعة د . من مجموعات الكوماندوس الخاصة التابعة لمصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) القيام بهذه المهمة ، ويضع قائد الموقع قواته تحت تصرف هذه المصلحة وتتألف من ٢٣٠٠ رجل و ٥٥ دركيا و ٢٠ شرطيا من شرطة الميدان السرية .

« ٣ ــ يقود العملية الرائد الـ (S.S.) الدكتور براون قائد فصيلة

الكوماندوس الخاصة ١١ ـ ب . ويكون مقـــر قيـــادته في مكتب الموقع .

« ٤ ـ تقسم المدينة الى ستة قطاعات تتفق حدودها مع حدود قطاعات الدفاع والمليشيا . (يلى ذلك أسماء رؤساء القطاعات والأمر يتبـــع) .

« ٥ ـ سيكون تحت تصرف قادة القطاعات القوات التالية :

« القطاع الأول :

٣٥٠ رجلا من حامية القطاع .

١٠ من رجال الدرك .

١ ضابط من مصلحة الأمن العســكرى للرايخ (S.D.)

١ مترجـــم من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)

٦ رقباء وجنود من مصـــلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) .

٣ مترجمين اضافيين .

٤ سيارات نقل .

« القطاع الثانى :

٥٠٠ رجل من حامية القطاع .

١٠ من رجال الدرك .

٣ من رجال شرطة الميدان السرية .

١ ضــابط من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)

١ مترجم من مصلحة الأمن العســكرى للرايخ (S.D.)

٦ ضباط وجنود من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D) .

٣ مترجمين اضافيين .

٣ سيارات نقل .

« القطاع الثالث :

٢٥٠ رجلا من حامية القطاع .

٩ من رجال الدرك .

٣ من رجال شرطة الميدان السرية .

١ ضابط من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)

١ مترجم من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)

٦ رقباء وجنود من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.)

٣ مترجمين اضافيين .

٣ سيارات نقل .

« القطاع الرابع :

.... الخ » :

ويلى ذلك تفاصيل دقيقة عن الاجتماعات التحضيرية والشؤون المالية ، والتعليمات الخاصة بتوقيف الأهالى المدنيين .

ولم تؤد هذه العملية الى نتيجة كبيرة . لقد تم من جرائها بالفعل توقيف ١٥٥٠ شخصا أرسل ١٤٧٥ منهم الى معسكرات أسرى الحرب وسلم الباقون الى مصلحة الأمن العسكرى للرايخ(S.D.) . وبعد التحقق من هويات الموقوفين فى معسكرات أسرى الحرب أطلق سراح ١٤١٥ منهم بينما تعرض الستون الآخرون الى استجواب اضافى . اننا لا نعرف هل كان بين الموقوفين أو بين من استلمتهم مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) أنصار أم لا . ولكننا نعرف أن الألمان استخدموا فوجا مؤلفا من ثلاث كتائب تقريبا لتوقيف حفنة صغيرة من الأنصار — ان كان بين الموقوفين أنصار — .

ثم أطلق سراح معظم الموقوفين بعد هذه الحملة التى انتهت الى لا شىء . ولكن يبدو أن بعض عمليات الألمان تكللت بالنجاح فى أماكن أخرى ، ففى بيسشوج — القرم — قام الجيش بعملية استخدم خلالها فوجا (٣ كتائب) . وقتل فى هذه العملية ٣٥٠ من الأنصار ، كما تم الاستيلاء على كمية كبيرة من الغنائم .

ولقد رأينا فى تقارير الألمان بعد بعض العمليات المشابهة أن عـدد الأنصار القتلى كبير جدا (١) .

ولا شك أن الألمان قاموا بعمليات انتقام رهيبة خارج المدن ، ولكنهم شعروا أن حملاتهم لا تؤدى وحدها (فى حالة نجاحها) الى نتائج حاسمة . فأضافوا اليها تدابير قمع وارهاب موجهة ضد الأنصار والسكان المدنيين على السواء .

وفى ١٨ ديسمبر (كانون أول) ١٩٤١ أرسل قائد مجموعة جيوش الجنوب الى قادة الجيوش الملاحظة التالية : « لقد توقف نشاط الأنصار تقريبا فى قطاع الجيش السادس (كان هذا الجيش تابعـا لمجموعته ويقوده فون ريخناو) وتعود هذه النتيجة الى التدابير الحازمة التى طبقها هذا الجيش . ومن التدابير المفيدة الكافية لتهدئة منطقة ما تهديد الأهالى بمصادرة مخزونهم من المواد التموينية ، واحراق قراهم اذا لم يعلموا السلطات عن وجود الأنصار فى الوقت الملائم .

« وفى خلال عمليات هذا الجيش تم شنق آلاف متعددة من الأنصار أو اعدامهم رميا بالرصاص . ويمكن أن نؤكد بناء على التجربة والخبرة أن للشنق تأثيرا أكبر على الأهالى المدنيين . وهكذا اختفى عدد كبير من المتسكعين فى طول البلاد وعرضها بلا وثائق تثبت شخصياتهم . هؤلاء المتسكعون الذين كان رجال المخابرات والاستعلامات والأنصار يندسون بينهم بغية الاختفاء والتمويه . وتوقفت بذلك عمليات التخريب .

« ويدلنا هذا على أن التدابير المماثلة كافية للوصول الى أهدافنا المحددة ، لأن السكان المحليين يخشونها أكثر مما يخشون تدابير الأنصار .

« وينصح قائد مجموعة الجيوش بأخذ تدابير مشابهة عندما يكون ذلك ضروريا » .

وتعود بنا هذه الملاحظة الى ذكريات وصور قاتمة حزينة . ولكن كل هذا لم يكف للتأثير على السكان المدنيين ، وتابع الأنصار نشاطهم بنجاح فقررت القيادة الألمانية أخذ الرهائن .

ولقد ذكر موضوع الرهائن لأول مرة فى التعليمات الخاصة الموجهة للقطعات الألمانية فى القرم كتدبير من التدابير الملائمة للتخلص من كتائب

---

(١) يذكر تقرير الجيش الألمانى ليوم ٣٠ يونية (حزيران) ١٩٤٤ ، أن عدد قتلى الأنصار ٧٧٠٠ وعدد أسراهم ٥٣٠٠ . (المؤلفان)

التخريب العاملة فى هذه المنطقة . ويعود استخدام هذه الطريقة الى خوف الجيش الألمانى من وجود ٨٠٠٠ من الأنصار المسلحين جيدا والعاملين تحت قيادة جيدة . وكان اسم هذه التعليمات الخاصة : « تعليمات حول القتال ضد كتائب المخربين » ونجد فيها ما يلى :
... « يتم تنفيذ التعليمات التالية فى القرم .

« (أ) تستخدم جميع القطعات للصراع ضد كتائب التخريب على أن تتلاءم القوات المستخدمة مع تنظيمات الأنصار وطبيعة الأرض .

« (ب) يتم خلال الاستطلاعات استخدام أشخاص ينحدرون من عائلات تعيش فى قواعد الأنصار ، أو يحتمل اتصالها بالعصابات .
ويتم استجواب الأسرى من الأنصار حسب التعليمات المعطاة بهذا الصدد .

« (جـ) يجب محاولة الضغط على أهالى الأنصار المنضمين الى كتائب التخريب حتى يقنعوا أبناءهم بالعودة الى صفوفنا. ولقد نجحت هذه الطريقة فى مناسبات متعددة . ويؤدى توزيع المنشورات وأخذ الرهائن الى نتائج حسنة فى مثل هذه الحالات .

وهذا مثال للمنشورات التى وزعت آنذاك .

« ما يجب أن يعرفه كل فرد من أفراد العصابات .

« لماذا يقاتل ؟ انه يقاتل لأن رؤساءه خانوه ولا يفكرون الا بانقاذ جلودهم ، وتحاشى المثول أمام محكمة الشعب .

« ضد من يقاتل ؟ انه يقاتل ضد شعبه ، ويستولى على غذائه ، وبهذا يتعرض الشعب الروسى للموت جوعا .

« ما هى النتيجة التى سيصل اليها ؟ لا شىء .. ! ان انتصار الجيش الألمانى الساحق لا يمكن أن يتأثر بعمل حفنة من الرجال بعد أن وضع ملايين الجنود الروس خارج المعركة .

« ماذا يجب أن يعمل اذن ؟ كل هذا يثبت أن عمليات الأنصار بلا معنى ، انها تتم ضد بلادكم نفسها ، فيا أيها الأنصار ! اخرجوا من مخابئكم واستسلموا ، وستتم معاملتكم كأسرى الحرب . يا سكان المدن والريف ، قاتلوا ضد الأنصار ان كنتم تحبون بلدكم ، وان شئتم ألا تموتون جوعا . ان كل من يساعد الأنصار يرتكب جريمة ضد

الشعب ويؤخر بزوغ عصر جديد من عصور الحرية » . وكان الألمان يعتبرون هذا المنشور جواز سفر لكل مقاتل من الأنصار يود الاستسلام. ومع هذا دلت التقارير الألمانية على « أن عددا من الأنصار أعدموا رغم جميع الوعود والمواثيق » ولم يلبث هذا الخبر أن انتشر في طول البلاد وعرضها .

ثم تلى هذه التعليمات والمنشورات أمر أكثر وضوحا يتعلق بالرهائن ، وهو صادر عن قيادة الفيلق ٣٠ الذى يقوده الجنرال فون سالموت . ولقد صعد هذا الأمر تدابير الارهاب المأخوذة ضد الأهالى المدنيين . وهو يحدد عدد الرهائن التى يجب اعدامها عندما يقتل الأنصار أو يجرحون جنديا ألمانيا أو رومانيا . ويبدأ الأمر كما يلى :

« لقد تزايدت الحوادث فى الأيام الأخيرة ، وقتل الأنصار خلالها عددا من الجنود الألمان والرومانيين ، الأمر الذى يستدعى اتخاذ تدابير مضادة عنيفة .

« ويجب ايقاف جميع الأشخاص المنتمين الى احدى الفئات التالية فورا وأخذهم رهينة فى كل مكان تعسكر فيه القوات .

« الأشخاص الذين انضم بعض أقاربهم الى الأنصار .

« أعضاء الحزب ، وأفراد الشبيبة (الكومسومول) ، والمرشحون للحزب .

« الأشخاص الذين كانوا أعضاء فى الحزب .

« الأفراد الذين استلموا وظائف رسمية وادارية قبل قدوم القوات الألمانية والرومانية .

« كل من يتم ايقافهم خارج القرى دون اذن خاص .

« تجمع هذه الرهائن فى معسكرات اعتقال ، ويتم اطعامها على حساب الأهالى . وينفذ حكم الاعدام بعشرة من هؤلاء الأسرى مقابل كل جندى ألمانى أو رومانى يقتله الأنصار . كما ينفذ حكم الاعدام بواحد من الأسرى ان سقط ألمانى أو رومانى جريحا على يد الأنصار . ويتم الاعدام ان أمكن فى المكان الذى تم فيه قتل الجندى . وتبقى الرهينة معلقة فى المكان نفسه ثلاثة أيام بعد موتها .

يقوم اللواء الرومانى الجبلى الأول بعمليات التوقيف فى القرى التى لا تشغلها القطعات (خاصة فى الجبال) على أن يتم احتلال هذه القرى مؤقتا من قبل القطعات .

ثم أعقب هذا الأمر لائحة بمعسكرات الاعتقال الواجب انشاؤها . وأرقام الوحدات المكلفة بهذه المعسكرات . وتبدو الفقرة الأولى من هذا الأمر قاسية رهيبة .

« معسكرات الاعتقال الواجب بناؤها :

« ـ كوتسشوك موسكومجا . يقوم بانشائه فوج المشاة ١٢٤ .

« ـ ألسو . يقوم ببنائه الفوج الجبلى الرومانى الأول .

« ـ وارنوتكا . ويقوم ببنائه فوج المشاة ٢٦٦ .

« ـ بيجوك موسكومجا . يقوم ببنائه فوج المشاة ١٠٥ .

« ـ هاتيا . تقوم بانشائه كتيبة الرشاشات الرومانية ١٤ .

« ـ بادجارى . ويقوم بانشائه فوج المدفعية ١٧٢ .

« ـ ساشتيك . تنشئه كتيبة المهندسين ٧٢ .

« ـ فوروس . تنشئه الكتيبة ٧٢ المضادة للمدرعات .

« ـ ويحدد المخطط المرفق مقياس $\frac{١}{١٠٠٠٠٠}$ حدود المناطق التى توقف الرهائن فى داخلها وترسل الى معسكرات الاعتقال .

« يتم اعدام هذه الرهائن رميا بالرصاص ، فاذا ما تابعت العصابات اجراء عملياتها فى المناطق المذكورة وجب اعدام الرهائن شنقا حسب التعليمات المحددة فى فقرات الأمر المذكور أعلاه » .

وكلف الرؤساء المعينون لانشاء المعسكرات بمهمة القتال ضد الأنصار . وكان عليهم تعيين قواد مواقع مسؤولين فى المدن والقرى التى يتم فيها أخذ الرهائن .

وصدرت الأوامر للقطعات العسكرية التى تنقل الرهائن أن تسلم هذه الرهائن الى قائد أقرب موقع عسكري تحتله القوات الألمانية بصورة مستمرة ، اذا ما وجدت نفسها مضطرة للتوقف فترة طويلة للتموين أو رأت أن عليها التوقف والاقامة فى قرية لا تحتلها قوات عسكرية كافية للدفاع عنها .

وكان عدد الرهائن يختلف حسب طريقة تفكير القائد وأسلوبه فى معالجة الأمور كما يتناسب مع أهمية القرية أو المدينة ، وضرورات الموقف الداعية لاستخدام العنف . وكان من الشائع اعدام الرهائن

بعد قيام الأنصار بعمليات تخريب ، حتى ولو لم تسفر هذه العمليات عن وقوع قتلى وجرحى . ولقد تعرضت كييف الى عدة حملات أخذ فيها عدد كبير من الرهائن لايقاف عمليات التخريب .

والوثيقة الأولى التى نملكها حول كييف هى تقرير نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ الذى كتبته فرقة الأمن ٤٥٤ وفيه ما يلى : « تم اعدام ٨٠٠ من الأهالى المدنيين رميا بالرصاص انتقاما لعمليات التخريب التى يقوم بها الأنصار » ولم تكن هذه العمليات سوى اشعال الحرائق . ثم أصدر قائد حامية المدينة اعلانا موجها الى الأهالى يقول فيه : « لقد خرب الأنصار مركز المواصلات السلكية واللاسلكية ، وبما أننا لم نستطع ايقاف الفاعلين ، فقد أعدمنا ٤٠٠ من الأهالى المدنيين رميا بالرصاص » .

وكانت حماية خطوط السكك الحديدية معضلة شائكة أمام الألمان ، ولقد حاولوا جاهدين ايجاد حل يضمن سلامتها ، وسنذكر مثالين يدلان على بعض أساليبهم فى حل هذا الموضوع .

أصدر الفيلق ٤٤ أمرا يقول فيه : « عندما تخرب العصابات الخطوط الهاتفية أو السكك الحديدية ... ألخ . تختار السلطات حرسا من الأهالى وتضعهم فى الأماكن الحساسة التى يحتمل قطعها ، فاذا ما وقع التخريب يعدم الحارس الذى تجرى العملية داخل القطاع المكلف به . وعلى السلطات أن تختار الحراس ممن لهم أقارب فى المنطقة ، حتى يتم اعتقال هؤلاء الأقارب عند فرار الحارس والتحاقه بالعصابات » .

لقد كان هذا حلا ذكيا !! وفى المثال الثانى ، أصدر الجنرال فون روكيس قائد مؤخرات مجموعة جيوش الجنوب أمرا ذهب فيه أبعد من ذلك . اذ انه أمر باخلاء السكان فى منطقة عرضها ١ر٥ — ٢ كيلومترا على طرفى السكة الحديدية ، مع أخذ رهائن من الأهالى . على أن تشنق الرهائن على طول الخط الحديدى اذا تعرض للتخريب .

وأزعجت الألغام المزروعة داخل المدن القوات الألمانية . ففى سمفيروبول قامت عربة تحمل مكبرات الصوت بالتجول فى المدينة يوم ١٦ نوفمبر (تشرين أول) ١٩٤١ لاذاعة أمر عسكرى موجه للمدنيين . ويقول الأمر : « لقد تم انشاء مكتب خاص لنزع الألغام فى ساحة المدينة ، وعلى كل من يعرف أو يشتبه بوجود الغام موقوته أو متفجرات فى المبانى أو فى أى مكان آخر ، أن يعلم هذا المكتب الخاص فورا . وستعطى مكافأة مالية لأصحاب المعلومات الصحيحة ، .. أما من يعرف مكان الألغام والمتفجرات ولا يخبر المسئولين عنها فعقابه الموت .

« فاذا ما نسفت العصـــابات أحد مبانى المدينة ، دون أن يقدم الأهالى معلومات مسبقة تكشف العملية وتمنع النسف ، انتقمت قواتنا لهذا العمل باعدام ١٠٠ من الأهالى المدنيين » .

وبالرغم من هذه التدابير الصارمة الرامية الى اعادة الهدوء فى المدينة استمرت عمليات الأنصار ، فبعد عدة أيام من اذاعة الأمر العسكرى وقعت الحوادث التالية :

« أعدم الألمان فى يوم ٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤١ خمسين شخصا من سكان سيمفيروبول انتقاما لما يلى :

« ــ فى ٢٢ نوفمبر (تشرين ثانى) انفجر لغم فى منطقـــة لم يتم الاعلام عنها بأنها مشبوهة ، فقتل بذلك جندى ألمانى .

« ــ فى ليلة ٢٧ ــ ٢٨ نوفمبر (تشرين ثانى) جرى اغتيال رقيب ألمانى .

ونحن لا نعرف عدد الرهائن التى قتلها الألمان ، كمــا لا نستطيع تحديد عدد الأنصار أو المشـــكوك بهم الذين قتلوا فى المعارك أو بعد الأسر . ولكننا نعرف أن عدد الأنصار كان يتزايد باستمرار ، وأن الألمان أصبحوا فى النهاية عاجزين عن تجميع القوى اللازمة للقيام بعمل حاسم ضدهم .

ويقول الجنرال ديثمار فى حديث بالراديو الألمانى : « ان القتال ضد العصابات مهمة صعبة جدا ، ولم يعد استخدام وحدات صغيرة يؤدى الى نتائج حاسمة . وليس لدينا اليوم قوات كبيرة نزجها فى هذا العمل ، لأن ظروف المعركة تفرض علينا استخدامها فى مهمات أشـــد خطورة ، لذا فاننا نجد أنفسنا مضطرين الى الاكتفاء بحماية الأهداف الهامة ، واجراء بعض عمليات القمع الانتقامية مابين آونة وأخرى » (١).

ولا يمكننا اليوم تقدير القطعات التى كان الألمان بحاجة اليها لتصفية جميع العصـــابات ، ولكننا قادرون على معرفة القطعـــات التى جرى استخدامها فعلا لهذا الغرض .. وتقول التقارير : استخدمت مجموعة جيوش الوسط عام ١٩٤٣ حـــوالى ١٠٠ ألف رجل للقتال ضـــد الأنصار (٢) . وفى الجنوب استخدم الجيش الحادى عشر فى ديسمبر

---

(١) من حديث فى الاذاعة الألمانية ــ الجنرال ديتمار ــ برنامج ٦ يونية (حزيران) ١٩٤٣ . (المؤلفان)

(٢) م . السوب والعقيد جريفيث المرجع المذكور سابقا . (المؤلفان)

(كانون أول) ١٩٤١ لوائين رومانيين ، ووحدات من لواء آخر ، وفوج (٣ كتائب) وعدة كتائب مستقلة ، و ٣ مفارز مضادة للمدرعات ، وعدد من الوحدات الأخرى ، فى العمليات ضد الأنصار . وفى ١٩٤٢ أعلن الجنرال بونومارنكو ما يلى :

« تقدر القوات العاملة ضد الأنصار ب : ١٤٤ كتيبة من الشرطة و ٢٧ فوجا من الشرطة (ويتألف كل فوج من ٣ كتائب) ، و ٨ أفواج أخرى ، و ١٠ فرق من وحدات الـ (S.S.) ، وفيلقين من الشرطة ، و ٤٢ وحدة خاصة ، وحوالى ١٥ فرقة ميدانية ، بالاضافة الى الفرق الهنغارية ١٠٢ و ١٠٥ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٩ » (١) .

فاذا ما أضفنا الى هذه القوات المشغولة ، عدد الألمان الذين قتلوا أو جرحوا خلال العمليات ضد الأنصار ، عرفنا أن العصابات قامت بمهمتها خير قيام .

وأدى نقص القوات الألمانية الى اضعاف العمليات المضادة للأنصار ، وجعلها عمليات كثيرة الخسائر عديمة الجدوى . ولو كان لدى الألمان قوات كافية اضافية لاستطاعوا ايقاف الأنصار وتجويعهم بعمليات مطاردة مستمرة لا تكلف الألمان خسارة كبيرة .. ولكن الوضع آنذاك كان يجبر الألمان على تصفية مجموعات الأنصار واحدة تلو أخرى ، بغية تحرير قواتهم لزجها فى عمليات جديدة من هذا النوع . لقد كان عليهم أن يهاجموا طوال الوقت متعرضين بذلك الى خسائر كبيرة . ولتأكيد هذه الفكرة علينا اجراء مقارنة تكتيكات الألمان فى روسيا مع تكتيكات الجنرال بريج فى ماليزيا .

يقول الرائد شيفر فى التكتيك الألمانى :

« ان ابادة وتصفية هذه العناصر (العصابات) عمل ضرورى جدا ... وليس الهدف من العمليات طردها الى مكان آخر بل تدميرها تدميرا كاملا ... فاذا ما تسللت العصابات الى منطقة ما ، أو سيطرت عليها وجب علينا محاصرة المنطقة فجأة ، وتفتيشها بكل دقة ، وفى هذه الحالة يكون النجاح أكيدا شريطة أحكام طوق ضيق حول المنطقة منذ البداية ، لمنع وحدات معادية قوية من الخرق أو التملص . ثم يجرى تضييق الطوق قطاعا اثر قطاع ، ويوما بعد يوم بتقدم عام أو متناوب .. يحدده الموقف وطبيعة الأرض . فيندفع العدو رغم أنفه

---

(١) بونومارنكو : المرجع المذكور سابقا . (المؤلفان)

نحو خط محصن مسبقا تحتله قواتنا ، ويستحسن أن يدعم هذا الخط مانع طبيعى (نهر مثلا) ... فاذا ما نظرنا الى خارطة مناورة من هذا النوع ، وجدنا أن خطوط التطويق المتعاقبة حسب الأهداف اليومية ، وحدود عمل مختلف القطعات المشتركة فى العملية تشبه شبكة العنكبوت شبها تاما ... ومع هذا ينبغى أن لا نظن أن هناك مخططا واحدا جامدا يلائم كل الحالات ، فلكل موقف مخطط يلائمه .

« ويتطلب تطهير الأدغال ومناطق البحيرات والمستنقعات اعدادا دقيقا لأننا اذا أكتفينا بالمسير على طول مسالك الغابات الصالحة لاستخدام العربات المجنزرة انتهت العملية الى الفشل ، واختفى رجال العصابات فى معسكراتهم المموهة ومخابئهم دون حراك ... لذا يجب اختراق الغابات الكثيفة والمستنقعات على الأقدام من طرف الى طرف . وقد يضطر الجنود الى التماسك بالأيدى خلال المسير لانقاذ كل من يغوص فى مستنقعات الوحل فجأة ... وقد يسيرون أياما عديدة دون أن يتوقفوا توقفات طويلة للاستراحة . وعليهم عند الوصول الى هدفهم اليومى أن يقفوا بانتظار خلول الظلام للقيام بالخرق ... ولا تستريح القطعات فى الليل ، لأن عليها تأمين الحراسة بشكل دقيق ... وكيف تستريح والأرض حولها موحلة وملغومة أحيانا .

ان عدونا يستخدم كل أنواع الحيل والأفخاخ ، وهو يختفى عند مرورنا فى حفر تغطيها الأغصان والأوراق ، ولا يتحرك بعد ذلك . ولكل جماعة مختفية بهذا الشكل راصد يقف على ذرى الأشجار ... ويقتنع كل من يرى معسكرات ومخابىء الأنصار فى مناطق الغابات والمستنقعات التى يتعذر فيها المرور ، ان لهؤلاء الأنصار قدرة غريزية عجيبة على الاختفاء » (١) .

ولقد قدم الجيش الألمانى المدرع الثالث تقريرا يذكر فيه أنه قام بـ ٩٩٢ معركة ضد الأنصار فى غضون ستة أشهر (من نوفمبر — تشرين ثانى — ١٩٤٣ ختى ابريل — نيسان — ١٩٤٤) كان متوسط قتلى الأنصار ١٠ فى كل معركة ... ونحن نعرف أن الألمان خسروا فى هذه المعارك خسائر كبيرة لم يستطيعوا تجنبها .

فلنقارن الآن التكتيك الألمانى كما عرفناه ، مع مخطط الجنرال بريج ، كما وصفه المراسل الحربى لصحيفة التايمز فى ماليزيا ، عندما

---

(١) الرائد شيفر — هامبورجر فريمدنبلات . المذكورة سابقا .

(المؤلفان)

تحدث عن التكتيك الجديد قائلا : « اننا لم نعد نقوم بعمليات تفتيش ومسح واسعة النطاق عبر الغابات الكثيفة ، اذ أنها عمليات قليلة الفائدة وتتم على محور الانسحاب التكتيكى المتوقع للعدو ... ولقد استعضنا عن هذه الوسيلة بتجميع قواتنا فى مناطق هامة اقتصادية منتشرة على طول تخوم الغابات » (١) .

أى اننا كنا نحاول المحافظة على الفاعلية الايجـــابية فى ماليزيا ، مع التعرض الى أصغر خسارة ممكنة .. ولم يكن الألمان يؤمنون بهذا الرأى ، بل كانوا يهاجمون الأنصار بصورة مســـتمرة ، ويتكبدون فى هجماتهم خسائر كبيرة كانت سببا فعالا من سباب هزيمتهم .

---

(١) التايمز عدد ٢٦ يناير (كانون ثانى) ١٩٥١ .

(المؤلفان)

الفصل الثامن

التكتيك الألماني المضاد للأنصار

سيذكر التاريخ بحروف من نور كثيرا من الأنصار الشجعان ، لقد خلقت الحرب العالمية الثانية عشرة منهم ورفعتهم الى مستوى أبطال الأساطير ، وقدمت الحرب العالمية الأولى لورانس ، وأظهرت حرب جنوب أفريقيا ويت ، كما أظهرت الحرب الأهلية الأمريكية موسبى ومورجان وفوريست ، ويذكر التاريخ أنصارا مشهورين مثل هوفر وسشيل وجاريبالدى ودياز .

الا ان التاريخ لم يذكر مرة واحدة قائدا من قادة القوات المضادة للأنصار القدماء أو المحدثين . وبقيت أسماء هؤلاء القادة مجهولة لا يعرفها الا بعض الباحثين المختصين . ويستثنى من هذه القاعدة القائد ديرليوانجر التابع لقوات الـ (S.S.) والذى كان يتمتع بنفسية خاصة . ولقد كتب قائد القوات المضادة للأنصار والملحق بقيادة قوات الـ (S.S.) فون باخ زيليوسكى تقريرا يتحدث فيه عن لواء ديرليوانجر (كان ديرليوانجر يقود لواء فى الجبهة الروسية خلال الحرب العالمية الثانية) . ويقول التقرير : « كان هذا اللواء مؤلفا من مجرمين سابقين ، حكم عليهم بالأشغال الشاقة المؤبدة ، وتقضى الأوامر الرسمية بتشكيل هذا اللواء من المشردين ، ولكنه كان يضم بين صفوفه الأشخاص المحكومين لارتكابهم جرائم السرقة أو القتل .. الخ (١) » وكان لهذا اللواء الغريب سمعة كبيرة بين نزلاء السجون الألمانية ، قبل أن تلحقه القيادة الألمانية بمجموعة جيوش الوسط .

ولقد جرى تشكيل هذا اللواء على مراحل ، فعندما بدأت الدولة تشكيله لم تستطع جمع أكثر من كتيبة واحدة ثم انقلبت الكتيبة الى فوج (٣ كتائب) تحول بعد ذلك الى لواء .

---

(١) من وثائق المحكمة العسكرية الدولية فى نورمبورغ المجلد ٤ الصفحة ٤٨١ . (المؤلفان)

قد يكون قائد الأنصار ضابطا نظاميا ، ولكن عليه أن ينسى جل ما تعلمه فى الأنظمة العسكرية ، ويقاتل بناء على غريزته والهامه وتجاربه وخصائصه فى التوقع مسايرة لقوانين العصابات . وقادة الأنصار الحقيقيون موجودون فى كل زمان ومكان ، وتجدهم بلادهم عندما تحتاج اليهم . أما قادة الوحدات المضادة للأنصار فلا وجود لهم ، ويتصف عملهم بأنه عمل خاص يحتاج الى خبرة تقنية خاصة . وعليهم أن يتمتعوا بصفات وتدريب العسكريين ، بالاضافة الى ميزات ومهارة ضباط الشرطة . وليس هنالك دولة دربت فى جيشها مقاتلين للعمل ضد الأنصار ، ولا يعتمد هؤلاء المقاتلين الا على خبرتهم الفردية التى يكتسبونها بكل صعوبة . ولا تكفى الدروس النظرية لتعليمهم واجبات عملهم ، وعندما تصقلهم التجربة يكون الوقت قد فات لاستخدام تجربتهم .. لهذا كله لم يسجل التاريخ اسم قائد كبير واحد من قادة الوحدات المضادة للأنصار .

ولا يتمتع قائد الوحدات المضادة للأنصار بشخصية تجذب الجماهير وتجبرهم على التعلق به ، وهذا ما جعل جميع هؤلاء القادة مجهولين ، وليس هنالك من درس قبل الحرب العالمية الثانية عمليات الأنصار بشكل علمى جدى ، وخرج من دراسته بنظام خاص للعمليات المضادة للأنصار ، أو توصل على الأقل لمبادىء العمل ضد العصابات عند اللزوم . ولم يستخدم الألمان خيرة ضباطهم فى العمليات المضادة للأنصار ، لذا لم يلمع أى رومل مضاد للأنصار ، ليصنع بنفسه قواعد تكتيكية يستخدمها الجميع من بعده ، علما بأن هذه القواعد بديهية تقريبا ..

ان تكتيك العصابات الحديث مبنى على تعليمات ماوتسى تونج النظرية وخبرته العملية ويقول ماو : « ان قرصات البعوض قادرة على استنزاف دم العملاق الذى لا يستطيع استخدام قوته ضدها .. » لذا يجب أن تفكر القوات المضادة للأنصار بضرورة تلقيح العملاق بلقاح واق يعطيه مناعة ضد لسعات البعوض . وايجاد الوسيلة الملائمة التى تسمح للعملاق باستخدام قوته . أى أن على القوات المضادة للأنصار أن تنشىء جهازا ممتازا لتحقيق حيطة وأمن القطعات والمنشآت الدفاعية لأن تحقيق الأمن مهمة دفاعية حاسمة . كما أن على هذه القوات أن تستخدم فى عمليات الصراع ضد الأنصار تفوقها المادى بالعتاد (طيران ـ دبابات ـ عربات نقل ـ قطارات مدرعة .. الخ) . وهذه هى مهمتها الهجومية .

وفى عام ١٩٤٤ أصدر الألمان نظاما للحرب ضد عصابات الأنصار ذلك لأن القيادة الألمانية العليا تبينت مع الزمن ، كما يقول الجنرال فون براند نفلس ، أن « المبادىء المذكورة فى تعليمات عام ١٩٤٢ لم تمنع عمليات الأنصار من الامتداد . وكانت القيادة العليا فى الميدان ترغب باجبار الأهالى المدنيين فى البلاد المحتلة على التزام الهدوء والقيام بأعمال منتجة ، حتى تستطيع هذه القيادة تحقيق أهدافها العسكرية بدون مشاغل جانبية » .

ولم تكن العصابات العاملة مقتصرة على الجبهة الروسية والبلقان فى الشرق ، ولكنها كانت تضم المقاومة السرية الفرنسية (Le maquis) التى بدأت تنتشر فى الغرب بشكل فعال . ولقد أعدت التعليمات هذه المرة بعد دراسة فلم تصدر بصورة وجيزة وتحت ضغط الأحداث كتعليمات وتوجيهات عام ١٩٤٢ ، بل كانت نتاج أعمال ودراسات اشتركت فيها مكاتب متعددة تابعة لأركان القيادة العليا ، وهذه المكاتب هى : أركان العمليات فى الجيش ، وأركان العمليات الجوية ، وأركان جيوش المحور المتحالفة مع ألمانيا فى الشرق والغرب ، والمصلحة المضادة للتجسس ، ومكاتب أخرى مثل مدير ادارة النقل فى الجيش الألمانى ، وهكذا رأت هذه التعليمات النور فى ٦ مايو (مايس) ١٩٤٤ .

وهى تمثل جهود ألمانيا الأخيرة لتنظيم العمليات المضادة للأنصار وتوحيد شكلها ، ولكن الألمان كانوا ينسحبون آنذاك خارج الحدود الروسية ، وبعد سنة تقريبا انتهت الحرب .. وكان الجيش الألمانى فى هذه الفترة مشغولا بفتح طريق الانسحاب نحو ألمانيا ، ولم يكن فى وضع يسمح له ببذل أية جهود جدية ضد الأنصار فى الأراضى الروسية .

وفى هذا الوقت كانت العصابات تتمركز بقوة خلف خطوط الألمان . ولم يكن الألمان قادرين على قلب الموقف لمصلحتهم بجهد يائس يبذلونه فى آخر لحظة .

ونحن لا نقول هذا لنقلل من قيمة تلك التعليمات الناجمة عن تجربة عملية خاضتها القوات الألمانية خلال ثلاث سنوات ضد الأنصار ، ولكننا نود أعطاءها قيمتها العملية الحقيقية ، فهى مؤلف كلاسيكى مهم يبحث العمليات المضادة للأنصار . ولقد نقلنا أهم أجزائه بشكل حرفى ووضعناها فى نهاية هذا الكتاب .

لقد قلنا سابقا ان على القائد الماهر للقطعات المضادة للأنصار أن يكون عسكريا جيـــدا وشرطيا بارعا . وتعتمد قيمته الهجومية على مزاياه العسكرية ، على حين تحتاج مهمتــه الدفاعية الى أســـاليب بوليسية .

وتطرح التعليمات الألمانية مبدأ الحماية (الدفاع) كما يلى :

« يجب على القطعات أن تحمى كل ما يهم سير الحرب ، وتمنع عنه هجمات الأنصار » . وهذا مبدأ واسع جدا ، لأن الحرب الحديثة جعلت الأهداف الحيوية أو الهامة أو اللازمة لمتابعة المجهود الحــربى كثيرة متعددة . فهناك السكك الحـــديدية والقاطرات والشاحنات ، والطرق البرية ، والطـــرق المائية ومراكبها ؛ والمنشآت الاقتصادية والادارية ومراكز وشبكات الارتباط (الاشارة) ، والمنشآت الزراعية ، ومؤسسات استثمار الغابات بالاضافة الى القوات المسلحة نفسها .

وعندما غزا الحلفاء فى نهاية الحرب ألمانيا وايطاليا ، قامت قيادتهم بحماية القطارات والسكك الحديدية بوضع حراس على طول الخط الحديدى ، مع حراس دائمين فى المحطات وعلى الجسور ، بالاضافة الى وحدات متفرقة هنا وهناك قرب النقاط الحساسة .. ولم تتعــرض مواصلات الحلفاء الحديدية لأى حادث هام ، وكان هذا الجهاز البسيط للحماية كافيا .. وأضيف الى هذه التدابير بعد ذلك تدبير جـــديد يتوخى المحافظة على سرية تحركات الشخصيات الهامة جدا ، ولكن قوات الحلفاء لم تكن تتعرض آنذاك لعمليات عصابات جدية يقـــوم بها أنصار معادون .

وعندما توغل الألمان داخل الاتحاد السوفييتى كانوا يفكرون بأنهم قادرون على تطبيق نظام مماثل لحفظ مواصــــلاتهم ، ولكن سرعان ما تبددت أوهامهم حول فاعلية هذا الأسلوب ، ولم تكف حراستهم لمنع الأرض من الانفجار تحتهم . ولقد وجد البريطانيون أنفسهم فى موقف مشابه خلال الحرب فى جنوب أفريقيا ، اذ كان مهرة الرماة من البوير يقتلون ويجرحون سائقى القطارات الانجليزية بما فى ذلك ســـائقى القطارات التى تنقل المواد الغـــذائية لعائلات البوير الموضـــوعة فى معسكرات الأسرى . عندها طالب السير أرثور كونان دويل « أن تستخدم السلطات البريطانية الوسائل المطبقة من قبل معظم الجيوش فى ظروف مشابهة .. وتتضمن هذه الوسائل أخذ رهائن من الأهالى ، ووضـــع عربة كاملة من هذه الرهائن وراء القاطرة مباشرة لمنع الأنصار نهائيا من

مهاجمة القطارات » . ولم يستفد الألمان من هذه الملاحظة . ولعلهم كانوا لا يرغبون بأخذ بعض الأهالى للنزهة داخل قطارات الجنـــود مجانا .. وفكروا باستخدام حراس من الأهالى على السكك الحديدية، بعد أخذ عائلاتهم كرهائن ، ولكن عمليات أخذ الرهائن جعلتهم يستقطبون فى كل يوم عداء عدد جديد من السكان . ثم اتخذوا بعد ذلك تدابير خاصة لتحقيق حيطة تنقلاتهم ، ولم تخل تدابيرهم من المبالغات المفرطة أو من الابداع .

وضع الألمان فى بداية الأمر شاحنات بضاعة فارغة أمام القاطرات ، ولما لاحظ الأنصار ذلك أخذوا يضعون على السكك ألغاما أقل حساسية، ولا تنفجر تحت شاحنات البضاعة الخفيفة ، ولكنها تنفجر حتما تحت تاثير وزن القاطرات .. فحمل الألمان شاحنات البضاعة بالحجارة ، وعندها استخدم الأنصار ألغاما تأخيرية ، فما أن تمر شاحنات البضاعة المدفوعة أمام القاطرة حتى ينفجر اللغم تحت القاطرة نفسها .. ثم بدأ الألمان يرسلون شاحنات الاصـــلاح الصغيرة (طرزنيا) أمام القطار ، حتى تقوم باكتشاف . السكة وتنظيفها من الألغام . عندها قرر الأنصار وضع ألغامهم بعد مرور هذه الشاحنات الصغيرة . وكان هذا عمـــلا خطيرا ، ولكنه أدى الى افساد تدابير الألمان ، وتابعت العصابات عمليات التخـــريب .

ولم يقف الألمان مكتوفى الأيدى ، لسبب بسيط هو أنهم لا يستطيعون ذلك ، فنظموا جهازا جديدا للحماية ، وأعطوا الأفضلية لحماية الطرق الحـــديدية . ووضعوا مراكز حيطة فى جميع المحطات وعلى نقاط التحـــويل والجسور والانفاق ومستودعات الميـــاه ، وعلى النقاط الحساسة من السكك نفسها اذا كانت المسافة بين المراكز متباعدة . وكان على كل مركز أن يتصـــل بالمراكز المجاورة بدوريات اتصـــال مستمرة . كما كان عليه أن يقوم بدوريات استطلاعية تسير على طول الخط الحديدى لتكشف الألغام وتوقف المخربين . وكان عليه أخيرا أن يحمى نفسه من الهجمات المفاجئة . ولقد استخدم الألمان الكلاب البوليسية فى هذه المهمات على نطاق واسع .

ثم فهم الألمان بسرعة أن هـــذه المراكز عاجزة عن تحقيق غرضها اذا لم تسيطر سيطرة تامة على الأرض المتـــدة على طـرفى السكة الحديدية ، فأنشأوا منطقة أمن تمتد على شكل شريط يسير مع السكة الحديدية بعرض ٣٠٠ متر من كل جانب . وقطعوا جميع الأشـجار والشجيرات الموجودة داخل هـــذه المنطقة باستثناء خط رفيع من

الأشجار القائمة قرب الخط الحديدى نفسه . وبهذا الشكل حرم الألمان رجال العصابات من استخدام مواضع رمى قريبة ومحمية ، كما موهوا الحركة على الخط الحديدى باخفائها خلف هذا الجدار الرفيع من الأشجار » .

وكان لعمال السكك الحديدية ، ورجال الاشارة وقطعات الحماية فقط الحق فى السير داخل منطقة الأمن . وكان الألمان يوقفون المدنيين الذين يحاولون اجتياز هذه المناطق ، فان لم يجدوا معهم تصريحا خاصا يخولهم ذلك ، أعدموهم رميا بالرصاص .

ولقد تطلب هذا النظام الخاص بحماية السكك الحديدية استخدام عدد كبير من القطعات ، ولم يكن ذا فاعلية كبيرة ، الا أنه كان الوسيلة الوحيدة الممكنة فى تلك الظروف الصعبة ، وضد عدو يعرف كيف يتلاءم مع مختلف الأوضاع . وكان على قادة القطعات المكلفة بالحماية تأمين الحيطة ، وتخصيص العدد اللازم من الرجال للقيام بهجمات فعالة ضد الأنصار . وكانت تعليمات القيادة تفرض بقاء ثلث الرجال جاهزين لمثل هذه المهمات .

وكانت حماية الطرق مهمة صعبة أيضا . وحاول الألمان أقلال الخطر بمنع الحركة الليلية فى المناطق المشبوهة ، واستخدام نظام القوافل عند الحركة نهارا . وكانت الدوريات الآلية تجوب الطرقات الرئيسية باستمرار ، وأمنت حراسة الجسور والنقاط الهامة الأخرى بمخافر ثابتة قوية .

ولن نذكر بالتفصيل تدابير الحيطة الأخرى التى اتخذها الألمان لحماية المنشآت الهامة المختلفة ، ولكن من الواضح أن هذه الحماية لم تكن كافية لوحدها ، وكان تمركز القوات وثباتها قرب المنشآت والمراكز الحساسة يضعف فاعليتها ويقلل تأثيرها . وكان عليها أن تتصرف بايجابية ، وتقوم بتنفيذ مهمات قتالية ضد الأنصار لابعاد خطرهم . لذا تلقى جميع القادة تعليمات تؤكد ضرورة استخدام عدد محدود جدا من رجالهم فى تدابير الحيطة الثابتة ، والاحتفاظ بالقوات الباقية لمهاجمة العصابات حسب بداهتهم وتقول التعليمات : « تبتعد الوحدات عن مركز الحيطة مسافة تتعلق بتعدادها ، وتسليحها ، وحقل عملها ، ووضع العصابات نفسها » .

وكانت مهمة تأمين حيطة القطعات السائرة أو الواقفة فى أماكن الاقامة من أصعب المهمات . وتقع على عاتق القطعات نفسها .

ولن ندخل هنا فى التفاصيل ، ولكن من المعروف أن على قائد أية وحدة سائرة فى منطقة عمل العصابات أن يستعلم عن وضع هذه العصابات ، ويراجع خارطة خاصة معدة لهذا الفرض . وكانت السلطات المحلية المسؤولة عن العمليات ضد الأنصار تعدل الخرائط يوميا ، مستخدمة فى ذلك المعلومات القادمة من « مراكز جمع المعلومات » التابعة لمصلحة الاستخبارات ، والموجودة قرب كل قائد محلى مكلف بمقاتلة العصابات . وكان كل مركز يتلقى جميع المعلومات التفصيلية المتعلقة بالعصابات العاملة فى منطقته ، ويحاول جاهدا تحديد زمان ومكان مشاهدة عصابة ما ، وقوتها ، وتشكيلها ، وأهدافها ، ونواياها ، واسم رئيسها ومفوضيها السياسيين وقادتها الحاليين ، وعاداتها ، ومعسكرها ، ومراكز اسعافها ، ومستوعات ذخيرتها وأسلحتها ، ونقاط اشارتها ، ثم يرسم خارطة خاصة عن نشاط الأنصار ، تعادل فى دقتها خرائط العمليات التى ترسمها شعبة العمليات فى أركان الجيوش النظامية وتحدد عليها جميع مواقع العدو .

وما أن يقدر قائد الوحدة السائرة الموقف حتى يتخذ التدابير اللازمة لتأمين حيطته المباشرة . وعندما يدخل المناطق المشبوهة يدفع أمامه عددا من الكشافين لاستطلاع كل قرية تصادفهم . وتسير جماعة كشف الألغام على رأس كبد قواته ، وتوزع الأسلحة الثقيلة على طول الرتل ، ويمسك الجنود أسلحتهم الفردية والجماعية جاهزة للرمى فورا . وتقلل المسافات المعهودة بين عناصر رتل المسير . فاذا ما سار الرتل على طريق غير مستطلع مسبقا ، وجب عليه أخذ احتياطات خاصة ضد الألغام . وتوضع أمام الرتل قطعان ماشية أو كاسحات ألغام مصنوعة من جذوع الأشجار ، وهكذا كان القطعات الألمانية تضحى بسرعتها لتأمين حيطتها ، وكانت الظروف السائدة آنذاك تجبرها على ذلك .

أما حيطة أماكن الاقامة والمعسكرات والمخيمات فكانت تؤمن بشكل يذكرنا بمعسكرات الرواد الأمريكيين الأوائل داخل مناطق الهنود الحمر .. اذ كانت القوات الألمانية تتجنب التبعثر ، وتنشىء المخيمات متقاربة من بعضها حتى تأخذ شكلا قنفذيا تحيط به حواجز الأسلاك الشائكة .

وكان الخفراء يتمركزون فى النقاط المشرفة وأبراج الحراسة . ولقد لاحظ الانجليز فى حروبهم ضد السودانيين منذ ٧٠ عاما أن من

الصعب استخدام مخافر أمامية فعالة ضد الأنصار ، ويقول بيرسى كروس ستاندينج فى « قادة حرب العصابات فى العالم » .

« كانت الأشجار تحيط بأسوار معسكرنا المنخفضة التى لم ينته بناؤها بعد . وكانت هذه الأشجار عالية وكثيفة بشكل يمنع خفراءها من الرؤية لمسافة بعيـــدة ، لذا لم يكن لدى الخفـــراء الوقت الكافى للانسحاب وانذارنا بعد مشاهدة العدو ، لأن العـــدو كان يطاردهم بسرعة ويصل الى معسكرنا معهم تقريبا .. وفهمنا أن مراكزنا الأمامية غير مجدية لأن العدو يحقق التماس معنا قبل أن نتخذ التدابير اللازمة لصده ، كما أن المراكز الأمامية كانت تعرقل رمايات كبد القوات لأنها تنسحب داخـــل حقول رميها . ويؤكد الرائد كادويل مؤلف كتـــاب « الحروب الصغيرة » أن استخدام جهاز المخافر الأمامية اللازمة لتأمين الحيطة متعذر فى الحالات المشابهة لمعركة توفريق (١) » .

ولقد وجد الألمان صعوبات مشابهة بلا شك ، ولكنهم وجـــدوا الوسائل الفعالة لتذليلها ، فدمروا معظم الموانع الموجودة حول نقاط الحـــراسة ، وقطعوا الأشجار والشجيرات فى الغابات ضمن منطقة قطرها ٤٠٠ مترا . وأمنوا اتصالا هاتفيا أو لاسلكيا دائما بين الخفراء ومعسكراتهم ، وسمحوا للخفراء باستخدام الاشـــارات المضيئة عند اللزوم . واننا لنتساءل كيف كان الألمان ينعمون بالراحة لحظة واحـدة فى مناطق عمل العصـــابات اذا كان عليهم أن يسيروا نهارا ، ويقوموا بأعمال الحطابين والرعاة ليلا ؟.. ولكننا نتساءل أيضا كيف كان بوسعهم تأمين راحتهم لولا هذه التدابير ؟

وكان عمل جهاز الدفاع والحيطة الألمانى مبنيا على عمل مصـــلحة استخبارات قوية ، وسنهتم بهذه المصلحة قبل كل شىء مع دراســـة التدابير الهجومية التى اتخذها الألمان ضد العصابات .

رأينا فى الفصل الرابع كيف قامت مصلحة استخبارات الأنصـــار بأعمالها لتحقيق مهمتين هما : كشف نوايا العدو ومعرفة كل ما يمكن الحصول عليه من معلومات لنجاح العمليات المقبلة . وسارت مصلحة الاستخبارات المضادة للأنصـــار على المبدأ نفسه . ولقد رأينا سابقا ما هو مركز جمـــع المعلومات ، وسنرى الآن الشق الثانى بعمـــل الاستخبارات ، وهو الاستطلاعات المنفذة قبل وخلال العمليات .

---

(١) بيرسى كروس ستاندينج : قادة حرب العصابات فى العالم / لندن ـ ١٩١٢ صفحة ٢٥٤ . (المؤلفان)

تؤكد التعليمات الألمانية ان على قائد العملية المضادة للأنصار أن يبحث دائما عن المعلومات ، ليكمل المعلومات الموجودة لديه سابقا والتى استقاها من مراكز جمع المعلومات ، وذلك بالقيام باستطلاعات دقيقة حول بعض النقاط التى يود معرفتها بشكل أعمق . وهو يملك لهذه الغاية ثلاث وسائل :

أولا : الرجال الموثوقون : وهذه وسيلة جيدة لأنها أبسط الوسائل وأقلها تعرضا للنقد ، ويلعب الرجال الموثوقون فى العمليات المضادة للأنصار دورا يشبه الدور الذى يلعبه رجال استخبارات الأنصار . ولكنهم عاجزون عن التغلغل مثلهم بسهولة بين الأهالى المدنيين . وهم لا يستطيعون الاقتراب كثيرا من أهدافهم ، لذا تكون معلوماتهم مبنية على أقوال الناس لا على مراقبة شخصية فعالة . ولا يمكن الاعتماد عليهم كمصدر وحيد أكيد لجمع المعلوت اللازمة لعملية هجومية .

ثانيا : الطائرات : استخدم الألمان طائرات الاستطلاع وخاصة الهليكوبتر ، ولكنهم لا ينصحون باستخدام هذه الوسيلة دائما ، لأن ظهور طائرة فى الجو ينذر العدو ويثير انتباهه ، لهذا لم يستخدم الألمان طيرانهم الا لاستطلاع مناطق اعتاد الأنصار رؤية الطيران فوقها مدة طويلة ، أو لاستطلاع عمليات عصابات كبيرة قوية ، لأن من المحتمل أن لا تهرب مثل هذه العصابات مع ظهور الطائرات .

ثالثا : استخدم الألمان وحدات كوماندوس المطاردة فى المهمات الاستطلاعية ، ويمكن الاعتماد على هذه الوحدات للحصول على معلومات مبنية على المراقبة الحقيقية ، ولكنها كانت عاجزة عن الاقتراب من مناطق نشاط العصابات دون أن تلفت أنظار الرصاد . لذا كان استخدامها مقتصرا على المناطق التى تعمل فيها عصابات قوية أو تحتاها بالقوة .

وكان الألمان يكملون المعلومات المستقاة بهذه الوسائل وذلك بالقيام بمعارك استطلاعية تتم خلال جميع مراحل القتال وفى كل قطاع العمليات .

وتحدد التعليمات الألمانية هدف الاستطلاعات خلال العمل بما يلى :

- كشف جميع القوات المعادية المختفية .
- كشف محاولات الانسحاب أو الحزق قبل حدوثها .
- معرفة مواقع العدو ، وأفضل المسالك للوصول اليها .

وتعتبر الاستطلاعات وسيلة عادية من وسائل القتال . وتؤكد التعليمات على ضرورة استخدام فصائل كوماندوس المطاردة فى مثل هذه الأعمال . وتشير الى أن استجواب الأسرى وسيلة من أفضل الوسائل لأخذ المعلومات المطلوبة من العصابات ، ووسائل الارتباط (الاشارة) التي تملكها ... على أن يتم استجواب الأسرى فورا خلال سير المعركة . وسنرى فيما بعد كيف كانت احدى الفرق الألمانية تقوم باستجواب الأسرى مستخدمة وسائلها القاسية الخاصة . ولكننا نريد أن نثبت هنا عدم صحة الفكرة التى حاول الجنرال يودل وبعض القادة الألمان نشرها بيننا ، والتى كانت تهدف الى اقناع الرأى العام بأن تعليمات القيادة الألمانية العليا شاركت فى اضفاء مسحة انسانية على عمليات الصراع ضد العصابات . تقول الفقرة ١٦٣ من هذه التعليمات « يعامل رجال الأنصار الذين يستسلمون أثناء القتال ، معاملة أسرى الحرب ، سواء أكانوا باللباس العسكرى أو المدنى . وتطبق المعاملة ذاتها على الأشخاص الذين يتم توقيفهم قرب مكان المعركة ، ويعتقد بأنهم قدموا مساعدة للأنصار حتى ولو لم نستطع اثبات اشتراكهم فى العمليات » .

ولنقارن هذا القول مع الفقرة ٧٠ من التعليمات نفسها والتى تقول : « استجواب الأسرى مصدر من أفضل مصادر المعلومات ، لذا ينبغى عدم قتل أى أسير مباشرة بعد أسره » .

والسبب فى وجود هذا الاختلاف والتناقض داخل التعليمات الألمانية ناجم عن خضوع العمليات المضادة للأنصار الى سلطتين هما : الجيش وقيادة وحدات (S.S.) . وكان الجيش ميالا للرأفة والمعاملة النظامية المعقولة ، على حين كان هملر ميالا الى العنف والقسوة . فجاءت التعليمات ملائمة لكلا الطرفين .

ويعتبر التطويق الفكرة الألمانية الرئيسية فى العمليات ضد العصابات . وهذه وسيلة قديمة معروفة لمثل هذه العمليات . ففى خلال الثورة الفرنسية قاتل الأنصار فى بريتانيا والفاندى ضد الجيش الجمهورى . فكلفت الجمهورية الجنرال هوش مهمة اعادة السلام الى البلاد . وكان هوش معلما فذا فى تحسين نظام التجسس المستخدم آنذاك ، فأضاف الى شهرته فى هذا الصدد شهرة جديدة بأن استخدم ضد مناطق الأنصار (كما يقول تير) « أسلوبا كريما » يضعف هذه المناطق دون اجتياحها ، وذلك بنزع سلاحها ، ومصادرة جزء من

مصادر ثروتها لتأمين تموين الجيش الجمهورى . واستخدم فى بادىء الأمر نظام المعسكر المتخندق المؤلف من نقاط استناد ممتدة على طول منحنى يستند على نهرى السيفر واللوار ، بغية تطويق البلاد بشكل متدرج . « ووضع فى هذه النقاط مفارز قوية تربطها ببعضها دوريات تسد كل فراغ يمكن أن تتسلل منه جماعات العدو الصغيرة . وكان على هذه المراكز أن تحتل القرى والدساكر وتنزع سلاحها ، لذا كان الجنود يستولون على المواشى الموجودة خارج القرى ، ويصادرون أكداس القمح فى المخازن ، ويوقفون كبار الشخصيات ، ولا يطلقون سراح الرهائن ويرجعون المواشى والقمح الا اذا سلم الفلاحون أسلحتهم » (١) .

الا أن الألمان نفذوا أسلوب التطويق لأغراض مختلفة عن أغراض الجنرال هوش . وكان التطويق خير وسيلة لديهم لابادة العصابات التى تشتبك معهم . وتشير التعليمات الألمانية الى أن هذه الوسيلة بحاجة لقوات كبيرة ، ولكنها تحقق نجاحا حاسما . فاذا تعذر وجود الوقت أو القوات اللازمة للتطويق ، أو اذا كانت الأرض غير ملائمة لهذا العمل ، يتم تدمير العصابات بهجوم مفاجىء تليه مطاردة عنيفة ، مع استخدام قوات كوماندوس الصدمة اللازمة لتفتيت العصابات وقطع كل ارتباط بينها .

وقبل أن نبدأ فى وصف هذه الأساليب المختلفة لابد لنا من أن نذكر جملة قالها كوفباك : « ان المعركة الدفاعية التى يفرضها العدو هى أصعب العمليات بالنسبة للأنصار ولقد حصل العدو على أكبر انتصاراته عندما استطاع استخدام الحركة بحرية » ومن هنا نستنتج أن أفضل أسلوب لمقاتلة العصابات والانتصار عليها هو الأسلوب الذى يحرمها من حرية العمل ، ويجبرها على الوقوف موقف الدفاع .

ولهذا السبب تبذل القطعات المضادة للأنصار كل جهدها للمحافظة على المبادهة . وعندما لا يستطيع القائد المضاد للأنصار جمع قوات كافية للتطويق ، فانه يحاول القيام بهجوم مفاجىء حتى لا يبقى سلبيا بلا حركة . وعلى أية وحدة من الوحدات المضادة للأنصار تتعرض لهجوم العدو أن تنتقل بسرعة من الدفاع الى الهجوم المعاكس .

---

(١) تيير : القنصلية والامبراطورية . ذكرها پيرسى كروس ستاندينج فى مرجعه المذكور سابقا ص ٣١ . (المؤلفان)

ويجب أن يتم الهجوم ضد الأنصار بشكل مفاجىء مع استخدام أصعب الظروف (أحوال جوية سيئة ، منطقة وعرة ، طرقات قليلة ... الخ) لتحقيق أكبر مفاجأة . والسرية شرط ضرورى لا غنى عنه ، وخاصة خلال مراحل التحضير . لهذا تشير التعليمات الألمانية الى ضرورة اعطاء أوامر الهجوم الى أقل عدد ممكن من الأشخاص ، وتحاشى المحادثات الهاتفية ، والاستعاضة عنها ببرقيات مشفرة ، وأعلام الوحدات المشتركة قبل العمل مباشرة . ولا يجب الوصول الى مناطق التجمع قبل الليل أو حلول الظلام ، ولا يتم احتلال مواضع القتال قبل وصول كبد القوات . وعلى القوات أن تتعلم الحركة بدون جلبة ، واستخدام التمويه بكل مهارة . ويقول « دليل الأنصار » ان على العصابات أن تتظاهر بالهجوم نحو الشرق عندما تود الهجوم باتجاه الغرب . أما التعليمات الألمانية فتقول : يتم الاقتراب بشكل يجعل العدو عاجزا عن فهم وتقدير نوايا خصمه . وتزداد حدة المفاجأة مع ازدياد آلية القطعات القائمة بالتطويق وقدرتها على الحركة .

ويتطلب التطويق دائما مساحة واسعة . ولا يجب أن نتجاهل صعوبات التنفيذ فى مثل هذه العملية . ويشرح الرائد روبنسون فى « أفكار قائد سرية فى الملايو » خبرته بشكل حى قائلا (١) :

« هناك حقيقة أكيدة هى أن العمليات التى تتم على مستوى السرية أنجح من غيرها بكثير . ولقد علمتنى التجارب أنه كلما ازداد حجم العملية وتعقدت تحضيراتها قل احتمال نجاحها ، نظرا لصعوبة مراقبة سير القطعات الكبيرة داخل الأدغال التى لا تحددها الخرائط بدقة ، ولأن ضخامة التحضيرات يؤدى الى تسرب المعلومات الى رجال العصابات قبل الساعة « س » ، فينسحبوا من المناطق المعرضة للهجوم وينصبون الكمائن على الطرقات قبل أن تبدأ قواتنا بالمسير نحو أهدافها » .

فكيف تصرف الألمان حيال هذه المعضلة ؟ . لقد كانوا يؤمنون بأن التطويق ممكن دائما اذا توفرت القوات اللازمة لتنفيذه . ولتحقيق ذلك كانوا يقللون مساحة الأرض المطوقة ، ولا يهاجمون سوى مناطق

---

(١) مجلة The army Quarterly الجزء ٦١ العدد ١ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٠ صفحة ٨٠ . (المؤلفان)

وجود العصابات ، ويهملون المناطق المشبوهة التى لم يتأكدوا من وجود عدد كبير من الأنصار فيها . فاذا كانت مناطق العصابات نفسها كبيرة هاجموا أهم أجزائها فقط .

وكانوا يجمعون قواتهم بعيداً عن مركز المنطقة المحددة ، ثم تتحرك القوات من مناطق تجمعها لتصل الى خط التطويق بآن واحد ، بغية تطويق العصابات بسرعة وبشكل مضمون . وكانوا يضربون طوقا قويا محصنا ويعتبرون الأطواق العادية البسيطة غير كافية .

ويرى الألمان أن المرحلة الحرجة فى بداية كل عمليـــة هى الوقت الفاصل بين الساعة « س » وســـاعة التوقف . أى منذ أن تبدأ القطعات حركتها نحو خط التطويق حتى لحظة وصولها الى هـــذا الخط . وحتى لا تقوم العصابات بخرق هذا الخط قبل وصول كبد القوات وضع الألمان أسلحة ثقيلة ، على رأس الرتل خلال سيره لتصل الى خط التطويق مع الطلائع . أما فى المناطق الجرداء فكانوا ينشئون مراكز دعم ، ويستخدمون الهاون وأسلحة المشاة الخفيفة لتغطية مناطق الأرض التى لا تشغلها القطعات رغم أهميتها ، ويضـــعون الطرق والمسالك المؤدية الى خط التطويق تحت رحمة نيران المدافع المضادة للمدرعات ، ويحتفظون بعد ذلك بقوات متحركة احتياطية خلف مواقعهم .

وكانوا يصدون بعض محاولات العدو الرامية الى خرق التطويق بتركيز نيران كثيفة عليه ، فاذا ما استطاعت بعض الجماعات التسرب خارج الطوق ، بقيت قطعات التطويق ثابتة فى مكانها لاغلاق الثغرة المفتـــوحة ، على أن تتم مطاردة الجماعات المتسربة بواسطة القوات الاحتياطية ... وكان النجاح فى مثل هذه العمليات الواسعة متعلقا بمهارة القائد وقدرته فى السيطرة على وحداته المتباعدة . ويرى الألمان أن من الممكن استخدام الأساليب الثلاثة التالية بنجاح :

ـ اعداد شبكة مواصـلات سلكية ولاسلكية مسبقا لتأمين نقـل المعلومات والأوامر بسرعة . على أن تدعم هذه الشبكة بمراسلين من الخيالة أو راكبى الدراجات النارية .

ـ تسهيل حركة القائد باستخدام الهليكوبتر الأمر الذى يجعله قادرا على التدخل شخصيا فى النقاط الحاسمة .

ـ اعطاء أهداف متقاربة للوحدات ، مع اعلامها عن المخطط العام لتعمل بعد ذلك حسب بداهتها وبحرية نسبية .

وتبدو قواعد عمل الوحدات المضادة للعصابات وكأنها مستوحاة من أساليب رومل فى القيادة والمبنية على الحركة ، والبداهة ، والاتصال ، وحرية العمل ، والتى كان يطبقها من « دبابة القيادة » .

ولابادة العصابات المطوقة ، استخدم الألمان أربعة أساليب وهى :

- الخنق .
- التمشيط .
- التفتيت وتدمير الجيوب .
- الانقضاض بوحدات الصدمة .

وسنشرح جميع هذه الأساليب والفنون القتالية بكل تفصيل فى آخر هذا الكتاب .

والأسلوب الثانى للقتال ضد العصابات (الهجوم المفاجىء والمطاردة) أكثر بساطة من التطويق . ويتطلب عادة قوة أقل وتحضيرات أسرع . ويعتمد هذا الأسلوب على مفاجأة العدو ، واجباره على القتال ، وخرق مواقعه بهجوم سريع ، ثم مطاردة بقاياه المبعثرة وتدميرها . ويتعلق نجاح هذا الأسلوب على المفاجأة ، وتستند المفاجأة الى استطلاع مسبق ، وسيجد القارىء فى الملحق شرحا وافيا للتفاصيل الفنية المتعلقة بذلك .

أما الأسلوب الثالث فهو استخدام وحدات كوماندوس المطاردة . ونحن نعلم أن المارشال بوجو طبق أسلوبا مشابها فى عملياته ضد انصار عبد القادر الجزائرى فى الجزائر « اذ نظم قواته بارتال صغيرة متماسكة مؤلفة من كتائب المشاة ، وفصيلتين من الخيالة ، ومدفعين جبليين ، ومفرزة نقل صغيرة تستخدم البغال والجمال . وكانت السرعة أهم ميزات أرتاله ، لذا استخدم فى هذه الأرتال قطعات مختارة معتادة على قسوة الطقس وتحمل التعب . واستفاد من هذه السرعة لتحقيق عملياته الناجحة » (١) .

وكانت هذه الأرتال أول وحدات كوماندوس المطاردة فى تاريخ حرب العصابات .... ثم جاءت التنظيمات الألمانية وكانت بلا شك

---

(١) بيرسى كروس ستاندينج المرجع المذكور آنفا صفحة ١١٤ وما يليها .
(المؤلفان)

مختلفة عن تنظيمات بوجو ، ولكنها كانت تشابهها فى نقاط متعددة ، فهى مؤلفة من مقاتلين مدربين ، ويعملون داخل مفارز صغيرة من مختلف صنوف الأسلحة ، يعتمد عملها على السرعة والمفاجأة ، وأسلوبها فى القتال مماثل لأسلوب العصابات تقريبا . ولم يكن تعداد هذه المفارز يتجاوز الفصيلة أو السرية ، ولكنها استطاعت مع ذلك تقديم خدمات كبيرة ، وكانت أفضل أسلحة الألمان فى القتال ضد العصابات .

ولقد ذكرنا فى الفصل السادس التعليمات الخاصة بتشكيل وحدات كوماندوس المطاردة ، ويمكن الاطلاع على جميع التفاصيل المتعلقة بها فى الملحق . وسنشرح الآن مسالتين هامتين هما : أسلحة دعم القوات المضادة للأنصار وعتاد هذه القوات .

لم يستخدم الألمان الطيران فى عملياتهم ضد الأنصار الا بشكل محدود . وكانوا يعتبرون ظهور طائرة فوق منطقة لم تألف تحليق الطائرات انذارا للعصابات يؤدى الى فرارها وضياع فرصة النجاح . وهم يعللون بذلك سبب عدم تقديم الدعم الجوى الكامل للعمليات ضد العصابات ... ولكننا نعرف أنه منذ ١٩٤٤ أصبح الطيران الألمانى عاجزا عن تنفيذ المهمات العديدة الملقاة على عاتقه ، ولا شك أن أركان العمليات الجوية أبدت للقيادة العليا عجزها عن دعم العمليات المضادة للأنصار ، الأمر الذى أثر على التعليمات التى أصدرتها هذه القيادة للقتال ضد الأنصار . وتؤكد التجربة البريطانية الفكرة الألمانية ، فلقد استخدم الانجليز فى ماليزيا « الدعم الجوى على نطاق واسع ، ولكن نتائجه كانت قليلة ... وكان الطيران الملكى يكشف الأهداف الصغيرة فى الأدغال ويضربها ، الا أن الأنصار كانوا يخلون المناطق المعلمة عند سماعهم صوت الطائرات ، فيفقد الهجوم الجوى بذلك فاعليته ... ان على القوات البرية تطويق الهدف قبل قصفه ، وأن تنتظر بعد ذلك سقوط العصفور المذعور فى شبكاتها ... ولكن وصول القوات البرية ، الى مواضع قريبة من الهدف ينذر العدو ويدفعه الى اخلاء المنطقة قبل أن تنطلق الطائرات من قواعدها » (١) .

ويمكن أن نستنتج من ذلك ، أن الدعم الجوى يؤدى الى فائدة مرضية اذا حوصرت منطقة الأهداف بطوق قوى فى الوقت الملائم . ولقد فعل الألمان ذلك ، ولكننا لم نجد وثيقة ألمانية تشرح استخدام الطيران ضد العصابات . الا أننا نعتقد أن الدعم الجوى ممكن وضرورى

---

(١) الرائد روبنسون : « افكار قائد سرية فى الملايو » المذكور سابقا صفحة ٨٤ . (المؤلفان)

منذ أن تتمركز قطعات التطويق فى مكانها على خط التطويق المحدد .
كل هذا يدفعنا الى أن نقول : أن للدعم الجوى فى العمليات المضادة للأنصار قيمة تعادل قيمته فى بقية العمليات الحربية البرية ... ولكن اذا لم يكن التطويق كاملا فان من الواجب استخدام الطيران بحذر ، وبشكل محدود وخاصة فى عمليات الاستطلاع .

ومهمات الطيران فى دعم القوات المضادة للأنصار متعددة كثيرة . فالطيران قادر على القيام باستطلاعات لمعرفة معسكرات العصابات ، وحركاتها ، ونقاط استنادها . ويمكن أن يتدخل الطيران ضد عمليات النقل الجوى الرامية الى تموين الأنصار ، وذلك بضرب طائرات النقل ، وكشف مناطق اسقاط التموين بالمظلات ، ومناطق الهبوط الخفية .. الخ . وعندما يكتشف الطيران اشارات التعارف بين الأنصار وطائرات النقل يعطى هذه الاشارات الى القوات البرية التى تستخدمها لخدع طائرات العدو . ويمكن للطيران أن يقصف نقاط الاستناد بالقنابل أو يهاجم عصابات الأنصار بنيران الرشاشات ... واذا ما تعرضت القطعات المضادة للأنصار الى صعوبات تموينية ، يقوم الطيران بتزويدها بالمؤن والأعتدة والأسلحة والذخائر اللازمة عن طريق اسقاطها بالمظلات . كما يمكنه تقديم الدعم للقطعات المشتبكة بحمل النجدات واسقاطها بالمظلات ، أو انزالها بواسطة الطائرات الشراعية (١).

---

(١) يستخدم الأمريكيون اليوم طائرات الهليكوبتر فى القتال ضد قوات الثوار الفيتناميين ، وهم يعطونها مهمات متعددة منها الاستطلاع ، ونقل القادة ، وحمل الرجال والعتاد والذخائر والمؤن الى القوات المحاصرة أو المشتبكة فى مناطق يصعب الوصول اليها بالسيارات . كما يستفيدون من سرعتها فى عمليات المطاردة للمحافظة على التماس مع قوات الثوار المنسحبة . ولقد أسقط الثوار الفيتناميون عددا كبيرا من هذه الطائرات بالأسلحة الثقيلة أو برمايات الأسلحة الفردية ، ثم وجدوا أن خير وسيلة للخلاص من هذه الطائرات هو تدميرها فى المطارات ، وعلى أراضى الهبوط الميدانية ، فقاموا بقصف المطارات بقنابل الهاون ، ثم انتقلوا الى أسلوب مهاجمة المطارات بالفدائيين وتدمير الطائرات بالقنابل والمتفجرات ، وكبدوا العدو خسائر فادحة ... ويحاول الاسرائيليون تقليد الأمريكيين فى استخدام الهليكوبتر . ولكن درس فيتنام واضح أمام قوات الفدائيين العرب ، وهو صالح تماما للتطبيق على أرض فلسطين المغتصبة (علما بأن هنالك امورا كثيرة أخرى يطبقها الفيتناميون ويتعذر على الفدائيين العرب تطبيقها نظرا لاختلاف ظروف المعركة) . ان على الفدائيين العرب استخدام الليل والتمويه والشروط الجوية السيئة التى تحقق لهم مفاجأة الخصم كما تؤمن لهم الخلاص من خطر الهليكوبتر ، فاذا ما اضطروا للعمل نهارا وفاجأتهم طائرات الهليكوبتر فما عليهم الا أن يدعوها تنخفض ويسلطوا عليها عندئذ نيران =

بالاضافة الى تزويد القادة بطائرات هليكوبتر تساعدهم على الانتقال السريع . ومن المهم فى كل هذه الحالات تأمين اتصال دائم بين الأرض والجو طوال فترة العمل .

وتقول التعليمات الألمانية أن من الممكن استخدام عربات الاستطلاع المدرعة . والدبابات القديمة ، وكل النماذج القديمة من المدرعات فى القتال ضد الأنصار للاستفادة من قوة هذه الأسلحة النارية ، ومن تأثيرها المعنوى الكبير على رجال العصابات . ولكن استخدام هذه المعدات صعب جدا ومستحيل أحيانا فى مناطق المستنقعات والأدغال والجبال .

واستخدم الألمان القطارات المدرعة على نطاق واسع بغية :

— التوغل فى مناطق عمل العصابات .

— دعم القوات المضادة للأنصار بنيران مدفعيتها .

— الاشتراك فى العمليات المضادة للأنصار بفضل عتادها المتحرك (مصفحات استطلاع ، دبابات ، هاونات ، ... الخ محمولة على القطارات) .

— قطع طريق انسحاب العصابات .

— وفى حالات خاصة يمكن استخدامها كمراكز قيادة للقطعات المضادة للأنصار .

ويمكن أن تتلقى هذه القطارات المهمات التالية :

= أسلحة المشاه الكثيفة . ولكن هذه تدابير تكتيكية تتم على حقل المعركة ، والتدبير الاستراتيجى الأمثل هو :

أولا — (فى المرحلة الأولى من حرب العصابات) مهاجمة قواعد الهليكوبتر الاسرائيلية باستمرار بنيران الهاون مع استخدام القذائف المحرقة والمتفجرة ، واغتيال الطيارين والميكانيكيين .

ثانيا — (فى المرحلة الثانية والثالثة من حرب العصابات) الانتقال الى شن هجمات فدائية على المطارات لتدمير الطائرات الجاثمة على الأرض ... ومهما دفع الفدائيون فى هذه العمليات من خسائر بالأرواح — نظرا للحماية المحيطة بالمطارات — فخسارتهم أقل بكثير من الخسائر التى قد يتكبدونها فى اشتباكات مع عدو تدعمه طائرات الهليكوبتر ... وهى خسائر قليلة نسبيا بالنسبة لخسائر الاسرائيليين ، لأن اسرائيل تستورد الطائرات ، وهى رغم دعم الامبرياليين لها عاجزة عن تعويض طائرات الهليكوبتر التى تخسرها بسرعة .

(المؤلفان)

— تموين الأشخاص المكلفين بأمن الخطوط الحديدية .

— حماية المحطات والجسور الخ ... المعرضة للتهديد .

— حماية قوافل السكك الحديدية .

ويبدو أن الألمان فكروا باستخدام هذه القطارات بنفس طريقتهم لاستخدام وحدات كوماندوس المطاردة ولكننا لم نجد أية وثيقة ألمانية فى هذا الصدد .

ويتعرض انتشار واستخدام الوحدات الآلية الى نفس الصعوبات التى يلاقيها استخدام الدبابات ، وعلى القطعات القيام باستطلاع دقيق قبل أى عمل ، فان وجدت الأرض صالحة لاستخدام الآليات دفعتها لمطاردة العصابات وقطع الطريق أمام انسحابها على أن يكمل عملها باستخدام المشاة والوحدات الراكبة ، التى تستخدم العربات الخفيفة أو الزحافات أو الخيول .

وهكذا نصل الى الموضوع الأخير فى هذا الفصل ، وهو عتاد الوحدات المضادة للأنصار . وتشير التعليمات الألمانية الى أن على هذه الوحدات أن تحقق تفوقا ناريا دائما على العصابات . لذا يهتم قادة الأسلحة الثقيلة بدعم تقدم القطعات المشتبكة مع الأنصار . وتزود هذه القطعات بالأسلحة التى تلائم مهمتها ، ويفضل استخدام الأسلحة القادرة على العمل بسرعة كبيرة كالمسدس الآلى ، والمسدس الرشاش ، والبندقية الآلية ، والبندقية المزودة بمنظار ، والرشاش الخفيف أو الثقيل ، والمدافع الثقيلة أو الخفيفة المضادة للدبابات ، والمدافع الخفيفة المضادة للطائرات ، وقاذفات اللهب الخفيفة ... ولا تستخدم الأسلحة الثقيلة عادة الا فى التطويق ولسد بعض أجزاء مشبوهة من الأرض ، ذلك لأن نقل الذخيرة الى مكان الاشتباكات عملية صعبة . وكانت القوات الألمانية تزود قبل الانطلاق بكمية كافية من الذخائر والمتفجرات .

ولقد استمع الالمان الى صوت العقل عندما كتبوا فى تعليماتهم :

« أن لموقف الأهالى أهمية كبرى فى القتال ضد الأنصار ، إذ لا تستطيع العصابات العيش طويلا وسط شعب يحافظ على علاقات طيبة معنا ... ان على السلطات الادارية أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار ، وأن تحاول اجتذاب الأهالى الى صفوفنا وذلك بمعاملتهم

بكل عــدل ، وتوعيتهم بشكل ملائم ، وادارتهم حسب مخطط معـد مسبقا » .

« والهدف من كل هذا دفع الفلاحين لمقاومة الأنصار ، والدفاع عن ممتلكاتهم بأنفسهم . ويمكن تسليحهم لهذا الغرض بمعرفتنـا ، وتقديم المعونة الفنية لهم بعد الوثوق بهم ، والتأكد من امكانية الاعتماد عليهم ... » .

ان هذا القول وجهة نظر معقولة مبنية على رأى ســديد ، ولكن العودة الى الصواب تتم عادة بعد فوات الأوان .

الفصل التاسع

فشل العمليات الألمانية المضادة للأنصار

« ولما انتهى كل شيء ، جاء وقت الحساب
انها لحظة أليمة ، تختفى فيها الابتسامات »

لم يكن الأنصار السوفييت يعرفون قول « جى » المذكور . ولكن معناه كان محفورا بعمق فى أذهان هؤلاء المقاتلين ، ويؤكد لنا كوفباك (١) ذلك بقوله :

« وقبل أن نترك غابة سباد شتشانسكى ، دفن رجال بوتيفى ثلاثة من رفاقهم ايلين وشليادين وفوروبيوف .

... لقد تركنا هؤلاء الرفاق منذ زمن بعيد ، ولكننى لا زلت أذكرهم ، فهم أول من سقط من شبابنا الشجعان ... واختارت الجماعة مكانا قرب الملاجىء لحفر قبورهم ، فهناك دغلة صغيرة تستر هذه القبور ، وتمنع الألمان من اكتشافها ونبشها ... كانت الأرض متجمدة ، وكنا نحفر بصعوبة ، ولكننا عملنا مع ذلك بسرعة ، فقد كان علينا أن نترك مواقعنا ليلا ، ونتسلل بشكل خفى بين القرى التى انسحب العدو اليها بعد المعركة ليستريح ويعد نفسه لهجوم جديد مع طلوع الفجر .

« كان رجالنا السبعون يقفون قرب الحفر بصمت ، والى جانبهم أكداس عتادهم وسلاحهم وأكياسهم وقنابلهم اليدوية ... وكانت وسائل نقلنا الوحيدة حصانان مشدودان الى عربة تقف على مقربة منا .

« وكان الظلام حالكا ، والصمت يخيم على الجميع ، وفجأة شق سكون الليل صوت مبحوح : « يا رفاق ! لنقسم جميعا » ولم نكن نستطيع رؤية المتكلم ، ولكننا عرفنا رودنييف من صوته .

---

(١) المرجع المذكور سابقا صفحة ٣٦ ــ ٣٧ . (المؤلفان)

« واقتربنا من القبور الصامتة بخطوات وئيدة وتلاحمت صفوفنا على شكل حلقة صغيرة ، وعبر رجالنا عن الأحاسيس المتصـــارعة فى أعماقهم فى تلك اللحظة بالقسم الذى رددوه وراء المفوض السياسى . لقد تركوا العنان لغضبهم وللحقد الذى حفرته فى طيات نفوسهم ضد الألمان المعتدين ذكريات رفاقهم القتلى ، وأسرهم التى بقيت فى القرية بلا معيل ، وبيوتهم التى هجروها ذات ليلة ... وأقسمنا أن ننتقم لكل ذلك » .

ويذكر الجنرال كوفباك التأثير الذى أصاب الأنصار بعد أن شاهدوا عمليات القسوة والتعذيب التى تعرض لهـــا المدنيون رجالا ونســـاء وأطفـــالا .

« وكانت الفتيات المنضمات الى العصابة ، يعرفن سفالة الهتلريين ونذالتهم . ولكن الفظائع التى رأينها بعد ذلك فى نوفايا سلابودا وأنهار الدم التى سالت فى هذه المدينة البائسة جعلتهن مذهولات ... وكنا نعامل الفتيات حتى ذلك الوقت معاملة خاصة ، ولم نكن نشركهن معنا فى العمليات الخطرة . ولكن مجزرة نوفايا ســـلابودا أثارت حقدهن بشكل جعلنا عاجزين عن منعهن من الاندفاع الى القتال ... وهكذا انقلب رجال ونساء مسالمون الى أعاصير هائجة ، تريد الانتقام لآلام الشعب » (١) .

وتشرح هاتان الصورتان الوضـــع المعنوى لحركات الأنصـــــار الروس ، تلك الحالة التى أذكى حـــدتها جنون الألمـــان وتصرفاتهم الحمقاء . وليست أخبار تدمير القرى الروسية وابادة سكانها ضربا من الخيال ، فكثير من التقـــارير الألمانية تذكرها بصراحة تامة . ومن أمثلة هذه التقارير مثالان : أولهما : تقرير يصف هجوم فرقة من جيش البانزر للانتقام من قرية بافسوكى التى لم يكن الأنصار يدافعون عنها ، وقصفها بقنابل المدفعية المضـــادة للدبابات ، ومداهمتها من جانبين ، وينتهى التقرير قائلا : « ثم تم اعدام السكان المدنيين رميا بالرصاص ، ودمرت القرية عن بكرة أبيها بأن أشعلت فيها النار » .

اما المثال الثانى فنجده فى تقرير آخر « كوروسك ٥٨٠ » .

« فى ١٦ اكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٢ ، قامت قواتنا بتوقيف أعداد

---

(١) كوفباك المرجع المذكور سابقا صفحة ٧٠ — ٧١ . (المؤلفان)

كبيرة من المشبوهين واعدامهم فى القرى المجاورة لويرينينو ، وأحرقت ويرينينو وعدة قرى أخرى ، كما قتل فى عمليات التطهير عدد كبير من المدنيين المشبوهين » .

ان هذا الكتاب لا يهدف الى شرح أسباب هزيمة الألمان فى روسيا ، ولكننا نجد أنفسنا مضطرين الى ذكر سبب هجوم الألمان على الأراضى الروسية ، لأن معرفة الأسباب التى دفعتهم الى العدوان تفسر لنا الأخطاء النفسية التى ارتكبوها ضد السكان المدنيين .

بعد سقوط فرنسا عام ١٩٤٠ كان على هتلر أن يختار ضحيته الجديدة ولم تكن هذه الضحية سوى بريطانيا ، وقام الألمان باعدادات كبيرة لغزو الجزر البريطانية ، ثم توقف العمل فجأة ... وغدت روسيا هدف القوات الألمانية المقبل .

اننا لا نعرف السبب الحقيقى الذى دفع هتلر الى اتخاذ قراره بمهاجمة روسيا ، ولقد فسر البعض ذلك بأن روسيا هى آخر حلفاء بريطانيا الأوربيين . وما دامت بريطانيا جزيرة صعبة المنال ، فان اخضاع روسيا يجبر بريطانيا على طلب الصلح . ولا شك ان هتلر كان مدفوعا بمثل هذا السبب ، وتؤكد الوثائق الألمانية صحة ذلك . ولكن هذا التفسير يبقى احتمالا غير مؤكد . لقد كان هتلر قادرا على مجابهة انجلترا ، فلم استدار نحو روسيا مع انها كانت عازفة عن الدخول فى حرب ضده دفاعا عن انجلترا ؟؟

لقد آمن هتلر بأن عليه مهاجمة روسيا واحتلالها عاجلا أم آجلا . فاوربا أصغر من أن تستوعب النازية والشيوعية معا . وكان النظام الجديد الذى يريد هتلر فرضه على أوربا يتطلب ابادة السوفييت ... وليست هذه الفكرة تخمينا ، لقد شرحها هتلر جيدا فى كتابه «كفاحى» وفى مئات الخطب النازية ... ولكنه لم يختر روسيا بمحض ارادته بل اضطر الى هذا الاختيار تحت ضغط أسباب اقتصادية . ولو كانت انجلترا غنية بالبترول والمواد الغذائية لهاجمها هتلر قبل روسيا . انه لم يتوجه نحو روسيا الا لأنه كان يعرف ان فيها المواد الأولية والمواد الغذائية اللازمة لمتابعة الحرب .

وكان جورنج فى هذه الفترة الدكتاتور الاقتصادى للرايخ الثالث . ولقد ترأس فى نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٠ اجتماعا هاما حضره الأمين العام كويرنر مساعده للشئون الاقتصادية ، والذى كان مخلصا له

اخلاصا أعمى دفعه الى ارتكاب أعمال كانت سببا فى وضع اسمه مع أسماء مجرمى الحرب . وحضر هذا الاجتماع أيضا الجنرال فون هانكن رئيس قطاع الحديد والصلب وهو رجل دمث الطباع ، جميل الطلعة ، ذلق اللسان ، حوكم فيما بعد فى نورمبورغ بتهمة ارتكاب بعض الجرائم فى الدانمارك ثم استأنف الحكم وبرأته المحكمة ، والجنرال توماس رئيس مكتب اقتصاد الحرب ، والذى انقلب فيما بعد ضد هتلر وغدا عضوا فى الجمعية السرية المناهضة لحكمه ، ونيومان الأمين العام المكلف بادارة مشروع الأربع سنوات ، وباك الأمين العام لوزارة الزراعة والتموين .

وعندما مات الجنرال توماس بعد الحرب وجدت بين أوراقه مجموعة هامة من الوثائق الخاصة باقتصاد الحرب فى ألمانيا . وتقول بعض مذكراته ان مارشال الرايخ جورنج شرح للحاضرين فى هذا الاجتماع مشروع الهجوم نحو الشرق ، ولم يحدد لهم تاريخ بدء العمليات ولكنه اكتفى بتحديد مهمة اللجنة بدقة . وكان عليها اعداد وتنفيذ برنامج اقتصادى « واسع » .

وبدأت اللجنة بالعمل فورا منطلقة من مجموعة وثائق دقيقة متعلقة بكافة القطاعات الاقتصادية الروسية ، ثم بدأت تبحث بحثا دقيقا عن مصادر المواد الأولية الروسية ، ووضعت اطار التنظيم الجديد المقبل اللازم لادارة ومصادرة المواد الأولية فى روسيا .

وفى نهاية ابريل (نيسان) ١٩٤١ انتهى عمل اللجنة تقريبا ، فاجتمعت من جديد فى ١ مايو (مايس) ١٩٤١ قبل بدء العدوان على روسيا بسبعة أسابيع . وبدأت بمناقشة الأفكار للاتفاق نهائيا على الاستنتاجات النهائية اللازمة للعمل . ووضعت مذكرة صغيرة توجز جميع الاستنتاجات ، وتحدد بجمل قصيرة سير الأحداث العالمية بعد ذلك .

وتؤكد المذكرة « ان استمرار القتال متعذر فى العام الثالث للحرب اذا لم تأخذ القوات الألمانية موادها الغذائية من روسيا ... فاذا ما أخذت كل ما هى بحاجة اليه حكمت على عشرة ملايين شخص (روسى) بالموت جوعا .. وهذا أمر مؤكد لا شك فيه !!! » .

وتكشف هذه المذكرة حقيقة الأمور : فلكى تدور آلة الحرب الألمانية كان على هتلر أن يهاجم روسيا ، ولم يكن يفكر بالتسامح مع الأهالى

المدنيين ، لأنه حكم عليهم مسبقا بالموت جوعا . ولم يكن القادة الألمان قادرين على الاهتمام بمشاعر الروس الموالين لهم حتى ولو توفرت عندهم الرغبة بذلك .

ولم يكن الألمان بحاجة للمواد الغذائية فحسب ، بل كانوا بحاجة لموارد اقتصادية صناعية . وتؤكد التحقيقات التى قام بها أحد مؤلفى هذا الكتاب عن اقتصاد الحرب ، ان الصناعة الألمانية لم تكن كافية لسد حاجات حرب عالمية تمتد حتى عام ١٩٤٢ أو ١٩٤٣ على أبعد تقدير ، لذا كان من الطبيعى أن يحس الألمان فى عام ١٩٤١ بحاجتهم الملحة لبعض المواد الاستراتيجية المتوفرة فى الاتحاد السوفييتى . ولقد وضع مخططو اقتصاد الحرب الألمانى تسلسل أفضليات لاستثمار المواد الأولية السوفييتية . وكان البترول يمثل مكان الصدارة فى لائحتهم ، ويليه الفحم الحجرى والحديد والفولاذ (الصلب) وأخشاب البناء ، علاوة على كميات كبيرة من المواد الغذائية لاطعام سكان الرايخ الثالث . ولقد شرح كويرنر هدف « العمليات الاقتصادية » فى البلاد السوفييتية بقوله : « ان على الادارة الاقتصادية فى المناطق المحتلة حديثا أن تعمل جاهدة للحصول على أكبر كمية من المنتجات المطلوبة للجهد الحربى .. مع تجاهل جميع الاعتبارات الأخرى اذا كانت تعرقل هذا العمل » .

ولقد تم تجاهل جميع الاعتبارات فعلا ، لذا اندفعت عناصر روسية مضادة للنظام السوفييتى وانضمت الى عصابات الأنصار ، وحملت السلاح ضد الألمان .

وهكذا دفع الاقتصاديون هتلر الى مهاجمة روسيا ، واليكم جزء من الرسالة التى أرسلها الفوهرر الى موسولينى فى ٢١ يونية (حزيران) ١٩٤١ فى اليوم السابق لهجومه .

« ستكون الحرب فى الشرق صعبة قاسية ، ولكن نجاحها مؤكد ، واننى لآمل أن نحصل بعدها على قاعدة تموين قريبة فى أوكرانيا ، تقدم لنا كل ما نحتاج اليه فى المستقبل » .

وبرر مدراء الاقتصاد النازى عملية اجبار السكان الروس على تحمل جميع الأعباء بأنها عملية تقتضيها الضرورات الحربية . ويمكن تفسير أعمال العنف الوحشية التى ارتكبتها وحدات مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) وقطعات الـ (S.S.) بأنها وسيلة من وسائل

ابادة البلاشفة ابادة تامة . ولكن الحرب لم تكن فى الحقيقة ضد البلشفية بل ضد الشعب الروسى كله ... وارتكب الألمان خلالها فظائع لا تحتمل فجنوا بذلك على أنفسهم ، واذكوا بأيديهم نيران حركات المقاومة وأعطوها دفعة قوية للاستمرار فى القتال حتى النصر .

وليس من الضرورى اجراء تخيلات واسعة لرؤية التضحيات التى كان بوسع الألمان تجنبها لو انهم كسبوا الى صفهم جزءا مرموقا من الشعب الروسى . ولقد اعترف بعضهم أن هذا الأمر سهل . ولم يكن من المتعذر الوصول اليه لو أنهم تصرفوا بشكل آخر منذ بداية الصراع. وتقول يوميات السفير أولريخ فون هاسل (وهو أحد أعضاء الحركة التى حاولت اغتيال هتلر) ما يلى : —

« كان صراع هتلر ضد روسيا عملا خطرا غير مأمون العواقب ككل الحروب . ومع هذا كانت أمامنا فرصة وحيدة لربح الرأى العام دعائيا ، وهى توجيه الحرب ضد البلشفية ، وطرح شعار تحرير الشعب الروسى الذى لا تكن له ألمانيا أى حقد » ... « يتصف الوضع فى الشرق بنجاح عسكرى غير متوقع ، وبحقد وطنى يتزايد ضدنا باستمرار بسبب سياستنا الحمقاء » (١) .

ويعود فون هاسل الى هذا الموضوع فى ١٣ يونيه (حزيران) ١٩٤١ ويكتب : ان المعارك أقسى مما كان متوقعا ، ويستنتج أن الحرب لا تتجه ضد البلشفية بل ضد الشعب الروسى بأسره ... بدليل ان هتلر عين روزنبرج ، وهو عدو تقليدى للروس ، على رأس الأدارة المدنية .

ويمكن تكملة الصورة بما قاله هملر فى خطابه المخزى فى بوزن عام ١٩٤٣ :

« لا يهزنى ما يقع لروسى أو تشيكى ... ولا يهمنى أن تعيش الشعوب فى بحبوحة أو تموت من الجوع الا بمقدار حاجتى لاستخدام هذه الشعوب كعبيد « لحضارتنا » ... ان سقوط عشرة آلاف امرأة روسية من الانهاك ، وهن يحفرن خندقا مضادا للدبابات لا يهمنى بقدر ما يهمنى انتهاء عملية الحفر لمصلحة ألمانيا » .

ويقول فيتزورى ماكليان عن الأنصار اليوغوسلافيين ما يلى : —

---

(١) يوميات فون هاسل ١٩٣٨ — ١٩٤٤ لندن صفحة ٢٨١ — ٢٨٦ .
(المؤلفان)

« كان الأنصار يتمتعون بعناد عقائدى حقيقى ، ولا ينثنون عن مهماتهم بسبب الفشل أو عمليات الألمان الانتقامية ولم يكن لحياتهم أية قيمة ... اما المدنيون فكانوا يندفعون دائما الى الصف الأول ليموتوا كأبطال ، وكانوا أبطالا حقا ... ورغم مغالاة الألمان فى قتل المدنيين واحراق القرى تزايد اصطدام قوافلهم مع الكمائن ، وتضاعفت عمليات نسف قطاراتهم . لقد كان العمل قاسيا جدا بالنسبة لرجال يخربون داخل بلادهم ولكن الغاية عندهم تبرر الوسيلة » (١) .

وينطبق هذا القول علي الأنصار السوفييت ، وكانت حربهم حرب انهاك يتعرض المدنيون لآلامها وفظائعها . وتؤكد الملاحظات الألمانية التالية هذه الفكرة .

« وفى صبيحة اليوم التالى تأكدنا ان مركز رصد المدفعية يختفى فى مكان ما داخل القرية ... وبعد يوم رأيت فى منطقة الميناء خمسة جنود ألمان وبعض رجال المليشيا يجرون رجلا مقيدا بالأغلال . وكان الأسير يمشى بأنفة وخيلاء ، ويحمل على صدره لوحة كتب عليها بالروسية والألمانية « لقد وجهت نيران المدفعية السوفييتية على خرسون وأنا مسئول عن موت ٦٣ امرأة وطفلا بالاضافة الى بعض الجنود الألمان ولهذا سوف أشنق اليوم ... » .

« وتقدم من الركب فلاح عجوز يحاول قراءة الكلمات بصعوبة وكان الأسير يساعده بكل لباقة وصدر رحب .

وسأله الفلاح بهدوء « هل فعلت ذلك حقا ؟ »

فأجاب الأسير بالايجاب .

عندئذ تمتم الفلاح « اذن فلا بأس . اننى سعيد اذ أرى الشيطان يهتم بالمفوضين الملاعين » .

وأجاب الأسير دون أن تهتز عضلة واحدة فى وجهه «سيرجعون». فرسم الفلاح على صدره اشارة الصليب مذعورا ... وهو يقول : « ليهبك الله نهاية سريعة » ثم قدم للأسير سيجارة وسأله : « متى ستموت ؟ » فرد الشيوعى بهدوء : « فى هذه الليلة » وتابع سيره شامخ الرأس .

---

(١) فيتزورى ماكليان « التقدم فى الشرق » ـ لندن ١٩٤٩ صفحة ٣١٣ .

(المؤلفان)

عندها نظرنا الى بعضنا بدهشة ، وتساءلنا : هل ينظر الروس الى الحياة نظرة تختلف عن نظرتنا اليها (١) ؟ » .

لقد رأينا أن لأعمال العنف الألمانية جذورا كامنة فى أوامر « باربروس » المتعلقة بالعدلية العسكرية . وفى ديسمبر (كانون أول) سنة ١٩٤١ أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية أمرا رهيبا ، هاجمت فيه فكرة « الفروسية العسكرية » وتوصلت الى أن « من واجب الجندى ومن حقه أيضا أن يستخدم فى المعركة جميع الوسائل الممكنة بدون حدود ، ضد جميع الأعداء رجالا ونساء وأطفالا اذا أتاح له هذا العمل الوصول الى غايته » وشاء حظ الجنود الألمان العاثر أن بعض قادتهم تبنوا هذه الفكرة وطبقوها » (٢) .

وسنذكر على سبيل المثال تعليمات الجنرال رينهاردت من مجموعة جيوش الوسط .

وتقول هذه التعليمات : « يمكن استخدام جميع الوسائل للوصول الى الاعترافات المطلوبة عند استجواب الأسرى من الأنصار ، رجالا كانوا أم نساء » .

ويلاحظ القارىء هنا بلا شك تعبير ، « استجواب الأسرى من

---

(١) ايريخ كيرن Dergrosse Rausch زوريخ ١٩٤٨ ص ٥٢ . (المؤلفان)

(٢) ولكن عددا من الجنرالات الألمان رفضوا تنفيذ أوامر هتلر المتعلقة بالارهاب ويحمل الدليل السنوى الأخير للجيش الألمانى (عام ١٩٤٤) اسم ١٢٤٠ جنرالا . وفى عام ١٩٤٥ كان فى الجيش ١٥٠٠ جنرالا ، حكمت محكمة الحلفاء العسكرية على ٣٪ منهم بجرائم الحرب ، بعد أن قامت مصلحة خاصة بالبحث عن هذه الجرائم بشكل دقيق رائع ... ولهذا يمكننا أن نقول أن ٩٧٪ من الجنرالات تصرفوا حسب قواعد « الفروسية العسكرية » .

ويذهب بعض الأشخاص الى ابعد من ذلك ، يؤكدون أن الأحكام لا تستند الى مستند قانونى لأنها مبنية على قانون بأثر رجعى ولأن محاكم الحلفاء العسكرية لم تشأ تطبيق مبدأ المعاملة بالمثل أى عدم محاكمة جرائم الحرب الألمانية اذا ما ثبت أن جرائم مشابهة قام بها بعض الحلفاء خلال الحرب . ويرى هؤلاء أن من السخف أن يحاكم قاضى روسى فى محكمة دولية أشخاصا شجعوا أو حضروا حربا ضد روسيا ما دامت روسيا قد فعلت ذلك ضد بولونيا من قبل .

لقد حوكم ٣٪ من الجنرالات الألمان لارتكابهم جرائم الحرب ولكن ٣ مارشالات وعددا من الجنرالات دفعوا حياتهم ثمن ثورتهم ضد سياسة هتلر الارهابية عام ١٩٤٤ . وهذا دليل جديد على ان بعض الضباط الألمان وقفوا من الارهاب موقف المعارضة الشريفة . (المؤلفان)

الأنصار » ولكى نفهم هذا التعبير جيدا علينا ان نلقى نظـرة على أمر الفرقة ٢٥٧ بهذا الصدد :

« يجب أن يضـطر الأسرى الى الاعتراف بالحقيقـة بأبسط الأساليب . انهم ينتظرون المعـاملة التى ألف البوليس السياسى (N.K.V.D.) استخدامها معهم ، أى انهم ينتظرون الضرب منذ بداية التحقيق .

« ويدلى بعض الأشخاص بالمعلومات بسرعة ولكن اذا ادعى الأسير انه لا يعرف شيئا وهذه حالة كثيرة الوقوع ، وجب اخضـاعه الى استجواب تكميلى يتخلله ٢٥ جلدة بسوط مطاطى . وعلى المحقق أن يطرح السؤال المطلوب باختصار ويتبعه دائما بكلمة « تكلم » مثلا .

« أين يوجد رئيس جماعة الأنصار ــ تكلم » .

« ما هى المهمة التى تلقيتها ــ تكلم ... » الخ .

« فاذا ما طبق المحقق هذه الطريقة حصل على الاجابة المحددة المطلوبة ، اما اذا أراد معرفة كل معلومات الأسير فعليه أن يسـاعده على قول الحقيقة الكاملة بخمس وعشرين جلدة اضافية . وبعـد أن ينتهى التعذيب يعدم الأشخاص الذين تعرضوا له مع من حكم عليهم بالاعدام سابقا ، حتى لا ينشروا أخبار التعذيب بين الأهالى » .

« تدفن الجثث بشكل يتعذر معه على عائلات القتلى معرفة أماكنها أو الحصول عليها » .

ان التفكير بهذه الأساليب الوحشية يثير الهلع فى النفوس ، ومن حسن حظ الأنصار ان عدد رجالهم الذين وقعوا فى الأسر وتعرضوا بالتالى لهذا التعذيب عدد قليل نسبيا .

ولا شك ان رينهاردت كان ينفذ تعليمات القيادة الألمانية العليا ... ولكنه تصرف تصرفا غير انسـانى عندما أصدر أمرا « باعدام الأنصـار خلال القتال ، وباستخدام جميع الوسائل ضدهم ، وباتخاذ التدابير الزجرية القاسية ضـد المسـئولين الألمان الذين يظهرون بعض الرأفة عند العمل ضد الأنصار والأهالى ولا يقومون بواجبهم خير قيام » .

ولنعد مرة أخرى الى مذكرات الجنرال فون هاسل لنرى فيهـا فقرة تصف كيف كادت سياسة هتلر الارهابية أن تؤدى بحياة ضابط ألمانى .

« الحرب فى الجبهة الشرقية رهيبة حقا ، انها عودة الى الهمجية الغابرة ... لقد تلقى ضابط أعرفه جيدا وهو يقيم الآن فى مونيخ ، أمرا باعدام ٣٥٠ مدنيا رميا بالرصاص على اعتبار أنهم من الأنصار . وكان هؤلاء المدنيون من الرجال والنساء والأطفال يقبعون فى اسطبل من اسطبلات القرية ... ولما تردد الضابط فى تنفيذ الأمر أعلمه رئيسه أن تردده سيؤدى الى محاكمته واعدامه . عندها طلب امهاله عشر دقائق لكى يمعن التفكير ... ثم نفذ الأمر ، وقتلهم جميعا بنيران الرشاشات ... ولكن هذه الحادثة هزته من الأعماق وأثرت عليه تأثيرا بالغا ، فلما جرح بعد ذلك طلب البقاء بعيدا عن الجبهة رغم بساطة جرحه » (١) .

وكان معظم أفراد الجيش الألمانى بلا شك ضد هذه الأوامر البربرية ، ولا أدل على ذلك من ظهور طبعة جديدة من الوصايا العشر للجندى وتوزيعها على القطعات ويقول الجنرال بوس : ان مجموعة جيوش الوسط أعادت طبع هذه الوصايا فى عام ١٩٤٣ وعدلتها ولاءمتها مع الوضع فى روسيا رغبة منها فى توجيه أعداد الجنود الكبيرة التى وصلت الى المجموعة آنذاك ، واجبارها على التصرف بشكل لائق . وتقول هذه الوصايا ما يلى :

تعليمات موجهة الى الوحدات

« الوصايا العشر حول التصرف مع الروس »

١ ـ اهتموا دائما بالحفاظ على سلطتكم بالنسبة لمرءوسيكم :

« تجنبوا التكبر والعنجهية فالروس قادرون على كشف السلطة الكاذبة أو « السطحية » وهم يعرفون أن « الصلافة » صفة من صفات الأشخاص الذين لا يملكون أسباب السلطة الحقة . ولا تأتى هذه السلطة الا بالتصرفات السامية والسلوك المثالى .

٢ ـ كونوا عادلين :

« تصرفوا دائما بحزم عادل . فالألمانى معروف بعدله ، ولا يكره الروسى شيئا كالظلم ... انه عامل ممتاز يشتغل بحماس وصبر اذا ما عومل بشكل كريم ... انه ذكى ويتعلم بسهولة ، وان رأى معدات

---

(١) فون هاسل : المرجع المذكور سابقا ـ صفحة ١٨٨ . (المؤلفان)

جديدة وقف منها موقف الحذر فى بادىء الأمر . فان لاحظ فائدتها تلاءم معها واستخدمها بكل سرور . ومن عادة الروسى أن يخضع لرؤسائه ، وعلى كل من يعطى أمرا أو تعليمات أن يصيغ أوامره وتعليماته بشكل واضح مفهوم مع تجنب الأوامر المطولة أو ترك البداهة للمنفذين . ومن الضرورى مراقبة العمل عن كثب وتوجيه الملاحظات الضرورية عند اكتشاف بعض الأخطاء .

٣ ـ شجعوا الروسى ان عمل جيدا :

« يفقد الروسى حماسه اذا لم يشجع ، وتصنع الهدايا الصغيرة والمكافآت الفردية المعجزات اذا كانت محققة وشرحت أسباب تقديمها .

٤ ـ لا تضربوا الروسى :

« ان للروسى كرامته وكبرياءه ، وهو يتعلق بهما بشكل كبير . فاذا ما ضربه أحدكم لم ينس ذلك أبدا ... ان ضرب شخص يعنى اعتباره من قبل الضارب شخصا متخلفا . ولقد كره الروس النظام القيصرى لأن الشنق والسوط كانا عملة رائجة . وفهم البلاشفة هذا جيدا ، فمنعوا المعاملة السيئة العلنية ، كما منعوا الموت خنقا ، ووصفوا هذه التدابير بالهمجية والوحشية .. وتحاول الدعاية السوفييتية اليوم نشر اخبار عن اننا نشنق ونجلد الأنصار ، لتضع الألمان فى مستوى عملاء القياصرة .

٥ ـ تجنبوا أن يستنشم الروس من أقوالكم شيئا يشير الى أن الألمان ينتمون الى عرق أفضل من عرقهم :

« ان الروس البيض والأوكرانيين والروس الشماليين وغيرهم ينحدرون من عرق آرى . وتجرى فى عروقهم دماء الفيكينج ، وهم فخورون بذلك . انهم يعرفون أنهم لم يصلوا بعد الى المستوى الحضارى لأوربا الغربية ولكنهم يحاولون ذلك مع بعض النجاح ... ويعتبرون معاملتهم كشعوب من الدرجة الثانية أو من « شعوب المستعمرات » اهانة لا تغتفر . وتؤكد دعاية الأنصار ان الألمان يريدون « استعمار الروس لبلادهم » .

« لا تزدروا الروس كشعب أو كأفراد ، فطبيعة بلادهم القاسية تجبرهم على ارتداء ألبسة غير أنيقة قلبتها متطلبات الحرب وصعوبات الحياة الى أثمال .

٦ ــ احترموا النساء والفتيات الروسيات كما لو كن نساء وفتيات ألمانيات :

« لا تنسوا عندما تتعاملون مع الشعب الروسى ان الألمانى انسان محترم ، وان الناس ينظرون اليه كرجل متحضر . احـذروا العنف والبذاءة والخسة فى علاقاتكم مع النساء والفتيات الروسيات .

٧ ــ لا تحـاولوا الحصـول فرديا على ما تحتاجون اليـه واحـذروا المصادرات المجحفة :

« ان مثل هذه الأعمال ممنوعة منعا باتا ، لأنها توحى للروس بأنهم فقدوا جميع حقوقهم ، وهذا ما يسبب لهم ضيقا شديدا . وهو يدفع الروس الى وضع الألمان على مستوي من يصادرون ممتلكاتهم .

٨ ــ حاولوا فى أحاديثكم مع الروس اظهار التباين بين الروس العاديين والبلاشفة :

« ان البلاشـــفة أقلية فى الشعب الروسى الســوفييتى . فاذا ما وجهت اليكم انتقـــادات فما عليـكم الا أن تلقوا الوزر على عاتق البلاشفة ، فتبررون بذلك جميع أخطائكم . ان الروسى يحب المعاملة الحازمة ، المشوبة بالاحترام والعدالة .

٩ ــ اظهروا احتراما خاصا للدين :

« يجب اطلاق حرية العبادة وممارسة الشعائر الدينية . تجنبوا ممارسة الضغط فى هذا المضمار ، لأن التدخل فى أمور الدين عامل من العوامل المثيرة للقلاقل . انه امتهـــان للمواطنين ، ولا يؤدى الا الى الاضرار بسمعتنا .

١٠ ــ عاملوا الروس باحترام وبدون عصـبية ، لتصـلوا الى نتـائج لا تصلون اليها بالصراخ والتهديد :

« لا يحتمل الروسى الصراخ والتهديد ، وهو لا يتقبل الانتقادات الا اذا اقتنع بأنه فعل أمرا اداً . ويجهل الروسى عادة اللغــة الألمانية أو يفهم بعض كلماتها بصعوبة ، ولكن الصراخ لا يسـاعده على فهمها بشكل أفضل ، ويخطىء كل من يظن ان الآخرين يفهمونه بصورة أحسن عندما يصرخ وان الصراخ خير وسيلة لشرح تعليماتنا لسكان البــلاد الأجنبية » .

* * *

ولكن هذه التعليمات والنصائح جاءت متأخرة فلم تستطع تخفيف تأثيرات سياسة الارهاب الهتلرية .

وماذا يفيد الجيش الألمانى اذا تصرف بعدل وحكمة مادامت قطعات مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) تلقت أمرا « لتنفيذ مهماتها بشدة وعنف بناء على تعليمات الفوهرر على أن يأخذ العنف أقسى مداه فى مناطق نشاط العصابات » . وكان نشاط قطعات مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) والشرطة فى قطاع العمليات يستوحى خطوطه العريضة من تعليمات أمر « باربروس » الذى تحبذ احدى فقراته الهامة « اعدام الأطفال رميا بالرصاص » .

ثم جاء « أمر التهجير » فكان القشة التى قصمت ظهر البعير ، وترك جميع المدنيين القادرين على حمل السلاح أعمالهم والتحقوا بالعصابات خوفا من ترحيلهم الى ألمانيا ، ووضعهم فى معسكرات العمل الاجبارى . وتبخرت أوهام بعض الروس الذين آمنوا بالألمان واعتبروهم محررين . ويرجع الفضل فى هذا الانقلاب الخطير الى تصرفات هتلر وهملر وروزنبرج الحمقاء . لقد كان أمام الشبان الروس طريقان : التهجير للعمل فى ألمانيا أو المخاطرة فى قلب الغابات مع الأنصار ، ففضل معظمهم حياة المخاطر الشريفة على الحياة بعبودية فى ألمانيا .

وهكذا سلطنا الأضواء على أسباب فشل الألمان فى روسيا ، وسيكتب التاريخ حكمه كما يلى : لقد أذكى الألمان بتصرفاتهم « روح الأنصار » فى جميع الأرجاء المحتلة من روسيا ، ثم عجزوا عن اتخاذ التدابير اللازمة ضد خطر داهم أثاروه بأيديهم . لقد كانت فكرتهم الاستراتيجية خاطئة منذ البداية ثم جرى تصحيحها بعد فوات الأوان. وسببت أخطاؤهم النفسية ضياع نتائج نجاحهم التكتيكى . ودفع الجندى الألمانى غاليا ثمن أخطاء كبار القادة السياسيين والعسكريين ، واضطرت ألمانيا أخيرا الى زج ٢١ فرقة ضد الأنصار ، ولم تكن فى وضع يسمح لها بالاستغناء عن هذا العدد من القوات والذى فقدت نصفه دون أن يكون لديها القدرة على تعويضه ... فى حين كان الأنصار يتزايدون عددا رغم خسائرهم الفادحة ، ويشنون حربا لا ترحم ضد المعتدين . وهكذا **« سقط المارد ضحية لسعات البعوض »** .

لقد فشل الألمان ، واستفاد الروس من تجربتهم السابقة وصار بيدهم سلاح فعال استخدموه بعد الحرب بكل نجاح فى أرجاء متعددة من العالم .

الفصل العاشر

ما العمل؟

**ان معنى حياتنا كامن فى أفعالنا
لا فى سنى عمرنا ، وفى أفكارنا
لا بتنفسنا ، وفى مشاعرنا
لا بالساعات التى تمضى ...
ان علينا أن نقيس الزمن بعدد
خفقات قلبنا .**

بيرون : شيلد ــ هارون (الفصل ٣
المقطع ٥)

لقد رأينا فى الفصول السابقة كيف كان للأنصار السوفييت مهمتان هما : القتال كثوار ، والعمل كرجال استخبارات . وكان لمهماتهم شكل خاص ، لأنهم يعملون فى أرض يحتلها العدو . وكانت وحداتهم المقاتلة تشكل مؤخرات الجيش الأحمر المنسحب أو نقاطه الأمامية عند الهجوم . فهم بذلك جزء مساعد للجيش ، ورجال استخباراتهم جزء من شبكة الاستخبارات الروسية .

ولم يكن الأنصار على ارتباط مع هذه الشبكة التى كانوا يجهلون وجودها . ولكن هذه الشبكة كانت قادرة على كشف أسرار الاستراتيجية الألمانية العليا . وكان الأنصار قادرين على تحديد مكان وأسلوب تطبيق الوسائل المستخدمة لتحقيق أهداف هذه الاستراتيجية . لقد كان الجواسيس يعطون القيادة معلومات عن العمل قبل وقوعه ، وكان الأنصار يراقبون التنفيذ ... فهم يرون حركة آلة الحرب الألمانية عن كثب ، لذا فان تقاريرهم تساعد القيادة السوفييتية على فهم الخطوط العريضة لمخططات العدو عندما يتعذر على شبكات التجسس كشف هذه المخططات .

لهذا يستطيع الأنصار أن يفاخروا بأنهم شاركوا فى انتصار جيشهم العسكرى ، وفى نجاح مصلحة الاستخبارات السرية الحمراء . وسنحاول فيما يلى شرح دور كل من الأنصار ، ومصلحة الاستخبارات الروسية، وتأثير هذا الدور على سير الأحداث خلال المعارك .

عندما اشتبكت القطعات الألمانية مع الجيش الروسى فى ٢٢ يونيه (حزيران) ١٩٤١ ، اهتزت أمواج البرق ، وقطعت أجهزة الارسال السوفييتية المنتشرة فى جميع أرجاء أوربا صمتها ، وبدأت تعمل على موجاتها القصيرة بنشاط . وهكذا بدأ ٣٠ ــ ٤٠ جهازا منتشرة فى الغرب ترسل تقاريرها الى جهاز التقاط مركزى فى موسكو .

ثم بدأ الألمان يبحثون عن هذه الأجهزة ، واكتشفوا معظمها ، وأوقفوا عمالها قبل أن تصل معركة ستالينجراد الى نقطتها الحرجة .. ولكننا لا ننكر أن هذه الأجهزة قامت قبل ذلك بدورها ، وأرسلت الى الروس معلومات كثيرة ساعدتهم على مجابهة العدو وصد هجماته .

ويكفى نشاط هذه الشبكات الى كتابة مجلد كبير من القصص العجيبة ، فها هنا ضابط روسى يدعى أنه امريكى جنوبى ثم يخون مساعده الذى ينافسه على قلب امرأة . وهناك جهاز لاسلكى مموه بكل ذكاء داخل غرفة مزودة بأبواب سرية . وفى الجانب الآخر قصص سيارات ألمانية لكشف الأجهزة اللاسلكية ، يعمل فيها ضابط وعدة جنود يرتدون لباس عمال البريد ... أو قصة عقيد ألمانى يعيش فى نيس على أنه أسبانى ، ولا يكشف عن شخصيته الحقيقية الا بعد أن احتل الألمان جنوب فرنسا .

ولقد وقعت عمليات توقيف كثيرة ، وعمليات هروب فذة ... ويشرح فليكه عمليات متعددة من هذا النوع فى كتابه (١) الذى بناه على خبرة اكتسبها من عمله فى المصلحة الألمانية لمكافحة التجسس . فاذا ما قرأ المرء كتابه شعر وكأنه فى فيلم من أفلام هوليود ، وأحس كيف تكون الحقيقة أحيانا أغرب من الخيال .

وكانت اسم شبكة الروس فى البلاد الغربية ، « الأوركسترا الحمراء » وكان عمال اللاسلكى يدعون موسيقيين ، وكانوا جميعا من الشيوعيين المتحمسين الهادفين الى مساعدة روسيا على الانتصار

---

(١) و . ف فليكه « الأوركسترا الحمراء » ــ Die Rote Kapelle هيلدن ١٩٤٩ . (المؤلفان)

بغية نشر النظام الجديد فى أوربا . وكانوا يخفون هوياتهم وأهدافهم بشكل جيد ، ويتظاهرون أحيانا بالعمل مع الألمان . وكان من بينهم عدد من الضباط والموظفين وكبار الشخصيات المرتبطة ارتباطا وثيقا مع الألمان البارزين ، كضباط القيادة العليا للقوات المسلحة ، وكبار القادة فى الجيش والطيران والشئون الادارية وصناعة الأسلحة . وكان للأوركسترا الحمراء ٦ شبكات تعمل فى ألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا وايطاليا . وكان عدد فصائل الشبكة الألمانية ٦ والفرنسية ٤ والبلجيكية ٥ والسويسرية ٢ .

لقد نظمت معظم بلاد العالم شبكات استخبارات خلال الحرب العالمية الثانية ، ولكن الشبكة الروسية ، كانت أوسعها انتشارا وأفضلها تنظيما ، وأكثرها قدرة على جلب المعلومات الصحيحة . حتى أن الروس كانوا يعرفون عدوهم كما لم يعرفه بلد من قبل ... وكان لديهم تقارير صحيحة عن مخططات العمليات الألمانية ، والقطعات المقاتلة ، والانتاج الحربى ، لذا كان بوسعهم أن يأخذوا فى الوقت الملائم التدابير اللازمة لمجابهة أى خطر .

اننا لا نقول ان الروس ربحوا حربهم بفضل جواسيسهم وأنصارهم فقط . ولكن نظرة سريعة على العمليات الرئيسية تكشف لنا مدى اشتراك هذه العناصر فى تحقيق النصر .

ان من ينظر الى المعركة الألمانية فى روسيا نظرة سطحية يرى أنها مجموعة حركات تكتيكية منفصلة لا يربطها أى مخطط استراتيجى ... والحقيقة أن العمليات الألمانية فى فرنسا وبولونيا كانت مبنية على مخطط حربى يبغى حلا عسكريا ، وأنها دارت حسب هذا المخطط لتحقيق الهدف المنشود . أما العمليات فى روسيا فكانت مختلفة عن ذلك . ان هتلر لم يبحث عن الحل العسكرى رغم نصائح قيادة القوات المسلحة الألمانية .

لقد دخل الصراع ضد الاتحاد السوفييتى ليخنق اقتصاده ، ويستولى على مصادر ثروته ، ويدمر قواعده الايديولوجية ... فاذا ما عرفنا هذا الانفصال الواضح بين فكرة الحرب العسكرية البحتة ومخططات هتلر الاقتصادية ، بدت لنا الاستراتيجية الألمانية فى روسيا واضحة .

وكانت القيادة الألمانية العليا تريد الاندفاع فى اتجاهين رئيسيين هما : كييف وموسكو . وكانت تعتقد أن موسكو تمثل القوة الروسية

العسكرية نفسها ، وهى فى الحقيقة أهم عقدة للطرق والسكك الحديدية ، وفيها مصانع عديدة وهامة . وكان من الطبيعى أن يجمع الروس كبد قواتهم العسكرية للدفاع عنها . وكانت القيادة الألمانية العليا تود الدخول فى مجابهة مع معظم القوات الروسية قرب موسكو ، لتحطمها تحطيما كاملا ، مسببة بذلك انهيار المقاومة الحمراء . وكانت هذه القيادة تعتبر ان الطريق الى موسكو هو طريق النصر ، أما العمليات الأخرى فكلها ثانوية .

ولم يكن هتلر موافقا على هذا الرأى . ولا شك ان القائد الأعلى للجيوش الألمانية المارشال فون براوختيش أصيب بذهول ودهشة ، عندما قال له هتلر قبل بدء العدوان بستة أشهر بأنه لا يعتبر موسكو « هدفا هاما » .

ولقد أكد هتلر فيما بعد هذا التصريح قائلا : ان موسكو لا تهمه كثيرا . واضطرت القيادة الألمانية العليا الى الموافقة على آرائه ووضعت تعليمات خطة « باربروس » فى ١٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٠ ، وأخذت موافقة هتلر عليها . وتقول التعليمات ان على القطعات الألمانية أن تستعد لسحق روسيا السوفييتية بعملية سريعة ، والسعى الى تدمير كبد القوات الروسية المتمركزة فى غرب روسيا بدق أسافين عميقة مدرعة داخل التشكيلات الروسية تؤدى الى تفتيتها ، مع اتخاذ كافة التدابير اللازمة لمنع العدو من الانسحاب والقتال تراجعيا على المساحات الواسعة من الأرض الروسية . وكان الهدف النهائى للعملية خط : الفولجا ــ أرخانجلسك ، كما كان من الضرورى احتلال لينينجراد للانطلاق بعد ذلك نحو موسكو .

وفى ٢٢ يونيه (حزيران) ١٩٤١ بدأ القتال ، وسارت العمليات الألمانية سيرا حسنا ، لدرجة دفعت الجنرال هالدر رئيس أركان الجيش الى أن يكتب فى يومياته : لقد ربحت المعركة بلا مبالغة خلال الأسابيع الأولى ... وكان الجنرال هالدر محقا ، لأنه اعتقد آنذاك أنه قادر على مهاجمة موسكو بكل حرية . وفى ١٨ أغسطس (آب) قام هالدر وبراوختيش بتقديم مذكرة الى هتلر ، طلبا فيها السماح لهما بالاندفاع نحو موسكو التى جمع الروس أمامها سبعين فرقة . وبعد ثلاثة أيام رفض هتلر الطلب مخيبا آمالهما ، وقال فى ٢٠ أغسطس (آب) أنه لا يعتبر موسكو أهم الأهداف . ولكنه يرى ــ بعد احتلال أوكرانيا ــ ضرورة احتلال القرم ، ومناطق الدونيتز الاقتصادية ، وحرمان روسيا

من آبار البترول فى القفقاس ، ومنع الاتصال بين الفيلنديين والروس . لقد كان هتلر ينوى الاستيلاء على القمح والبترول الروسيين وجميع مصادر الثروة والقوة الصناعية للبلاد .

ومن الغريب حقا أن الغربيين لم يفهموا بسرعة أفكار هتلر ، باستثناء وينستون تشرشل الذى أعلم الجنرال سمطس فى ٦ مايو (مايس) ١٩٤١ ـ أى قبل الهجوم بشهر واحد ، أن « هناك مايدعو الى الاعتقاد بأن هتلر يجمع قواته ضد روسيا ... وانني أعتقد أنه سيقوم بهجومه ضد أوكرانيا والقفقاس للاستيلاء على البترول والقمح الروسيين ... وليس هنالك ما يمنع تقدمه ... » (١) .

وهكذا توقع ونستون تشرشل بفضل حدسه الغريب جميع مخططات هتلر فى الشرق . وكان البريطانيون يرون آنذاك ان بترول القفقاس عبارة عن محور حركة آلية الحرب الروسية . ومنذ عام ١٩٤٠ درست فرنسا وبريطانيا مخططا لمساعدة فيلندة المشتبكة آنذاك فى حرب مع روسيا ، وكان هذا المخطط يشير الى ضرورة الهجوم باتجاه باكو انطلاقا من ايران . وفى عام ١٩٤٠ اتخذ مجلس الحلفاء الأعلى قرارا يحدد التدابير الضرورية لمنع رومانيا من ارسال بترولها الى ألمانيا ... كما أعطى هذا المجلس تعليمات الى الأركان العامة البريطانية والفرنسية لاتخاذ الاستعدادات اللازمة لقصف آبار البترول فى القفقاس .

وكان على هيئات الأركان تنفيذ القصف فى يونيه (حزيران) على أبعد تقدير . ثم أجل المشروعان بسبب الهدنة الفيلندية الروسية ، وانهيار فرنسا بعد ذلك . ومع هذا لم يترك البريطانيون الفكرة نهائيا . ففى ٣١ يناير (كانون ثانى) ١٩٤١ كتب ونستون تشرشل الى رئيس الجمهورية التركية خطابا يقول فيه : « ليس هناك ما يمنع روسيا من مساعدة ألمانيا ، ولو بصورة غير مباشرة ، مثل وجود قوات قصف جوى كبيرة قادرة على ضرب المنشآت البترولية فى باكو ، ومنطلقة من قواعد تركية » (٢) .

وعندما هاجم الألمان روسيا ، فكر الحلفاء بأن خير وسيلة لمساعدتها هى حماية القفقاس بطائرات تنطلق من القواعد الجوية الايرانية .

---

(١) الحرب العالمية الثانية ـ ونستون تشرشل ـ منشورات لندن الجزء ٣ الصفحة ٢٥١ . (المؤلفان)

(٢) ونستون تشرشل ـ نفس المصدر السابق ص ٣١ . (المؤلفان)

وعندما احتل الألمان شاريتيه فى فرنسا ، وقعت بين أيديهم نسخة من القرارات التى اتخذها المجلس الأعلى للحلفاء فى مارس (آذار) ١٩٤٠. ولكن هتلر لم يكن فى حاجة الى نصائح ، ليفهم أهمية بترول القفقاس بالنسبة له أو بالنسبة للجهد الحربى الروسى . فلقد وعد فى عام ١٩٣٢ بتقديم أكبر المساعدات لفاربين بغية مساعدته على انتاج البترول الصناعى . وفى عام ١٩٣٦ أعلن عن مشروع الأربع سنوات ، وكان يقول فى ملاحظاته السرية أن هذا المشروع يهدف الى « حل مسألة انتاج المحروقات حلا تاما خلال ١٨ شهرا . على أن يتم الوصول الى ذلك بالعمل والاضرار الجديين ، كما لو أن الأمر متعلق بعملية حربية . فعلى حل هذا الأمر يتوقف سير الحرب فى المستقبل ... » ولكن خبراءه لفتوا نظره الى أن صناعة البترول الصناعى عاجزة عن تقديم الكميات اللازمة للحرب . فلم ينس ذلك وبحث عن مصادر أخرى . وعندما وضع اتفاقيات موسكو موضع التنفيذ طلب من روسيا أن ترسل له كميات كبيرة من البترول والقمح . وحتى عام ١٩٤٠ أمن لنفسه أمدادا مستمرا من رومانيا ، وذلك بأن أرسل الى حقول البترول فى بلوئيستى وحدات من الـ (S.S.) بألبسة مدنية ، ثم اضطر الى ارسال وحدات من الجيش . وهكذا استخدم هتلر البنزين الصناعى لمهاجمة بولونيا ، ثم استخدم البترول الروسى لاحتلال فرنسا ، ولولا البترول الرومانى لما تجرأ على مهاجمة روسيا .

ثم ظهرت حاجة ألمانيا للقمح ، وخاصة عندما قطع الروس قمحهم عنها . ولقد رأينا كيف قرر خبراء الاقتصاد الألمانى ان متابعة الحرب بعد احتلال فرنسا عملية مستحيلة اذا لم تأخذ الجيوش الألمانية تموينها من روسيا .

وكانت رغبة الألمان بالحصول على « البترول والقمح » ملحة . ومن المؤكد ان روسيا كانت معرضة للانهيار لو وصل الألمان الى أهدافهم . فالآلة الحربية الروسية بحاجة الى بترول القفقاس كما ان الزراعة بحاجة اليه . ولقد كتب تشرشل فى الرسالة التى ذكرناها سابقا ، والتى أرسلها فى يناير (كانون ثانى) ١٩٤١ الى رئيس الجمهورية التركية ما يلى : « والزراعة الروسية مبنية على الآلة ومرتبطة بحقول البترول ارتباطا وثيقا . لذا فان تدمير هذه الحقول يعنى وقوع مجاعة أكيدة فى روسيا » .

وكان ستالين قلقا جدا ، أنه قادر على اخلاء موسكو ، ولكنه عاجز

عن الاستعاضة عن بترول القفقاس . ولقد أعلن المارشال روكوسوفسكى بعد الحرب : « لولا بترول باكو لما استطعنا متابعة الحرب » (١) . ومن الصعب أن نجد شخصا يستطيع تقدير هذا الأمر أكثر منه . وهكذا نجت روسيا من الكارثة بفضل مسافة ٤٨٠ كيلو مترا كانت تفصل الطلائع الألمانية فى جباس القفقاس عن سهول باكو .

وكان الروس يرون الخطر جيدا ، ولكن القيادة الألمانية العليا تعامت عنه . وهى لا تريد الاعتراف حتى اليوم ، بأنها أضاعت فرصة ثمينة للنصر . ولقد قال الجنرال هالدر فى عام ١٩٤٩ عند دراسة موضوع قيادة هتلر العسكرية :

« أجبر هتلر القيادة الألمانية العليا على ترك المخطط الذى قررته ، والذى يتضمن تدمير القوة العسكرية الروسية قرب موسكو ، وذلك لمصلحة عملية ثانوية ، كان نجاحها سيؤدى الى انهيار جبهة ثانوية ضعيفة ... لقد قدم هتلر مهمة احتلال المناطق الصناعية ومنابع البترول الروسية ، وفضلها على المهمة الحاسمة التى كانت ماثلة فى تدمير الجيش الروسى » (٢) .

وهذا تصريح غريب يدلى به رئيس الأركان السابق للجيش الألمانى بعد ٤ سنوات من انتهاء الحرب . أنه يرى ان طريق باكو كان مفتوحا ، وان الانتصار فى هذا الاتجاه متوقع ، ومع هذا تطالب هيئة الأركان العامة بالهجوم على موسكو ... لقد قاتلت القطعات الألمانية بشكل رائع فى روسيا ، ولكن هيئة الأركان العامة لم تكن على مستوى مهماتها .

ولنذكر هنا أيضا ان هيئة الأركان العامة الألمانية أثبتت قبل ذلك قصر نظرها . ولم يكن مخطط عملياتها ضد فرنسا سوى نقل لمخطط شليفن الشهير الذى تم تنفيذه مسبقا فى الحرب العالمية الأولى (٣) .

---

(١) ويتابع روكوسوفسكى قائلا : « ولكن الحرب لم تكن لتنتهى فورا ، ولاستمر الصراع حتى تعلن الولايات المتحدة الحرب على ألمانيا ، وعندها سيجد هتلر نفسه مضطرا للحرب على جبهتين » . (المؤلفان)

(٢) فرانز هالدر Hitler als Feldherr – مونيخ ١٩٤٩ صفحة ٤٣ .
(المؤلفان)

(٣) مخطط شليفن : مخطط وضعه فون شليفن عام ١٩٠٥ ، ويقتضى نشر القوات الألمانية على طول الجبهة الفرنسية مع تركيز الجزء الأكبر من القوات على الجناح الأيمن الذى كان عليه أن يجتاز بلجيكا وشمال فرنسا بسرعة ثم ينحرف نحو الشرق ، بينما يقوم الطرف الأيمن لهذا الجناح باجتياز السين قرب روان متوجها نحو باريس . ولم ينفذ هذا المخطط بحذافيره فى الحرب العالمية الأولى لأن مولتكه (الشاب) عدله وأفقده بعض ميزانه . (المعربان)

أما عملية الخرق الرائعة بالقوات المدرعة عبر الآردين ، وحركة التطويق باتجاه دنكرك اللتان حددتا مصير فرنسا ، فلم تولدا فى أدمغة هيئة الأركان العامة الألمانية ، بل كانت عبارة عن مخطط تفتق عنه ذهن جنرال أصبح فيما بعد الفيلد مارشال فون مانشتاين .

وكما حاولت هيئة الأركان الألمانية العامة تطبيق مخطط عام ١٩١٤ فى فرنسا ، فانها أرادت فى روسيا تطبيق خطة نابليون لعام ١٨١٢ .

والحقيقة لم تكن لموسكو أية أهمية ... وبدلا من مهاجمة ٧٠ فرقة متجمعة قرب موسكو أعطى هتلر أوامره بمحاصرة كييف ، وفى سبتمبر (أيلول) ١٩٤١ سقط هذا الجيب ، وأسر الألمان ٦٥٠ ألف أسير .

ولو أن هتلر هاجم موسكو آنذاك لما استطاع احتلالها بهذه السهولة . ويمكننا أن نؤكد أن منطقة حوض الدونيتز الصناعية لا تقل أهمية عن منطقة موسكو ، بالاضافة الى أنها أسهل منها منالا . وعندما تقدمت قوات الجيش الألمانى الرئيسية هدد منطقة كييف فكا كماشة كبيران واستمر التهديد مدة طويلة قبل أن يعطى هتلر أوامره باغلاق الطوق .

ولقد كتب هالدر عن ذلك قائلا : « ودلت بعض المظاهر على ان الروس بدأوا اخلاء حوض الدونيتز ، وجزء من المنطقة المجاورة فى الشرق » (١) .

ولكن هالدر لم ير ان الجبهة الروسية تتأرجح ، وأن على الجيوش الروسية أن تنسحب من هذه المنطقة بعد أن كبدتها معركة كييف خسائر كبيرة ...

ان مجموعة جيوش الجنوب الألمانية لم تكن قادرة لوحدها على ربح المعركة ، ولولا دعم مجموعة جيوش الوسط لها لبقيت الجبهة الروسية صامدة ... ولو حاولت مجموعة جيوش الوسط احتلال موسكو قبل تطهير منطقة كييف ، لما استطاعت مجموعة جيوش الجنوب التقدم واحتلال الأراضى بسرعة فى قطاعها . بالاضافة الى أن موسكو كانت تبعد مئات من الكيلومترات ، وتقدم مجموعة جيوش الوسط نحوها يعنى تعريض مجنباتها على عمق كبير ... لقد حقق الروس نجاحاتهم فى شتاء ١٩٤١ — ١٩٤٢ بفضل هجماتهم الموجهة بمهارة نحو الفجوات

---

(١) هالدر — المرجع المذكور سابقا صفحة — ٤٢ . (المعربان)

الموجودة فى الجبهة الألمانية . وهذا يعنى انهم كانوا سيهاجمون هـذه المجنبات الضعيفة بكل قوة . ويقول الجنرال ريندوليك الذى كان يقود وحدة ألمانية كبيرة فى الجبهة الروسية : « ان توالى الأحداث بعد ذلك يؤكد لنا ، ان التقدم باتجاه موسكو بدون احتـلال أوكرانيا وتدمير القطعات المعادية فيهـا ، يعنى تعريض جـزء كبير من الجيش الألمانى للابادة خلال شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ » .

كل هذا يدل على ان هتلر كان فى هذه الفترة محقا .

ومع ذلك ، أعطى هتلر بعد الانتصار فى كييف ، أمرا بالمسير نحو موسكو . ولكن معركة كييف عطلت هذا التقدم ستة أسابيع ، وجاء فصل الوحل والثلج والصقيع فأصيب الهجوم بالشـلل (١) . ولكن هنالك شىء آخر ساعد الروس على ايقاف الألمان ، والقيـام بهجوم معاكس واسع النطـاق . فما هو ؟ ... يذكر هالدر فى مذكراته أن الخسائر الألمانية كانت تتزايد بشكل دائم بينما كان الروس يدفعون الى المعركة باستمرار فرقا جديدة . ثم رفع الستار بعد ذلك عن سر وجود هذه الفرق الجديدة ... ان شبكة التجسس الروسية فى طوكيو والتى كتب قصتها الجنرال تشـارلس . آ . ويلوجبى (٢) : أعلمت السوفييت فى عام ١٩٤٢ ان اليابان لا تنوى مهاجمـة روسيا أبدا . وهـكذا استطاع الروس بفضل استخباراتهم سحب عـدد كبير من قطعاتهم المتمركزة فى الشرق الأقصى ، ودفعوها الى مسرح العمليات فى

---

(١) يحاول الكتاب الغربيون عند الحديث عن هزيمة الألمان أمام القوات السوفييتية تسليط الأضواء على الوحل والثلج والصقيع ، وهم يعزون توقف الهجوم الألمانى لهذه الأسباب الطبيعية .

وعلى سبيل المثال ما قاله الجنرال الأمريكى عمر برادلى فى كتابه « قصة جندى » الصادر عام ١٩٥١ : « وشل الشتاء الروسى القاسى بصورة مفاجئة حركة الجيوش الألمانية خارج أبواب موسكو ، بعد أن كانت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق النصر » .. ولكن هذه المحاولات عاجزة عن تشويه الحقيقة ، صحيح ان قسوة العوامل الحيوية كان عاملا مساعدا لايقاف زحف الغزاة على الأرض الروسية الواسعة الصالحة للمناورة بعمق استراتيجى كبير ، ولكن هذا لا يعنى تجاهل البسالة التى وقف بها الشعب السوفييتى أمام جيوش ألمانيا النازية ، كما لا يعنى انكار التضحيات الكبيرة التى قدمها هذا الشعب لدحر الآلة الحربية الفاشستية . وللاستزادة فى الرد على هذه الفكرة راجع « الحرب العالمية الثانية من وجهة النظر السوفيتية » تأليف جى ديبورين ــ اصدار دار الكاتب العربى ــ القاهرة عام ١٩٦٧ . (المعربان)

(٢) الجنرال تشارلس . أ . ويلوجبى ، « مؤامرة شنغهاى » نيويورك ١٩٥٢ . (المؤلفان)

أوربا فى الوقت الملائم لتشترك فى معركة موسكو . لقد كانت روسيا متأكدة بأنها لن تعمل الا على جبهة واحدة . بينما كان الألمان يحتفظون بجزء من قواتهم فى الغرب للدفاع ضد جبهة ثانية محتملة (١) ، وهكذا قاتلت ألمانيا ويدها مغلولة ، بينما كان الروس يقاتلون بيدين طليقتين.

وهكذا باءت بالفشل جميع الآمال التى علقتها هيئة الأركان العامة الألمانية على الهجوم العام الحاسم . وفى شتاء ١٩٤١ استنتجت أن عليها تطبيق استراتيجية دفاعية فى روسيا ، والاكتفاء بالهجوم على أهداف محدودة على جبهة ضيقة (٢) . وكانت هذه الفكرة تحمل فى طياتها كثيرا من التشاؤم . ومع هذا لم يكن من المفاجىء أن يذكرها شخص رأى قبل عدة أشهر أن هزيمة روسيا محققة ! .. ولم يكن البريطانيون من رأى هالدر ، كما لم تؤكد هذا الرأى انتصارات الألمان بعد ذلك فى عام ١٩٤٢ .

فلم توقف هتلر اذن ؟؟ ان لهذا الأمر سببين ويتعلق أولهما — وهو ما سندرسه الآن — بفكرة هتلر الخاطئة عن الحرب « الايديولوجية » ضد روسيا . أما الثانى — وهو ما سنراه فيما بعد — فيتعلق بفاعلية جهاز التجسس الروسى .

لقد رأى هتلر ان عليه ضرب روسيا فى لينينجراد وستالينجراد ، لأنه يعتبر هاتين المدينتين قلعتين من قلاع الأيديولوجية الشيوعية . ويعتقد ان تدميرهما يؤدى الى تدمير البلشفية نفسها ، لهذا يمكننا أن نفهم لم حاول بعناد احتلال هاتين المدينتين ... ان لينينجراد لا تتمتع بقيمة عسكرية خاصة . واتصال الجبهة الروسية الفيلندية قربها ، هو النقطة العسكرية الوحيدة التى يمكن أن تدخل فى الحسبان . مع ان هذا الاتصال لا يساوى الجهود التى بذلت لقطعه . أما ستالينجراد فلا تتمتع بأية قيمة استراتيجية . وكل ما قاله هتلر للدفاع عن فكرة مهاجمتها عبارة عن محاولات لتغطية فشله . انها لم تكن كما ادعى

---

(١) يعتبر الحلفاء الغربيون أن التهديد بانزال بحرى فى فرنسا أخبر ألمانيا على تشتيت قواتها ، وعدم توجيه كل انتباهها الى الجبهة الروسية ، واضطرها الى الاحتفاظ بقطعات كبيرة فى فرنسا . ولكن السوفييت يرون أن هذا الكلام مغاير للواقع لأن ألمانيا لم تحتفظ فى فرنسا الا بعدد صغير من الفرق ، وأكثرها فرق احتياطية ، بينما وجهت معظم قواتها الضاربة والمدرعة نحو الجبهة السوفييتية .

(المعربان)

(٢) فرانز هالدر — المرجع المذكور سابقا — صفحة ٤٨ — ٤٩ .

(المؤلفان)

عقدة مواصلات حيوية ، فالفولجا نهر لا يمكن عبوره خلال خمسة شهور في السنة . كما ان الألمان قطعوا هذا الطريق المائى قبل الهجوم على المدينة . ولم يكن احتلال ستالينجراد يساعد على تأمين حيطة الجناح الشمالى للجيش الألمانى فى القفقاس ، بل على العكس ان الجناح الطويل الممتد حتى ستالينجراد كان معرضا للانهيار تحت ضربات الروس . ولقد توقع هالدر هذا الخطر ، ولكن هتلر لم يستمع لتحذيره ، ثم اعترف بعد ذلك بخطئه ، ففى حديث ألقاه فى اكتوبر (تشرين أول) ١٩٤٢ بمناسبة معونات الشتاء ، طلب من مستمعيه أن لا يصدقوا الشائعات السائدة القائلة بأنه أراد احتلال المدينة نظرا لأهمية الاسم الذى تحمله ... والحقيقة انه هجر فكرته القديمة التى تتضمن « ضرب روسيا اقتصاديا بدلا من الانتصار عليها عسكريا » وترك أهدافه السابقة ليلاحق شبحا ايديولوجيا . ولقد كانت القوات الألمانية اللازمة للاندفاع نحو باكو جاهزة ، وحتى اغسطس (آب) ١٩٤٢ كان المارشال السير آلان بروك يعتقد ان الألمان سيصلون الى حقول البترول . ولكن هتلر بعثر قواته فى محاولات لاحتلال ستالينجراد ، كما أعطى فى ٥ ابريل (نيسان) ١٩٤٢ أوامره باحتلال لينينجراد .

وهكذا حصل ستالين على الوقت الكافى لدرء الخطر الألمانى المضاعف على ستالينجراد وباكو ، وكان قد أعلمه بذلك الخطر أحد فصائل الشبكة الألمانية التابعة « للأوركسترا الحمراء » كما أعلمه ان شخصا يدعى كنت ، وهو نقيب من الجيش الأحمر ويعمل تحت اسم فينسان سييرا ، قابل فى برلين ضابطا من مصلحة مكافحة التجسس الألمانية وخبيرا فى وزارة اقتصاد الرايخ الثالث ، وعلم منهما أن الجهد الألمانى الرئيسى محدد باتجاه القفقاس مع جناح يسير نحو الفولجا باتجاه ستالينجراد (١) .

وعندما تمت هزيمة الألمان فى ستالينجراد اضطر جيشهم فى القفقاس الى الانسحاب حتى يتجنب الانقطاع . ونجت روسيا فى ستالينجراد لأن ستالينجراد انقذت القفقاس .

ويمكن أن نؤكد ان هناك انتصارين روسيين هامين هما الدفاع عن موسكو وتطويق ستالينجراد . ويعود الفضل فى نجاحهما الى شبكة التجسس الروسية . ان انتصارات الأنصار فى هاتين المعركتين أقل أهمية من نجاح الجواسيس ، ولكن العصابات قامت مع ذلك بأعمال

(١) م . رويدر . « الاوركسترا الحمراء » هامبورج ١٩٥٢ — ص ٥١ .
(المؤلفان)

تستحق الاعجاب . لقد شاركت فى انتزاع النصر بسلسلة من المعارك الصغيرة المجهولة ... ولقد لفتنا النظر سابقا الى انتصارات الأنصار العسكرية ، ولكن هذه الانتصارات لا تكفى لتفسير كل شيء ... ان معلومات الوثائق الألمانية عن مصلحة استخبارات الأنصار معلومات محدودة ، ولكننا واثقون من ان هجمات الجيش الروسى كانت تتم دائما فى النقاط التى يكتشف الأنصار حساسيتها وضعفها ، ويعلمون قيادة الجيش عنها ... حتى أصبح الروس أساتذة فى اختيار النقاط الضعيفة الحساسة عند العدو كالثغرات الصغيرة فى الجبهة خلال شتاء ١٩٤١ ــ ١٩٤٢ ، والقطاعات التى تحتلها جيوش الدول المتحالفة مع ألمانيا فى بداية معركة ستالينجراد ... وعندما لم يكن هناك ثغرات أو جيوش من الدول المتحالفة كان الحمر يختارون الحدود الفاصلة بين تشكيلتين معاديتين لتوجيه ضربتهم الرئيسية اليها ، ولنتذكر هنا تقرير قيادة فيلق من الفيالق الألمانية كانت تستغرب قائلة : « ان العدو مطلع بشكل غير معقول على حركات قطعاتنا » . ولم يكن هناك الا مصدر واحد قادر على اعلام الجيش الأحمر مباشرة وبصورة دائمة عن أضعف النقاط فى جبهة العدو ، وهو وحدات الأنصار العاملة وراء خطوط الألمان . ولقد كنا ننظر الى القيادة السوفييتية خلال الحرب بكل اعجاب ، نظرا لبراعتها فى استخدام وتحريك قطعاتها ، ولكننا كنا نجهل ان سر براعتها راجع الى معرفتها الدقيقة بمواقع الألمان . ولم نكن نقر بأهمية الأنصار الذين فتتوا مؤخرات العدو ، ثم وجهوا الجيوش الحمراء نحو أضعف نقاط جبهته .

لهذا قلبت حرب العصابات فكرتنا عن الحرب ، ففى الماضى كان هناك خطوط متصلة جامدة تمتد أمام العدو ، وكانت الجبهة قصيرة ، وحقل المعركة محدودا ، لدرجة تسمح للقائد بمراقبة جميع الأمور من نقطة حاكمة . وفى عام ١٩١٤ انتشرت الجيوش المتحاربة لأول مرة فى التاريخ على جبهة مستمرة تمتد مئات الكيلومترات . وهكذا امتد حقل المعركة عرضا بشكل كبير . ثم جاء الأنصار فأدخلوا فى المعركة عنصرا جديدا ، لقد عمقوا حقل المعركة الذى أصبح يمتد من خط القتال الأمامى الى أبعد القواعد الخلفية (١) . وهذا ما يعطى للحرب الشاملة معنى جديدا .

---

(١) ان تعميق حقل المعركة ، مع احتمال ملاقاة العدو فى كل زمان ومكان ناجم قبل كل شيء عن ظهور المدرعات والآليات المزودة باللاسلكى ، وقيامهما بالخرق العميق ، وظهور الطائرات القادرة على تخطى الحدود وضرب الأهداف الواقعة وراء الجبهات =

ان على الدول الغربية أن تستعد لهذا النوع الجديد من الحروب وأن تعتمد فى استعدادها على قواعد جديدة . والقواعد التى نقترح تطبيقها فى الدول الغربية هى (١) :

قاعدة رقم ١ : علينا أن نتصل بأعداء عدونا ، وبأصدقائنا داخل معسكر العدو .

قاعدة رقم ٢ : علينا أن نجد مجالا للفرقة بين صفوف أعدائنا « فرق تسد »

اننا لم نفرق فى خلال الحرب العالمية الثانية بين الألمان والنازيين ، كما لم يفرق الألمان بين الروس والبلاشفة ، وهذه أخطاء يجب تجنبها فى المستقبل .

قاعدة رقم ٣ : ان من واجبنا أن نحترم الأشخاص (المتعاونين) الذين نتصل بهم داخل البلاد المحتلة . وأن نعاملهم باحترام حتى لا نقع فى أخطاء النازيين ونجبرهم على الالتحاق بالأنصار .

قاعدة رقم ٤ : يجب تعريف المواطنين فى البلاد المحتلة بأهدافنا ، ودعم هذه الأهداف بسياستنا .

ولا مانع من أن نطلعهم على أهدافنا الحربية اذا لزم الأمر ، وان نغذى لديهم حقدا وعداء حقيقيا لأهداف العدو . ان القيام بالحرب بدون هدف واقعى للحرب أمر بلا معنى ، لذا فان علينا أن نربح الدعم السياسى للمواطنين فى البلاد المعادية . ولقد رأينا أن الألمان جربوا ذلك فى روسيا ليستخلصوا فى النتيجة ان « موقف الشعب ذو أهمية كبرى فى القتال ضد العصابات » . وأن من الضرورى تنمية العلاقات الطيبة مع المواطنين . ويؤكد ماوتسى تونج ان حرب العصابات تمنى بالفشل اذا لم تكن أهدافها السياسية منطبقة مع أهداف الشعب وذلك لأن

= وانزال الجنود فى أى مكان من أرض العدو ، ودعم تقدم المدرعات المتغلغلة بعمق ، ولا شك أن عمل الأنصار يساعد فى هذا التعميق ويجعل مهمة أمن وحيطة القطعات أكثر صعوبة ، ويجعل الحرب شاملة بكل معنى الكلمة . (المعربان)

(١) اننا سنذكر هنا **باختصار** . القواعد التى يقترحها المؤلفان على الدول الغربية لمجابهة حرب العصابات ، وتكشف هذه القواعد رغم ايجازها خطط الامبرياليين ، وتعطى القارىء فكرة عن أسلوب تفكيرهم وعن الأساليب التى يمكن أن يتبعونها ضد حرب العصابات، التى يمكن أن تقتدى اسرائيل بها فى عملها ضد الفدائيين والسكان العرب فى الأراضى العربية المحتلة لأن اسرائيل فى الحقيقة جزء من الامبريالية العالمية وهى جزء فاشيستى عنصرى تتضاءل أمام فظائعه أعمال النازيين وقسوتهم . (المعربان)

للعصابات جذورا وسط الجماهير ، وهى تأخذ منها تنظيمها وحياتها ، ولا يمكنها أن تحيا وتتطور اذا انفصلت عن الشعب وفقدت مشاركة الجماهير وتعاونها (١) » . ومن هنا يستنتج ماوتسى تونج ان الديمقراطيات الشعبية وحدها قادرة على القيام بحرب العصابات لأن الثورة المضادة لا تستطيع اجتذاب الجماهير الى جانبها .

قاعدة رقم ٥ : يجب تنظيم عمليات مضادة للأنصار .

وذلك بانشاء قوات مضادة للأنصار وتدريبها وتسليحها واعدادها فى المناطق الخطرة من العالم احتياطا للطوارىء . لأنها ستقدم لنا فى الوقت المناسب فوائد جمة .

ولنر ماذا كتب لورانس وهو أكبر قادة الأنصار الانجليز :

« لقد سرت حتى نهر دجلة مع ١٠٠ من الجنود المحليين ، وهم شبان أصحاء ، ومقاتلون حقيقيون ، تدفعهم الرغبة بالعمل لاسعاد عائلاتهم . وشعرت بالقرب من هؤلاء الجنود بروعة كونى واحدا منهم وانجليزيا بنفس الوقت .... وكنا ندفعهم الى الانقضاض نحو الموت الزؤام ، لا لنربح الحرب ، بل لنستولى على قمح وبترول مابين النهرين ... لقد كان علينا أن نسحق عدونا ولقد تم ذلك بفضل مهارة اللنبى الذى استخدم الشعوب الناقمة على الأتراك ، فانتصر على عدوه ولم يخسر أكثر من ٤٠٠ قتيل من رجاله » (٢) .

ويدلنا التاريخ ان الأنصار كانوا جرحا لا يندمل بالنسبة للجيوش. فلقد أزعج الفدائيون البوير ٢٥٠ ألف جندى بريطانى خلال سنتين كاملتين . وفى فلسطين استخدم الانجليز قوة عسكرية تعادل فيلقا لمجابهة حفنة من الثوار (٣) . وفى خلال الحرب العالمية الثانية جمد اليوغسلافيون ٢١ فرقة ألمانية . ولقد رأينا ماذا حل بالألمان فى روسيا. ثم قام الكوريون والصينيون بعد الحرب العالمية الثانية بعمليات عصابات لا تنتهى . ويذكر ويليام . ل . ووردن ما يلى : « عندما شعر الأتراك بأنهم عاجزون عن الصمود مدة أطول بدأوا الانسحاب ببطء . وكان الطريق متعرجا يسير على طول ممر اجبارى يضيق فى ذروته .

---

(١) مظاهر الصراع الصينى ضد اليابان — المرجع المذكور سابقا ص ٣ .
(المؤلفان)

(٢) أعمدة الحكمة السبعة — لورانس — لندن ١٩٣٩ صفحة ١٩٤٣ وما بعدها .
(المؤلفان)

(٣) هيلارى سان جورج — البيريه الخضراء — لندن ١٩٤٩ — صفحة ٢١ .
(المؤلفان)

وفى لحظة انسحاب الأتراك ، فتح الصينيون النار من مواقعهم المخفية على طرفى الممر الاجبارى والمسيطرة على الطريق سيطرة تامة . ومع استمرار الصعود أصبح الأتراك أكثر حذرا بالنسبة لآلاف الأشخاص السائرين على جانبى الطريق ، وكان هؤلاء الأشخاص خليطا مؤلفا من جنود من جيش كوريا الجنوبية ، ومدنيين ، وأشخاص يتظاهرون بأنهم مدنيون ، وأشخـــاص آخرون لا ينبثون ببنت شـفه ، ولا يرفعون أبصارهم عن الأرض عند مرور الأرتال العسـكرية ... وكان لحذر الأتراك ما يبرره ، فعلى طول الطريق الصاعد الطويل كان هؤلاء الرجال يرمون أكياس الأرز ويخرجون منها بنادق حربية ، كما كان البعض يخلع لباس جنود كوريا الجنوبية لتظهر تحتها ألبسة عسكرية صينية وهكذا أصبح كل شيء خطرا ، وغـــدا من الواجب تفتيش كل قرية أو بيت أو كومة قش . وأصيب بعض الأتراك بطلقات فى رؤوسـهم فسقطوا من العـــربات ، بينما كانت الأرض حولهم خاليـة من أى انسان » (١) .

قاعدة رقم ٦ : يجب القيام باتصالات مع عناصر من بلاد العدو .

قاعدة رقم ٧ : نشر الفكرة الروحية .

قاعدة رقم ٨ : تأمين حيطة وأمن أراضينا .

وذلك بتدريب وحدات خاصة ووحدات الحرس الوطنى للعمل ضد العصابات .

قاعدة رقم ٩ : تدريب الجيش على العمليات المضادة للأنصار .

لقـد رأينـا كيف دفع الألمـان غاليا ثمن خطيئتهم التى ارتكبوها لانهم لم ينشئوا تنظيمات مضادة للانصار فى الوقت الملائم .

وعندما فهموا ذلك ارتكبوا خطيئة أخرى بترك الوحدات المكلفـة بالقتال ضد العصابات تتصرف حسب بداهتها . ان على جميع الجيوش وضع نظام للقتال ضد الأنصار . يعمل به الجيش والحرس الوطنى والشرطة والقوات الخاصة المضادة للانصار ، وان يتم تدريب الجميع تدريبا ممتازا . وهذا مثال للطريقة التى كان كوفباك يدرب بها رجاله :

« ان أهم الأشياء عندنا دراسة الأسلحة . فمفارزنا مسلحة بأسلحة استولينا عليها من العدو . وهذا يعنى وجود أسلحة متعددة مختلفة ،

---

(١) ويليـــام . ل . ووردن « الساعات الرهيبة التى مر بهـــا الأتراك » . ايفننج بوست – ٣ فبراير – ٣ فبراير (شباط) ١٩٥١ صفحة ٢٩ . (المؤلفان)

معظمها غريب عنا لا نعرف استخدامه أو ميزاته . لقد جمع الألمان من أوربا مجموعة كبيرة من البنادق والمسدسات والمسدسات الرشاشة والبنادق الآلية ، وكان علينا أن نعرف كل هذه الأسلحة ونتقن استخدامها دون أن يكون لدينا أية نشرة تعليمية عنها .

وعندما كنا فى غابة سبادشتشانسكى قلت للرفاق : ان لدينا الآن بنادق عادية ، فاذا ما استولينا على بندقية آلية أو رشاش من حقل المعركة وجب علينا أن ندير هذه الأسلحة فورا الى صدر العدو ، لذا فان من واجبنا دراسة هذه الأسلحة مسبقا . فكيف نفعل ذلك ؟ اذا استولى أحدنا على سلاح آلى علمنا طريقة استخدامه ، وما أن يظهر سلاح جديد فى المفرزة حتى يدرسه الجميع .

وان استولينا على هاون أصبح كل واحد منا سدينا من سدنة الهاون ... فان مر شخص قرب الملاجىء أو المراكز أو المراكز الأمامية لم ير مفرزة من الأنصار بل معسكرا للتدريب . فحيثما جال ببصره رأى جماعات من الأنصار ملتفة حول جذع شجرة تتعلم كيف تفك وتركب وتدرس سير حركة الأسلحة » (١) .

هذه هى الروح التى تحدثنا عنها قبل قليل ، ويدرك أهمية هذا الكلام كل من كان فى الماضى مدربا أو مصلح أسلحة .

وتكتيك الأنصار سهل لا يصعب تعلمه . ولقد اختصره رجال المقاومة السرية الفرنسية فى ثلاث كلمات « المفاجأة — الرمى بالرشاشات — الاختفاء » .

وسنذكر فى نهاية هذا الفصل كلمات بليغة قالها عجوز صينى . لقد كان أحد مؤلفى هذا الكتاب ضابطا فى الجيش البرى المكلف بالانزال فى شانغهاى عام ١٩٢٧ . وفى يوم من الأيام قابل فى المرفأ عجوزا صينيا ، فسأله عن الأسباب التى تدفع الصينيين الى رسم أو حفر عيون كبيرة على مقدمة مراكبهم . فأجابه :

« لو لم يكن لدينا مثل هذه العيون لما استطعنا أن ننظر ونرى .

« فاذا لم نتمكن من الرؤية تعذرت علينا المعرفة .

« واذا لم نعرف عجزنا عن العمل .

ومن واجب الجميع أن يفتحوا عيونهم ليروا ويعرفوا ويعملوا بسرعة .

---

(١) كوفباك — المرجع المذكور سابقا — صفحة ٥٤ وما يليها . (المؤلفان)

ملحـــق

المشروع الألمانى
لنظام القتال ضد عصابات الأنصار
القتـــال ضد العصابات
الى جميع الأسلحة والمصالح فى القوات المسلحة

القيادة العليـا للقوات المسلحة — مقر قيادة الفوهرر ٦ مايو (مايس) ١٩٤٤

توضع التعليمات حول « القتال ضد العصابات » موضع التنفيذ فى الجيش الألمانى اعتبارا من ابريل (نيسان) ١٩٤٤ . وتلغى تعليمات « القتال ضد عصابات الأنصار فى الشرق » الصـادرة فى ١١ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٢ .

رئيس أركان القيادة العليا للقوات المسلحة

التوقيع يودل .

فهرس المواد

المقــــدمة . . . .

١ ــ خطر العصابات . . . .

من الفقرة ١ الى الفقرة ١٦ . . . .

٢ ــ القتال ضد العصابات

(ا) القيادة :

١٧ ــ يرتبط القتال ضد العصابات ارتباطا وثيقا بمهارة القادة . ويعود نجاحه الى تفوق القيادة نفسها .

١٨ ــ تقع مسئولية القتال ضد العصابات على عاتق قائد القوات المسلحة وقائد قطعات الـ (S.S.) الذى يشغل فى نفس الوقت منصب رئيس الشرطة الألمانية .

١٩ ــ عندما يقتضى الموقف القيام بعمليات واسعة ضد الأنصار ، يعين لقيادة هذه العمليات رئيس مسئول تحدد سلطته على وحدات

الجيش وال (.S.S) المشتركة فى العملية وعلى السلطات المدنية اذا لزم الأمر ، وذلك باتفاق مسبق يتم بين جميع السلطات المعنية .

٢٠ ــ يتطلب العمل ضد الأنصار تعاونا وثيقا بين السلطات العسكرية وقيادة قطعات الـ (.S.S) والسلطات المدنية . ويجب تأمين هذا التعاون منذ ابتداء مرحلة التحضير ، أن جميع التدابير التى تتخذها السلطات المدنية (أعمال زراعية ، بناء طرق ، انشاء جسور ، أعمال قطع أشجار ... الخ) مرتبطة ارتباطا تاما بوضع العصابات . يجب احترام مصالح الادارة المدنية خلال العمليات ، ضمن الحدود الممكنة .

٢١ ــ ليس فى حرب العصابات جبهة محدودة أو حدود قطاعات . فاذا ما رأى القائد خلال عملية ما ضرورة الدخول فى قطاع مجاور ، وجب عليه الدخول دون تردد . ان مشاركة الوحدات المجاورة بالاطلاع على الموقف منذ بداية تحضير العمليات الكبيرة ، يسهل عملية تدخلها فى الوقت الملائم اذا لزم الأمر .

٢٢ ــ استخدمت الأساليب التالية بنجاح فى هذا النوع من العمليات :

(ا) تطويق العصابات وتطهير المنطقة المطوقة تطهيرا تاما ، ويعتبر هذا الأسلوب أفضل الأساليب وأكثرها فاعلية ... انه يتطلب اشتراك قوات كبيرة ولكن نجاحه مؤكد دائما .

(ب) تدمير العصابات بهجوم مفاجىء تليه مطاردة . ويستخدم هذا الأسلوب عندما لا يتوفر لنا القوات الكافية أو الوقت اللازم لتحقيق التطويق . أو عندما لا تسمح الأرض باجراء مثل هذا العمل . ومن الضرورى مطاردة العصابات بعد مهاجمتها بغية ابادتها ابادة تامة .

(حـ) استخدام وحدات كوماندوس المطاردة ضد العصابات . ان وحدات خاصة صغيرة مسلحة ومدربة على مثل هذه الأعمال قادرة على تفتيت العصابات وقطع مواصلاتها .

(د) الحماية ضد العصابات أنظر الفقرات من ٩٤ الى ١٢٨ . يجب اتخاذ تدابير الحيطة اللازمة لمنع العصابات من مهاجمة أماكن اقامة الوحدات ، والمنشآت الاقتصادية ، والسكك

الحديدية ومحطاتها ومنشآتها ، والطرقات ، والجسور والمصانع الحربية ... الخ .

٢٣ ـ يجب المحافظة على المبادأة دائما حتى ولو كانت قوات القائد المعينة لمجابهة العصابات محدودة . أن السلبية تؤدى الى أوخم العواقب ، وعلى الجميع أن يردوا على كل هجوم بهجوم معاكس .

ويختلف الأسلوب المستخدم فى القتال من مرة الى أخرى باختلاف القوات المتوفرة ، ووضع العصابات ، والوضع العام كله . ان الشجاعة والمبادهة وقدرة القائد على التلاؤم مع المواقف المختلفة ، والخبرة بهذا النوع من العمليات صفات تكمل بعضها بعضا ، وتسمح باستخدام الأسلوب الملائم للظروف ، مع تكبيد العدو أكبر خسارة ممكنة . ان البطء وعدم الفاعلية يعطيان للعصابات وقتا كافيا لتتمركز وتتقوى ، لذا يجب الهجوم دون ابطاء على العصابات المشكلة حديثا فى منطقة من المناطق .

ومن المستحيل ابعاد خطر الأنصار باستخدام وسيلة تكتيكية واحدة . ولا تصل أفضل الوحدات المضادة للأنصار الى النجاح الأكيد اذا لم تطهر المنطقة تطهيرا نهائيا من العصابات المتمركزة فيها . كما ان حراسة النقاط الحساسة تبقى دون جدوى ، اذا لم تقم القوات المكلفة بها بعمليات هجومية ، غايتها خلق منطقة أمان واسعة حول النقطة الحساسة . ان على القوات المكلفة بالقتال ضد العصابات ان لا تتمسك بأسلوب قتالى جامد ، لأن الأنصار يتلاءمون مع الموقف بسرعة ، ويأخذون التدابير الكفيلة باحباط هذا الأسلوب القتالى ، خاصة وانهم يتلقون من قيادتهم باستمرار التوجيهات اللازمة لذلك .

٢٤ ـ يتطلب القتال ضد العصابات فى جميع مراحله اتخاذ تدابير حيطة دائمة ... وعلى القائد اتخاذ تشكيلة تسمح بمجابهة المواقف المتبدلة المفاجئة ، مع الاحتفاظ بقوات احتياطية كافية تسمح له بتبديل مركز ثقل قوته فى كل لحظة . وأفضل القوات الاحتياطية ماكان مؤلفا من وحدات صغيرة آلية سريعة الحركة .

٢٥ ـ تنتشر القطعات فى القتال ضد العصابات على مساحات واسعة من الأرض ، لذا يصعب اشراف القائد المستمر الفعال على جميع قطعاته . ولكن التدابير الثلاثة التالية أثبتت فاعليتها فى معالجة هذا الأمر :

(أ) استخدام شبكة ارتباط جيدة مجهزة مسبقا . والأفضل أن تكون شبكة سلكية (هاتفية) مدعومة بشبكة لاسلكية (أجهزة لاسلكية خفيفة) . ان هذا الاستخدام يسهل عملية نقل المعلومات بسرعة الى مسافات واسعة .

(ب) تعطى الطائرات الخفيفة (طائرات استطلاع ــ طائرات هليكوبتر) للقائد قدرة كبيرة على الحركة وتساعد فى التدخل بسرعة فى المكان الحاسم .

(جـ) يؤمن القائد اشرافه على وحداته بالتقدم من قطاع الى آخر . وباعطاء الوحدات أهدافا متقاربة . اما اذا كان جهاز نقل المعلومات سيئا ، أو كانت منطقة العمليات واسعة فان على القائد أن يحسب حساب الوقت الضائع عند نقل المعلومات حتى تعمل وحداته المشتبكة بحرية داخل اطار المهمة التى تتلقاها . ومن المفيد اعطاء هذه الوحدات شرحا كافيا حول نوايا القائد ، والطريقة التى يرغب بها تحقيق هذه النوايا ، لتتمكن من العمل ضمن هذا الخط عند انقطاع الاتصال .

٢٦ ــ يجب تحقيق المفاجأة دائما فى القتال ضد العصابات ، وهذا مبدأ صالح دائما . وتعتقد العصابات أن القوات المضادة تتحاشى غالبا مهاجمتها فى الظروف الجوية السيئة ، أو فى الأراضى الصعبة التى تندر فيها الطرقات . كما تعتقد ان قطعاتنا لا تفضل العمليات فى المستنقعات أو الأدغال . فاذا ما قام قائد بعملياته ضد العصابات رغم سوء الأحوال الجوية أو صعوبة طبيعة الأرض فاجأ الخصم مفاجأة تامة .

وقد تعلم العصابات مسبقا بعملياتنا ضدها ، وهذا أمر يعرضنا لأخطار كبيرة . لذا يتولى الأعمال التحضيرية فى هيئات الأركان أشخاص على درجة عالية من الثقة ويتحاشى الجميع المحادثات الهاتفية الخاصة بالعملية ، ويحافظون على السرية باستخدام الشيفرة . ان العصابات تحاول دائما الاستماع الى محادثاتنا الهاتفية ، والتقاط اشاراتنا اللاسلكية لتستنتج منها بسرعة معلومات حول مشاريعنا المقبلة لمهاجمتها ، لذا فان من الضرورى استخدام التمويه والخداع فى عمليات الاشارة أو جمع المعلومات ، وتطبيق نظام حازم دقيق للمحافظة على الأسرار . ويفضل عدم اعلام القطعات عن مهماتها الا قبيل العمل مباشرة ... على ان لا تنسى القطعات خلال العمل ان

المفاجأة واجب رئيسى ، وأن عليها عدم الوصول الى نقاط التجمع قبل حلول الظلام ، وعدم احتلال قواعد الانطلاق قبل وصول كبد القوات .

٢٧ — . . . .

(ب) القطعات :

٢٨ — على جميع القطعات الألمانية أن تكون مستعدة للقيام بعمليات ضد الأنصار . بما فى ذلك وحدات التموين ، والوحدات الاختصاصية ، ووحدات الأمن .

٢٩ — يعتبر القتال ضد العصابات « حالة خاصة من حالات القتال » والسبب فى ذلك هو : أن العدو يستخدم أساليب قتالية خاصة ويتصرف تصرفات تختلف عما يحدث عادة فى الجبهات النظامية . كما ان مجابهة خداعه وخبثه وأساليبه الجديدة بحاجة الى انتباه وحزم وصرامة ... ومع هذا لا تعير معظم القطعات انتباهها لهذه الأمور . أنها تعتقد أن القتال ضد الأنصار عمل سهل ، ويعود اعتقادها الخاطىء الى انها اشتبكت عدة مرات مع عصابات صغيرة سيئة التسليح ، فلم تحس بالخطر ، ورات ان بامكانها اهمال هذه العصابات ، وتجاهلت الأخطار الجسيمة التى يمكن أن يسببها هذا التجاهل لها وللقطعات المجاورة ... ان على قادة القطعات أن لا يخلطوا بين اللامبالاة والجرأة .

٣٠ — يعطى الاستطلاع ، والمراقبة للقطعات نتائج هامة جدا ، ويقدم البحث واكتشاف مخابىء العدو معلومات لا يستهان بها . ويستحسن استخدام الكلاب البوليسية فى عمليات الاستطلاع ... وتشكل الألغام التى يزرعها الأنصار ، أو يتركها العدو خلفه خطرا أكيدا على قواتنا ، ومن الواجب كشفها وازالتها فى الوقت الملائم ، وتستخدم وحدات المهندسين لهذا الغرض بعد أن تدخل فى تشكيلات وحدات الاستطلاع ، والمقدمة ، ووحدات النسق الأول القائمة بالهجوم (انظر فقرة ٣٩) .

اذا احتاجت القطعات لادلاء فى مناطق مجهولة ، أمكنها أن تستخدم فى هذه المهمة الهاربين من جيش العدو ، والأسرى وبعض الأهالى الماهرين العارفين بمسالك الأرض — حطابين ، صيادين ، حراس غابات ... الخ — ولكن عليها أن تتخذ جميع التدابير اللازمة ، والاحتياطيات المعروفة حتى لا يخونها هؤلاء الادلاء .

٣١ ـ يتطلب القتال ضد العصابات استخدام وحـدات تأمين الحيطة ، فقد يظهر العدو في كل مكان . لذا تغطى تشكيلات المسير من جميع الاتجاهات ، وتقلل المسافات بين الوحـدات وتوزع الأسلحة الثقيلة على طول أرتال المسير .

فاذا كان علينا السـير على طريق مجهول لم يسبق استطلاعه ، اتخذنا التدابير التالية ضد الألغام :

ـــ تدفع القطعات أمامها بعض جذوع الأشجار المعـدة على شكل كاسحات .

ـــ تجبر الأهالى على ارسال قطعان ماشية أمامها على نفس الطريق.

وتؤمن القطعـات حيطتهـا بكل دقة خـلال فترات التوقف والاستراحات وذلك بتجنب بعثرة الوحـدات واستخدام تشكيلة « القنفذ » للدفاع حتى تستطيع الرمى فى كل الاتجاهات .

٣٢ ـ يجب أن تكون القطعات العاملة فى الأدغال قادرة على مطاردة العصابات والاشتباك معها داخل الأدغال ومناطق المستنقعـات ... ولكن الأدغال تخفى عادة عصابات كبيرة فعلى القطعات أن تؤمن حيطتها بالوسائل التالية :

ـــ استخدام الاستطلاع على نطاق واسع .

ـــ استخدام جهاز نارى أقوى من جهاز العدو النارى .

ـــ استخدام تشكيلات مسير ملائمة .

السرية هى أصغر وحدة قادرة على العمل منعزلة .

يتم التقدم على جبهة واسعة بغية اجبار العصابات على الاشتباك بالقتال . وحتى يستطيع المهـاجم استخدام أكبر عدد من الرجال والأسلحة بآن واحـد . ويحمى التقـدم بهـذا الشكل القطعـات من الكمائن التى تنصبها العصابات غالبا .

ويمكن استخدام تشكيلة ضيقة وعميقـة (أرتال) عندما يكون الموقف غامضا ، اذ تقدم هذه التشكيلة للقائد حرية المناورة وتساعده على التقدم . ولكن مجنباتها حساسة تحتاج الى تغطية ... واحتمال الوقوع فى الكمائن فى هذه الحالة كبير لأن القطعات تسـير على الطرق والمسالك والممرات الاجبارية . ومن مساوىء استخدام هذه التشكيلة

السماح للأنصار بتجنب الاشتباك والاختفاء أو الانسحاب الى الخلف أو التسرب الى الأمام .

تستخدم القطعات عند التفتيش الدقيق داخل الغابات ، سلسلة تتألف كل حلقة من حلقاتها من رجلين ، ولكن الوحدات المعتادة على العمل فى الغابات تفضل التقدم عادة بتشكيلات منتشرة .

تفيد وسائل الارتباط الجيدة فى ربط مختلف أطراف التشكيلة ، على أن يتم الاتصال دائما من اليسار الى اليمين ... يجب الاحتفاظ بقوة احتياطية تعادل ١/٨ تعداد القوات الأصلية ، ليستخدمها القائد فى مجابهة الحالات المفاجئة ، وتسير القوة الاحتياطية وبعض الأسلحة الثقيلة مباشرة وراء قائد العملية .

٣٣ ــ على قطعاتنا أن تؤمن دائما التفوق النارى على العدو ... لذا يسير خلف وحدات الهجوم عدد من الأسلحة الثقيلة ، وبعض قادة المدفعية لتوجيه نيران أسلحتهم القادرة على ضرب مقاومات العدو واسكاتها بأكبر سرعة ممكنة .

تجهز المقدمات بالأسلحة الثقيلة التي يمكن تمركزها واستخدامها بسرعة ، حتى تستطيع هذه المقدمات تأمين التفوق النارى منذ بداية الاشتباك مع العدو .

٣٤ ــ تتطلب المعركة النارية تدريب القطعات على القتال الليلى ... اذ تقضى هذه القطعات خلال العمليات الليل فى المكان الذى تفرضه مهمتها ، مهما كانت الأرض صعبة والأحوال الجوية سيئة . وتدل التجربة على ان القطعات تفضل المبيت فى القرى ، ولكن هذه وسيلة خاطئة لأنها تترك الأرض حرة لعمل العصابات دون مبرر .

٣٥ ــ يجب أن تكون القطعات جاهزة لمهاجمة العصابات المتمركزة على مواقع محصنة . ومن الضرورى فى هذه الحالة احتلال هذه المواقع بهجوم مفاجىء جرىء تقوم به قطعات آلية سريعة الحركة ، حتى ولو لم تكن مزودة بأسلحة ثقيلة .

٣٦ ــ على القطعات أن تتقن التقدم بدون جلبة ، مستخدمة تمويها جيدا ، لأن الصمت والتمويه شرطان لازمان لتحقيق المفاجأة .

٣٧ ــ يجب أن يكون التسليح متلائما مع خصائص حرب العصابات ، وعلى القطعات أن تحمل أسلحتها الثقيلة على ظهور الرجال

والرواحل فى المناطق المحرومة من الطرق . وتعطى الأسلحة التى يسهل استخدامها نتائج فعالة ضد العصابات . ولقد أثبتت الأسلحة الخفيفة ، والمسدسات الرشاشة ، والبنادق الآلية ، والبنادق المزودة بمنظار ، والرشاشات الخفيفة والثقيلة ، والمدافع م / د الخفيفة والثقيلة ، والمدافع م / ط الخفيفة (١) ، ومدافع المشاة الخفيفة ، وقاذفات اللهب الخفيفة ، أثبتت كلها انها أسلحة فعالة فى القتال ضد العصابات داخل الأدغال والمستنقعات . أما المدفعية الثقيلة والمدافع م / ط الثقيلة فهى تعرقل كثيرا سير الوحدات العاملة ضد الأنصار فى الأراضى الصعبة . ولكنها مفيدة للقوات الاحتياطية ، أو للقوات التى تتلقى عند التطويق مهمة التدخل لسد قطاع معين من الأرض (انظر الملحق رقم ١) .

٣٨ — يمكن استخدام عربات الاستطلاع والعربات المدرعة (المصفحات) والدبابات الحديثة أو القديمة فى القتال ضد العصابات . فهى تملك قدرة نارية كبيرة ، ولها على الأنصار تأثير معنوى هائل . ولكن استخدام هذه المعدات صعب أو مستحيل أحيانا فى الغابات والمستنقعات والجبال .

٣٩ — وللمهندسين أهمية حيوية لأنهم يقومون باصلاح الطرق والجسور التى تدمرها العصابات غالبا ، ويفتحون المسالك فى المستنقعات والأدغال ، وينزعون الألغام ، وينسفون مواقع الأنصار المحصنة وأماكن اقامتهم .

٤٠ — والوحدات الراكبة (الخيالة) مهمة أيضا فى هذا النوع من القتال ، وخاصة فى معارك الاستطلاع الرامية الى جمع المعلومات داخل الأراضى الوعرة أو المحرومة من الطرقات . ويمكن استخدام الوحدات الآلية فى مثل هذه المهمات اذا سمحت شبكة الطرق بذلك .

٤١ — يجب أن يكون تحت امرة القائدة المسئول عن عملية مستقلة ضد العصابات ، عدد كاف من الوحدات الخاصة والوحدات الراكبة (خيالة) . وهو يجمعها داخل تشكيلات مختلطة قادرة على القيام بكل مراحل المعركة دون دعم . ويسير مع هذه التشكيلات المختلطة ، أو مع

---

(١) لا تملك العصابات دبابات أو طائرات ، ومع هذا تستخدم القطعات المضادة للأنصار المدافع م/د (المضادة للدبابات) والمدافع م/ط (المضادة للطائرات) لضرب مواقع العصابات القوية بقنابل متفجرة أو محرقة ، مستفيدة من خفة هذه الأسلحة ودقة رميها وغزارة نيرانها . (المعربان)

كل كتيبة على الأقل مترجم ومفارز من مصلحة الأمن العسكرى للرايخ (S.D.) وبعض رجال الشرطة العسكرية للقيام باستجواب الأسرى بسرعة فور توقيفهم .

٤٢ ــ يجب أن تكون القطعات خفيفة سريعة الحركة ، اذ تستطيع القطعات الآلية أو المنقولة على سيارات نقل عادية ، مطاردة العصابات السريعة ، وسبقها ، وقطع الطريق أمامها . وتستخدم القطعات فى الشتاء عربات كعربات الفلاحين تجرها الرواحل . كما تستخدم زحافات وحيوانات لحمل الأثقال ... الخ .

٤٣ ــ فاذا كان على القطعات التقدم عبر المستنقعات حملت معها عتادا خاصا مؤلفا من حصائر من الأعمدة الخشبية التى تسمح بعبور المناطق الموحلة ، وعوامات مصنوعة من الأغصان المتشابكة تسمح باجتياز المستنقعات وزحافات خاصة للمستنقعات . ويحمل هذا العتاد على عربات النقل التى تقطر الأسلحة الثقيلة أو تحمل الذخيرة . وفى الصيف تصبح الكلل (الناموسيات) ضرورية لوقاية الرجال . أما فى الجبال فمن الضرورى استخدام عتاد خاص يلائم طبيعة الأرض .

٤٤ ــ تصنع الوحدات عند الضرورة المعدات والتجهيزات اللازمة التى تتطلبها ظروف المعركة وطبيعة الأرض .

٤٥ ــ تحمل القطعات المضادة للأنصار وسائل خفيفة متعددة للارتباط والاشارة . وتستخدم المراسلين (من الخيالة أو راكبى الدراجات النارية) اذا لزم الأمر وسمحت الأرض بذلك .

٤٦ ــ ان التموين فى مناطق عمل العصابات عملية صعبة جدا .. لذا تحمل القطعات معها ، منذ انطلاقها ، كمية كبيرة كافية من الذخيرة والمتفجرات والاعاشة ، ويمكنها مصادرة المواد الغذائية عند الضرورة .

أما المفارز الصغيرة ومفارز كوماندوس المطاردة فتزود بالآليات وبكميات كبيرة من الأغذية والذخيرة ، ويرافقها عدد كاف من رجال مصلحة الخدمات الطبية والمصلحين الميكانيكيين ، حتى تستطيع القتال منعزلة خلال عدة أيام .

٤٧ ــ مصلحة الخدمات الطبية . . . .

٤٨ ــ تقدم وحدات الأهالى المحلية خدمات كبيرة اذا ما استخدمت داخل صفوف قواتنا أو بارتباط وثيق معها . ومن الواجب تحصين

رجال هذه الوحدات ضد الدعايات المعادية ، وذلك بتوعيتهم بدعايات معاكسة فعالة ، وبتكليفهم باستمرار فى مهمات قتالية تشغل وقتهم ، وتمنعهم من الاتصال مع المدنيين الذين تجد دعايات الأنصار بينهم أرضا خصبة .

(ج) الاستطلاعات :

٤٩ ـ هنا يجب أن نفرق بين :

— البحث عن المعلومات الخاصة بنشاط الأنصار .

— الاستطلاعات قبل بدء العمل .

— الاستطلاعات خلال العمل .

أولا ـ البحث عن المعلومات :

٥٠ ـ ويهدف الى تكوين فكرة عن الوضع العام للعصابات .

٥١ ـ يشتمل البحث عن المعلومات على ما يلى :

— نقل جميع المعلومات المتعلقة بالعصابات .

— تأمين الرصد .

٥٢ ـ يجب إنشاء مراكز لجمع المعلومات مرتبطة بالقادة المسئولين عن القتال ضد العصابات ، أو قرب الوحدات التابعة لهم . وتعتمد هذه المراكز على نقل المعلومات بصورة جيدة ، فاذا ما دأبت العصابات على قطع المواصلات الهاتفية باستمرار وجب استخدام اللاسلكى .

٥٣ ـ يجب أن ترسل التقارير عن العصابات مباشرة الى مراكز جمع المعلومات ، ولكتابة هذه التقارير انظر الفقرتين ٦٤ و ٦٨ .

٥٤ ـ تنقل المعلومات الهامة بعد اعطائها أفضلية أولى .

٥٥ ـ يدرس هذه المعلومات القادة المحليون المسئولون عن القتال ضد الأنصار . وتتطلب هذه الدراسة خبرة واسعة ، ومعرفة تامة بالعادات المحلية . ويقدم نشاط العصابات للحصول على التموين معلومات هامة لمن يحسن دراسته ، ويمكن أن نستنتج عدد الأنصار اذا عرفنا كمية المواد التموينية التى صادروها ، وعدد أفراد المفرزة المكلفة بالمصادرات ... الخ . على أن تدرس أقوال الأهالى المدنيين بحذر شديد ، فأقوالهم الخاصة بعدد الأنصار وخسائرهم وطبيعة حياتهم

لا تخلو من المبالغات الكبيرة وقد تكون المبالغة مقصودة بنـاء على توجيهات الأنصار وبالتواطؤ معهم .

٥٦ ــ على القائد أن يتخذ قرارا سريعا بعد دراسة المعلومات . فاذا ما رأى ضرورة القيام بعمل سريع ، أصدر أوامره الملائمة للموقف وقام بالعمل ببدإهته وامكانياته ورفع المعلومات الى السـلطة الأعلى مباشرة مع تقرير ملائم (انظر الفقرة رقم ٥٣) .

اما اذا رأى ان العمـل ضرورى ، ولكن القوات اللازمة لذلك غير متوفرة لديه فانه يرفع المعلومات الى السلطة الأعلى مباشرة مع تحديد وجهة نظره حول امكانية القيام بالعملية ، والقوات اللازمة لذلك .

٥٧ ــ (حول كتابة تقارير يومية عن العصابات ...) .

٥٨ ــ (حول تبادل المعلومات مع المراكز المجاورة) .

٥٩ ــ فى كل يوم تقوم الوحدات والمكاتب المسئولة عن القتال ضد الأنصار بوضع المعلومات القادمة عن العصابات على خرائط المنطقـة والمناطق المجاورة .

ثانيا ــ الاستطلاع قبل بدء العمل :

٦٠ ــ يتخذ القائد المسئول قبل كل عملية ، التدابير اللازمة ليحصل فى الوقت الملائم على جميع المعلومات الضرورية لاتخاذ القرار . وتقع مسئولية جمع المعلومات على عاتق القائد الذى يكلف بها بعض عناصره.

وبعد دراسة المعلومات المجمعة بالوسائل العادية ، يأمر القائد باجراء استطلاعات تحدد مكان اقامة العصـابات ، وحالة الطـرق ، وقوات الأنصار وتسليحهم وهنالك ثلاث وسائل لتنفيـذ هـذه المهمـة الاستطلاعية .

(ا) استخدام الرجال الموثوقين : يمكن الاستفادة من هذه الوسيلة فى جميع الحالات وخاصة عندما يتطلب الاستطلاع اهتماما خاصا .

(ب) استخدام وحـدات كوماندوس المطـاردة : تستخدم هـذه الوسيلة عند الاستطلاع فى منطقة تعمل فيها العصابات بقوة ، أو عندما تكون العصابات كبيرة العـدد أو فى المناطق التى لا يتخلى عنها الأنصار دون قتال .

(ج) استخدام طائرات الاستطلاع والهليوكوبتر ، ولا تستخدم هذه الوسيلة الا فى المناطق التى اعتادت الطائرات التحليق فوقها ، والا استنتجت العصابات أن هنالك عمليات تحضر ضدها . وينطبق هذا الأمر على العصابات الصغيرة التى تتحاشى كل صدام ، ولكنه لا ينطبق على الحالة التى تكون فيها العصابات قوية ومستعدة للاشتباك فى معارك كبيرة .

عندما تبدأ العصابات بالانسحاب ، يمكن استخدام الاستطلاع الجوى دون أى تحفظ .

٦١ — (حول الرجال الموثوقين)

٦٢ — (حول السكان المدنيين)

٦٣ — (حول مراقبة النقل الجوى)

٦٤ — يجب أن تكون المعلومات عن الأنصار صحيحة ، وخالية من كل مبالغة .

٦٥ — يجب أن تكون التقارير حول نشاط العصابات قصيرة وواضحة ... على أن يذكر فى التقرير الأول المتعلق بعصابة ما النقاط التالية :

متى شوهدت العصابة ؟

ما هى قوتها ؟

ماذا كانت تعمل ؟

كيف كان تشكيلها ؟

وترسل التفاصيل بعد ذلك على شكل ملحق يتضمن ما يلى :

اسم رئيس العصابة واسم مفوضها السياسى .

لمن تتبع العصابة مباشرة ؟

أين تعسكر العصابة ؟

أين تقع معسكراتها الاحتياطية والتبادلية ؟

من أين أتت العصابة ؟

الى أين تذهب ؟

ما هو تسليحها ؟

ما هى الآليات ووسائل النقل التى تملكها ؟

ما هى الخسائر التى الحقتها بالمنطقة ؟

ما هى صفاتها الخاصة المميزة الأخرى ؟

٦٦ ــ (حول المصطلحات المستخدمة فى التقارير) .

٦٧ ــ (حول أسماء القرى فى التقارير عن العصابات) .

٦٨ ــ (حول تحديد العصابات فى التقارير) .

ثالثا ــ الاستطلاع خلال العمل :

٦٩ ــ الاستطلاع ضرورى خلال كل مراحل القتال ضد الأنصار ، وفى جميع القطاعات بما فى ذلك المؤخرات والمجنبات . وتقع المسئولية هنا على قائد العمليات ، وقادة الوحدات التابعة له .

مهمة هذه الاستطلاعات ما يلى :

ــ كشف القوات المعادية المختفية والموهة .

ــ كشف محاولات التملص أو الخرق فى الوقت المناسب .

ــ حماية كبد القوات من أى هجوم مفاجىء ، أو من الوقوع فى الكمائن .

ــ معرفة مواقع العدو وأحسن المسالك للتقرب منها .

وتتم الاستطلاعات خلال العمل حسب نوع الوسيلة المستخدمة ، وتدعم الوحدات المكلفة لهذا العمل لتكون قوية قادرة على تنفيذ مهمتها. وتعتبر وحدات كوماندوس المطاردة المدربة أحسن وسيلة لمثل هــــذه الاستطلاعات .

٧٠ ــ يشكل استجواب الأسرى مصدرا من أهم مصادر المعلومات ومن الخطأ اعدام الأنصار الأسرى فورا بدون استجواب .

٧١ ــ يسمح الاستجواب التكميلى لبعض الأسرى ، بالحصول على المعلومات المطلوبة عن عدد العصابة وتشكيلها ووسائل ارتباطها .

(د) أساليب القتال ضد العصابات :

أولا ـ التطويق والابادة :

٧٢ ـ على القطعات محاولة تطويق العصابات وابادتها مهما كانت العصابات صغيرة . ويتم التطويق بنجاح ساحق عندما تتوفر للمهاجم القوات اللازمة .

٧٣ ـ يهدف التطويق قطع مسالك الانسحاب عن العدو ، وتدميره بعد ذلك بصورة منهجية دقيقة كاملة .

٧٤ ـ تؤخذ الملاحظات التالية بعين الاعتبار عند تقرير القوات اللازمة لتحقيق التطويق :

ـ ان طوقا ضعيفا مؤلفا من وحدات مبعثرة لا يكفى لمحاصرة العصابات . ومن الضرورى انشاء خط التطويق على شكل خطوط دفاعية قوية مؤلفة من المخافر الأمامية ، وكبد القوات المدعومة بأسلحة ثقيلة ، ومجموعات الاحتياط المتحركة فى الخلف .

ـ يجب أن يشمل التطويق الأرض التى تحتلها العصابات فعلا ، ولا يدخل ضمن اطاره الأراضى المجاورة المشبوهة أو التى يتردد اليها الأنصار أحيانا .

ـ اذا كانت القوات الموجودة غير كافية لتطويق جميع أرجاء المنطقة التى يحتلها العدو ، اكتفت هذه القوات بتطويق أهم أجزاء المنطقة وأكثرها خطورة .

٧٥ ـ يتم تحضير العملية وتنفيذها بكل دقة وسرية ، وهذه أمور هامة رئيسية . لذا تجمع القوات المشتركة فى العملية بعيدا عن مركز المنطقة التى تحتلها العصابات . وليس من الضرورى دائما اختيار نقاط تجمع تلتف على شكل حلقة حول المنطقة الواجب تطويقها ، لأن ذلك يكشف نوايانا قبل الأوان . واذا أردنا خداع استخبارات الأنصار قمنا بالمسير والتقرب نحو نقاط التجمع بشكل يبلبل الاستخبارات ، ويجعلها عاجزة عن تقدير مخطط مناورتنا ، أو يدفعها الى أخذ صورة خاطئة ، والقيام بتقديرات مغايرة للواقع .

التطويق

المسير للتقرب من خط التطويق

وكلما ازدادت آلية القوات وقدرتها على الحـــركة كانت امكانية مفاجأة العصابات أكبر ثم تتحرك القطعات من منطقة التجمع نحو خط التطويق بشكل تصل معه جميعها الى هذا الخط بآن واحد ، والاستطلاع المسبق للطرق ومسالك التقرب مهم جدا ... فاذا ما صادفت القطعات خلال حركتها نحو التطويق وحدات حماية معادية متفرقة ، أو عصابات

ملحقة صغيرة ، تجاهلتها وتابعت تقدمها بعد تدمير المقاومات التى تعرقل التقدم بسرعة لأن الهدف هو تطويق العصابة الكبيرة بشكل أكيد .

تحدد خطوط التطويق المتتالية حسب طبيعة الأرض ، مع اختيار أكثر الخطوط صلاحية للدفاع . ويمكن استخدام مسالك الغابات والطرق المستقيمة المفتوحة فيها كخطوط تطويق متعاقبة أما فى الجبال فيتم اختيار خطوط التطويق حسب خط الذرى (أنظر المخطط ص ٢٣٦) .

٧٦ ــ والفترة الحرجة فى بداية العملية ، هى الفترة التى تبدأ بالتقرب نحو خط التطويق وتنتهى بالوصول الى هذا الخط وتحضيره دفاعيا ، وتحاول وحدات الأنصار فى هذا الوقت جس نبض خط التطويق لتحديد نقاط ضعفه ، والقيام بخرق سريع فى هذه النقاط . لذا يدعم النسق الأول منذ أول مراحل التطويق بأسلحة ثقيلة .

٧٧ ــ وما أن يتم التطويق حتى تأخذ القطعات جميع التدابير لصد محاولات الخرق المعادية . وتبذل اهتماما خاصا بالممرات والمسالك ونقاط المرور الاجبارية والمستنقعات والأنهار .

ويكتفى فى المناطق المكشوفة بوضع خطوط من نقاط الاستناد ، على أن تكون هذه النقاط متقاربة من بعضها ، وقادرة على تحقيق الدعم المتبادل بالنيران . وتشمل نقاط الاستناد دفاعا دائريا قادرا على الرماية فى جميع الاتجاهات ، وترتبط مع بعضها بمفارز اتصال ودوريات ، تكون مهمتها سد الثغرات ومنع عمليات التسلل بين النقاط .

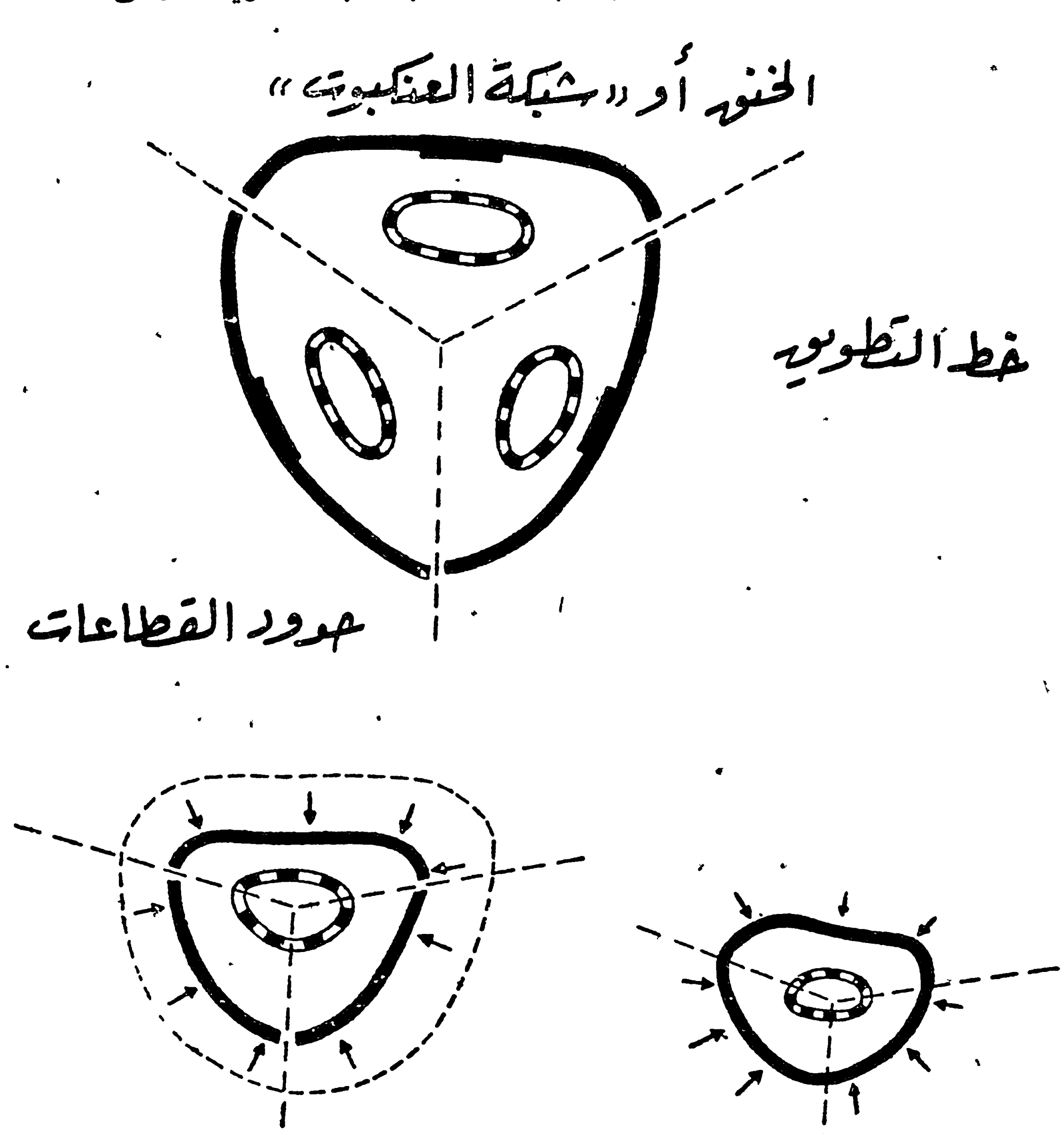
ويعتمد الدفاع بصورة رئيسية على القوة النارية لأسلحته الثقيلة ، وتضرب قاذفات الرمانات والهاونات ومدافع المشاة الخفيفة بنيرانها القطاعات الهامة التى لا تشغلها القطعات . وتراقب المدافع المضادة للدبابات الممرات والطرقات المؤدية الى خط التطويق . وتوضع مخططات نارية ملائمة ، وتندفع الى الأمام مراكز مراقبة أمامية (مؤلفة من رصاد أماميين) وتنطلق أمامها أيضا دوريات استطلاع قوية . اما فى الخلف فتتجمع قوات آلية سريعة الحركة تشكل احتياط خط التطويق ومؤخرته .

يجب أن تبقى كافة القوات المشتبكة فى العملية على اتصال وثيق فيما بينها وأن تكون حذرة ، وتنتظر ظهور العدو فى كل الاتجاهات .

تسحق محاولات الخرق المعادية بتركيز النيران عليهـــا ، فاذا ما نجحت بعض العناصر المعادية رغم ذلك بعملية التسلل ، وخرجت من الطوق ، فان قطعات التطويق تبقى ثابتة فى مكانها لسد الثغرات ، بينما تقوم القوات الاحتياطية بمطاردة وابادة الأنصار الذين نجحوا فى الخروج من الطوق .

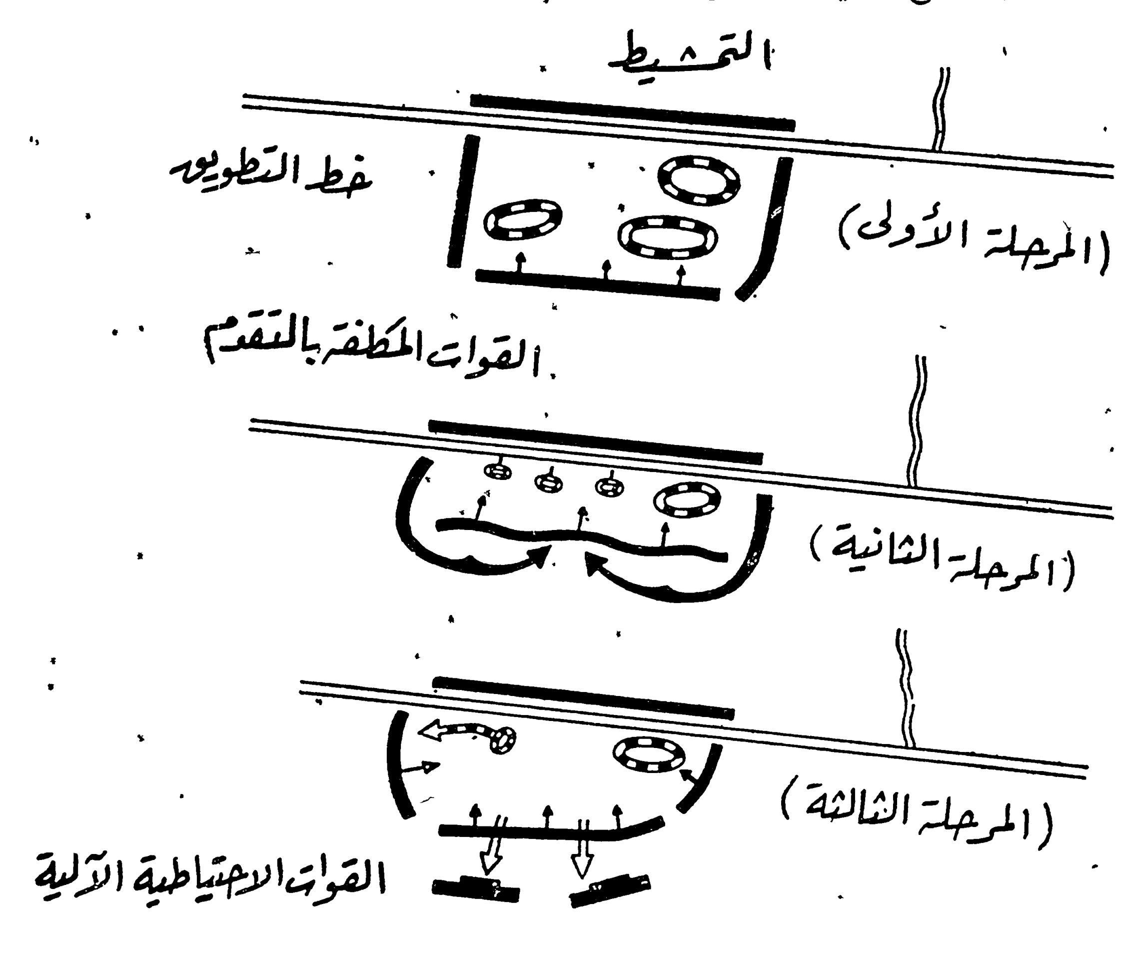
تستخدم القطعات الآلية والخيالة والدبابات فى عمليات التطويق اذا سمحت الأرض بذلك . أما اذا كانت الأرض غير ملائمة ، فتوضع هذه القطعات مع القوات الاحتياطية .

٧٨ ـ هنالك عدة أساليب لابادة العصابات بعد تطويقها وهى :



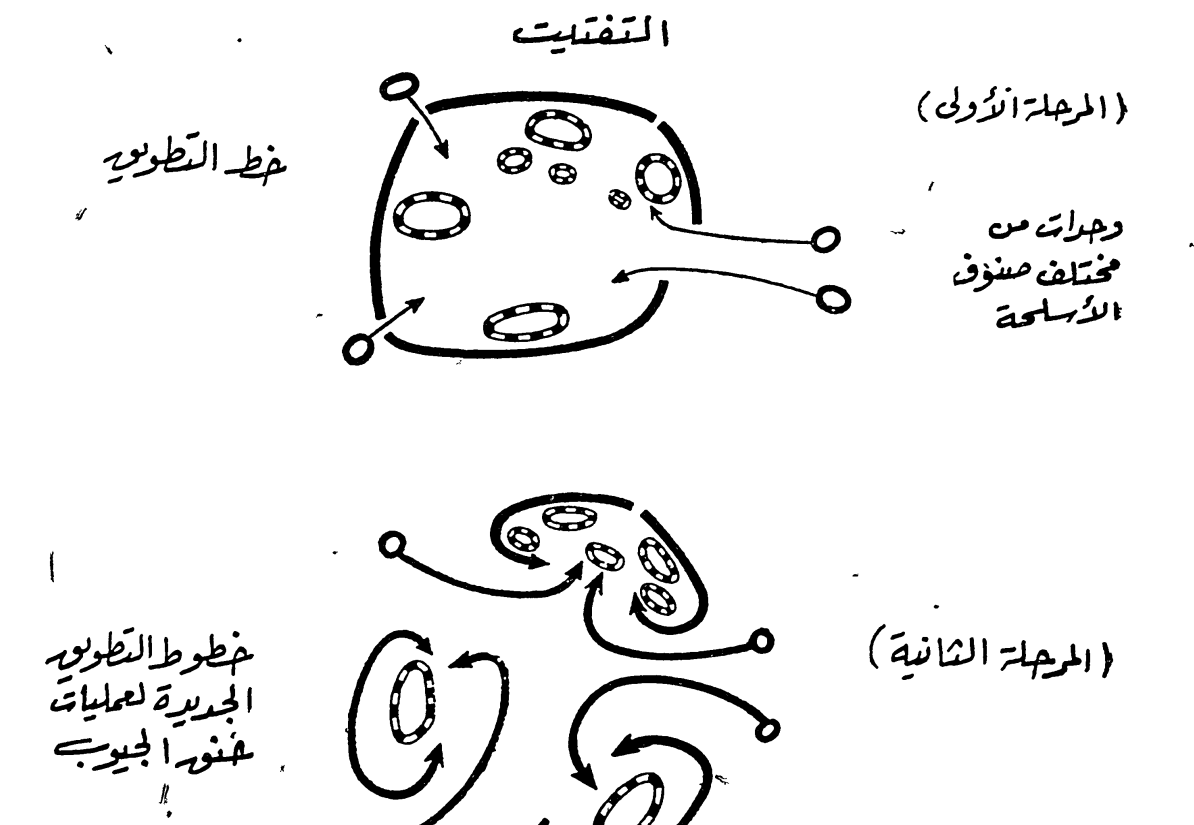
(ا) الخنق : (انظر المخطط فى الصفحة ٢٣٨) ويتم بتضييق خط التطويق بتقدم مستمر من جميع الجهات نحو المركز . وتبدو هذه الطريقة بسيطة ، ولكن لا يمكن استخدامها الا فى تطهير المناطق الصغيرة. ويصعب تطبيقها على مساحات واسعة من الأرض . لأن طول خطوط التطويق ، يجعل القوات المشتركة فى العملية عاجزة عن التقدم بسرعة واحدة ، وهذا ما يؤدى الى انقطاع الاتباط ، فتنفتح بذلك ثغرات يستغلها العدو للانسحاب بسرعة .

(ب) التمشيط : (انظر المخطط فى الصفحة ٢٣٩) فى هذه الحالة تتقدم القوات الموجودة على جانب من جوانب الطوق لتفتش الأرض ، على حين تبقى القوات الأخرى ثابتة . وتدفع القوات المتقدمة العصابات نحو الوحدات الثابتة المتمركزة على خط التطويق ، وهنا ترى العصابات أن تراجعها يعنى وقوعها فى النهاية تحت رحمة الوحدات المتمركزة ، فتحاول التسلل عبر التشكيلات المتقدمة ، لهذا تنشر بعض القوات الاحتياطية على مسافة كافية خلف القوات المتقدمة ، تكون مهمتها الاشتباك مع ما يتسلل من العصابات .



وتستخدم هذه الوسيلة عندما يحدد المهاجم بصورة أكيدة خط انسحاب العصابات ، كما انها تعطى مردودها الأقصى ، عندما تستطيع القطعـات الثابتة على خط التطويق الاستناد على خط ملائم للدفاع (نهر ، هضبة مشجرة ، نطاق من الغابات ... آلخ) بحيث يتعذر على العصابات خرق الطوق فرارا من القوات المتقدمة ، فتقع بين نارين وتتعرض للابادة .

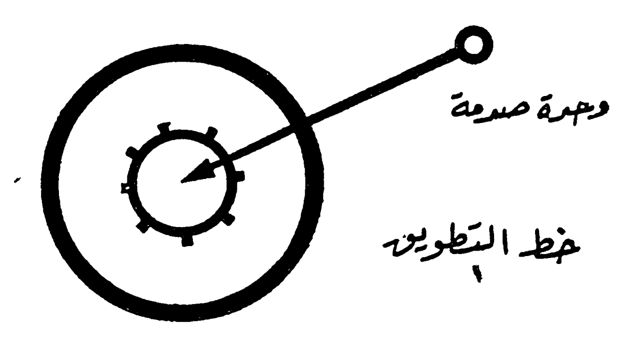
(جـ) التفتيت : وتطهير الجيوب . (انظر المخطط فى الصفحة ٢٤٠) ما ان تأخذ قطعات التطويق مكانها ، حتى تتقدم قوات مؤلفة ، من مختلف صنوف الأسلحة ، وتجتاز الطرق متجهة نحو مركز المنطقة المطوقة ، أو نحو مواقع العصابات المعروفة لدينا . وتبقى كافة قوات التطويق ثابتة فى مكانها . وهكذا تجزأ المنطقة المطوقة ، وتحرم العصابات من حرية العمل ، وتفقد القدرة على استطلاع الطوق وتحديد نقاط ضعفه لخرقها . وما أن تجد العصابات نفسها معرضة للهجوم بقوة داخل مواقعها . حتى تضطر الى تقسيم قواتها الى عدة أقسام ، عندها تتقدم



القوات الموجودة على خط التطويق محاولة الاتصال مع قوات مختلف الصنوف العاملة داخل المنطقــة ، فتنقسم المنطقــة المطوقة الى جيوب صغيرة يمكن تطهيرها بعد ذلك بسهولة ودون تسرع .

ويتطلب تطهير منطقة واسعة عمليات تدوم عدة أيام ، وفى هــذه الحالة يعطى القائد للقطعات أهدافا يومية ويحــدد لها خطوط تطويق متتالية تضيق باستمرار . وتطبق قواعد التطويق التى ذكرناها سابقا فى عمليات تطهير الجيوب .

(د) استخدام وحدات الصدمة : (انظر المخطط فى الصفحة ٢٤١) اذا كانت العصابات الواجب تطويقها مقيمة فى معســكر دائم ، وأكدت المعلومات بأنها ستدافع عن معسكرها بصلابة دون تفكير بالانسحاب . فان على القوات المهاجمة تطويق المنطقة المحددة ، وتشكيل وحــدات صدمة من القوات الاحتياطية . وتنطلق هذه الوحدات لتهاجم المعسكر وتدمر العصابة ، وتكون مهمة خط التطويق عندئذ ايقاف الأنصار الذين يحاولون الانسحاب ، وتفتيش المخابىء التى قد يلجأون اليها .



٧٩ ــ يجب أن لا نحمل محمــل الجــد المعلومات التى يقدمها لنا الهاربون من معسكر العصابات ، وأن نحاول التأكد من صحتها بوسائل أخرى .

ثانيا ــ تدمير العصابات بهجوم مفاجىء تليه مطاردة عنيفة :

٨٠ ــ اذا كانت القوات المتوفرة غير كافية لتحقيق تطويق العصابة. أو اذا لم يكن لدينا الوقت الكافى لذلك ، فان من الواجب اجبار الأنصار على الاشتباك ، وذلك بمهاجمتهم بصورة مفاجئة وتدميرهم ومطــاردة فلولهم التى تتبعثر على شكل جماعات صغيرة . وهنا لابد لنا من الاشارة

الى احتمال نجاة عدد كبير من الجماعات الصغيرة ... وتطبق هذه الوسيلة عادة ضد عصابات لم تنته بعد من بناء معسكراتها أو ضد عصابات تقوم بالانتقال من مكان الى آخر .

٨١ ـ والفكرة الرئيسية فى هذه الحالة هى : تدمير العصابة بمهاجمتها فى نقطة حاسمة بوسائل متفوقة ، ومطاردتها بعنف ، وأبادتها .

٨٢ ـ والاستطلاع المسبق هنا ضرورى جدا نظرا لسرعة تنفيذ العمل . وعلى القوات المضادة للأنصار أن تراقب مكان العصابة وحركاتها مراقبة دقيقة قبل تنفيذ المناورة .

٨٣ ـ تعتبر المفاجأة أهم أسباب نجاح مثل هذه العمليات . لذا تجمع القطعات بعيدا عن مسرح العمل ثم تدفع بعد ذلك بسرعة على الطرقات التى تم استطلاعها مسبقا بشكل خفى .

٨٤ ـ يختلف تطور المعركة باختلاف رد فعل الأنصار ... فاذا ما قررت العصابات الاشتباك بالقتال نفذت القوات المهاجمة المخطط المجهز مسبقا ... اما اذا حاولت العصابات التملص وعدم الاشتباك ، فان على القطعات المهاجمة أن تنتظم داخل أرتال ، وتندفع بسرعة لتتجاوز العصابات وتضربها من المجنبة أو الخلف . فان تبعثرت العصابة كان على المهاجم مطاردتها فورا بعنف ... وعندما تختفى العصابة وينقطع التماس معها تتوقف القطعات المهاجمة ، وتعود الى الاستطلاع من جديد لتنظيم مخطط عملية جديدة .

٨٥ ـ والمطاردة فى هذه الحالة عملية صعبة منهكة كعملية الصيد فى الأدغال . وهى تهدف الى ملاحقة العصابة وتطويقها وتدميرها . ولا يمكن للمطاردة أن تنجح الا اذا كانت القطعات قادرة على الحركة بسرعة فائقة . لذا تلقى وحدات المطاردة مهمة نقل ذخيرتها واعتدتها على عاتق وحدات صديقة أخرى .

وعلى قوات المطاردة أن تتجه قبل كل شيء نحو مقر قيادة العصابة محاولة أسر القيادة أو تدميرها .

ثالثا ـ استخدام وحدات كوماندوس المطاردة ضد العصابات :

٨٦ ـ يسمح وجود وحدات كوماندوس المطاردة بالقتال بفاعلية ضد العصابات ، حتى عندما تكون قوات الكوماندوس أقل عددا من

الأنصار . فوحدات كوماندوس المطاردة وحدات مؤهلة ومعدة للقيام بعمليات استطلاعية قادرة على تدمير المقاومات التى تعترض سبيلها . ويمكن استخدام كوماندوس المطاردة كوحدات صدمة . ان على القيادات المكلفة بالقتال ضد العصابات أن تشتبك كلما سنحت لها الفرصة الملائمة ، لذا تحتفظ هذه القيادات بوحدة من كوماندوس المطاردة جاهزة للعمل السريع ، وقادرة على التدخل فى كل لحظة .

وعلى وحدات كوماندوس المطاردة أن تعمل بشكل يحرم الأنصار من الراحة ويقطع تموينهم ويمنعهم من تشكيل عصابات جديدة . كما ان عليها تأمين حيطة الوحدات الصديقة الثابتة بتطهير المنطقة حولها من العصابات .

٨٧ ــ ويعتمد عمل وحدات كوماندوس المطاردة على تقليد أساليب قتال العصابات ، والتلاؤم مع الظروف المحلية ، بغية التقرب من العصابات بسرية ، ومفاجأتها وتدميرها .

٨٨ ــ وأفضل المناطق لعمل وحدات كوماندوس المطاردة هى المناطق التى ترتادها العصابات لمصادرة المواد الغذائية ، أو تعبرها للقيام باغارة أو لتنفيذ عمليات النسف والتخريب .

أما المناطق التى تملك العصابات فيها معسكرات ومواقع محصنة فلا تصلح لعمل وحدات كوماندوس المطاردة .

٨٩ ــ لا يجب أن يقل تعداد وحدة كوماندوس المطاردة عن الفصيلة ، كما لا يجب أن يتجاوز السرية ... وتجهز هذه الوحدات بتجهيزات خاصة (ألبسة تمويه ، ألبسة شتوية) ، زحافات ، عربات فلاحين تجرها الرواحل ، حيوانات جر ، زحافات فردية ، معدات طبخ ، أجهزة لكشف الألغام ، أدوات حفر من كل نوع ، أجهزة هاتفية صالحة للعمل على الخطوط الموجودة لنقل التقارير أو الاستماع لمكالمات العدو ، أجهزة لاسلكية ... الخ) ويجب أن يكون تسليحها جيدا (عدد كبير من المسدسات الرشاشة ، والبنادق الآلية ، والرشاشات الخفيفة ، وقاذفات الرمانات الخفيفة ، والقنابل اليدوية) . وتحمل وحدات كوماندوس المطاردة كمية كافية من المؤن والذخائر حتى تستطيع القتال والعيش مدة طويلة دون أن تحتاج لتموين جديد .

٩٠ ــ تضم وحدات كوماندوس المطاردة رجالا شجعان مدربين . ويلحق بكل وحدة من هذه الوحدات عناصر من المهندسين والخيالة

والاشارة والمترجمين . كما قد يلحق بها عدد من الأهالى الموثوقين الذين أثبتوا ولاءهم المطلق .

وعلى هذه الوحدات أن تحافظ خارج انعمليات على قدرتها القتالية العالية ، وذلك بالمثابرة على اتباع تدريب خاص ملائم .

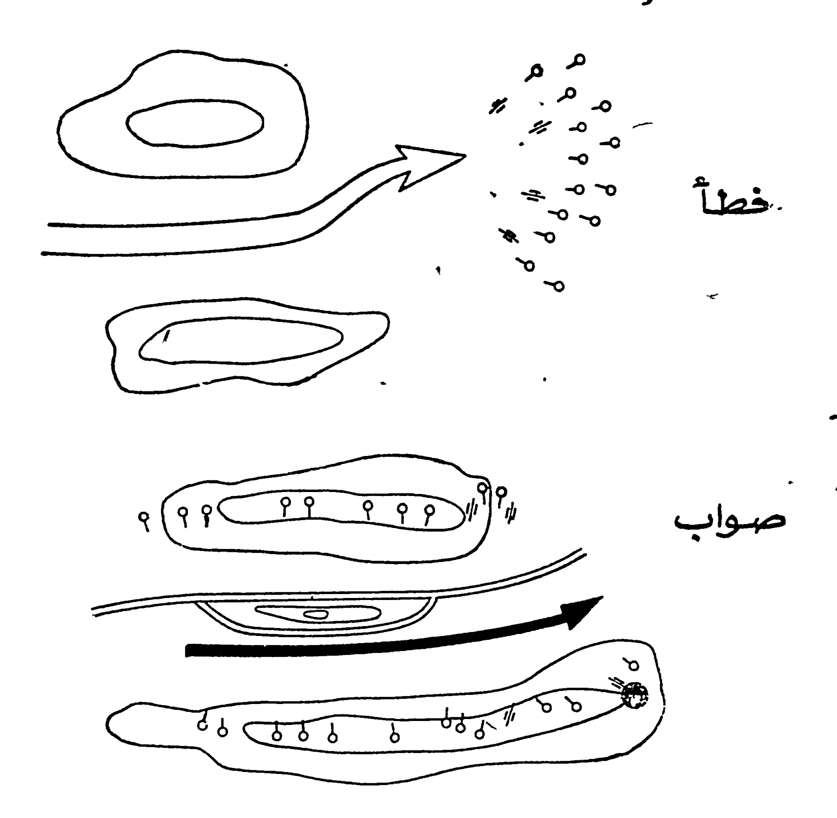
٩١ ــ تتطلب قيادة وحدات كوماندوس المطاردة كثيرا من المهارة . ان معرفة أساليب العصابات القتالية بشكل جيد ، ودراسة الوسط الذى ستعمل فيه الوحدات المضادة للأنصار شرطان رئيسيان لاستخدام خدع القتال الملائمة . وعلى « صيادى العصابات » أن يعرفوا الأرض التى يقاتلون عليها معرفة تامة ... ولكن بقاء وحدة من وحدات كوماندوس المطاردة مدة طويلة فى مكان معين يؤدى الى أن تكشف استخبارات العصابات وجودها ، فتقوم بعد ذلك بمراقبة حركاتها وسكناتها بكل عناية ، فتكشف أو تخمن نواياها . ولخدع مصلحة الاستخبارات المعادية ، تتحرك وحدات كوماندوس المطاردة باتجاه معاكس للاتجاه الذى ستسلكه للذهاب الى مسرح عملها ، فلا تصل الى هذا المسرح الا بعد القيام بعمليات التفاف طويلة .. ان من الضرورى تمويه الحركة واخفاء مكان الاقامة بشكل ذكى ، فاذا اكتشف الأنصار هذا المكان وجب تغييره فورا .

يجب أن يتمتع قادة وأفراد مثل هذه الوحدات بغريزة الصياد الماهر ، وهذا شرط ضرورى من شروط النجاح ... وتعتمد وحدات كوماندوس المطاردة على نفسها للحصول على المعلومات المتعلقة بالعصابات، خاصة عندما تعمل منعزلة بعيدة عن الوحدات الأخرى .

٩٢ ــ تقاتل وحدات كوماندوس المطاردة بالشكل التالى : تسير فى أغلب الأحيان ليلا وتختفى نهارا ، وتؤمن حيطتها أثناء المسير والاقامة . وما أن تصل الى منطقة القتال حتى تبدأ بالاستطلاع ، ويمكنها اكتشاف نشاط العصابات من الآثار التى تتركها هذه العصابات وراءها . وتتحاشى هذه الوحدات الاختلاط مع الأهالى المدنيين خوفا من أن تقع ضحية الخيانة .

تستخدم وحدات كوماندوس المطاردة مخافر المراقبة ، وتراقب هذه المخافر طرق التقرب والمسالك التى تستخدمها العصابات فى النقاط الملائمة للهجوم (انظر المخطط فى الصفحة ٢٤٥) . ان التمويه الحاذق ، والاتصالات الجيدة ، واحتمال المكاره والصعوبات ، شروط أساسية للنجاح .

إبادة عصابة سائرة بواسطة كوماندوس المطاردة



عندما ينتهى تدمير العدو تحفظ وثائقه وخرائطه فى أماكن أمينة ، وتدمر أسلحته وذخائره التى نستولى عليها ، وتجمع الغنائم فى مكان مضروب بالنار ، اذ أثبتت التجارب ان العصابات لا تترك مواضعها فى مكان الا لتظهر فى مكان آخر .

تتحاشى وحدات كوماندوس المطاردة الاشتباك مع مفارز تتفوق عليها تفوقا ساحقا .

٩٣ ــ تحاول وحدات كوماندوس المطاردة مفاجأة العدو باستمرار ، لذا فهى لا تنقل المعلومات التى تحصل عليها ، حتى لا يتسرب قسم منها خلال عملية النقل . فاذا ما حصلت على معلومات هامة جدا تتطب اشتباك قوات أكبر من قوتها ، خرقت هذه القاعدة ، ونقلت المعلومات بسرعة الى السلطة الأعلى .

٣ ــ الحماية ضد العصابات :

٩٤ ــ تكمل المعارك الهجومية ضد العصابات بحماية منهجية فعالة، ومن الضرورى تأمين الحماية والحيطة للنقاط التالية :

— أماكن اقامة القطعات .

— السكك الحديدية ومنشآتها .

— الطرق البرية ، وطرق المواصلات المائية ، والقوافل السائرة عليهـا .

— المناطق العسكرية .

— المنشآت الاقتصادية .

— المنشآت الادارية ومنشآت الأشـارة (المواصلات السلكية واللاسلكية) .

— المناطق الزراعية والغابات .

٩٥ ـ والمبدأ المطبق هنا هو ما يلى : يجب حراسة كل ماله تأثير على سير الحرب وحمايته من نشاط الأنصار ...

٤ ـ حالات خاصة

. . . .
. . . .

صدر هذا الكتاب بالانجليزية تحت اسم :

Communist Guerrilla warfare

كما صدر باللغة الفرنسية تحت اسم :

Guerilla et contre guerilla

الطبعة الثانية ١٩٧٩

حرب العصابات السوفييتية

يعالج هذا الكتاب حرب العصابات السوفييتية وراء خطوط الألمان في الحرب العالمية الثانية. ويستشهد المؤلفان في عرضهما لمهمات الأنصار بالأوامر والوثائق التي صدرت عن القيادة العامة لقوات الأنصار في روسيا. ويعددان المهام التي قاموا بها لصالح الجيش الأحمر، ويحللانها.. وفي الشق الثاني من الكتاب عرض مشوق وتاريخي لكل الأوامر والمهمات الصادرة عن قيادات القوات الألمانية المضادة للعصابات الروسية.

ولم يقتصر الكاتبان في بحثهما على الأنصار السوفييت فقط، بل تعدياه احيانا الى المقاومة السرية الفرنسية، والى حركات عصابات اخرى جرت في الحرب العالمية الثانية، الا ان تعميقهما للموضوع كان خاصة بالأنصار السوفييت، وكيف جابه الألمان عملهم. فرغم الجهود المبذولة من قبل الألمان، ورغم ضخامة آلتهم الحربية، وذكاء قياداتهم العسكرية ونشاطها، فان عملية مقاومتهم للأنصار لم تؤد الى اية نتيجة، ولم تصل الا الى القمع والارهاب والاعدام. ولقد خصص الألمان ما لا يقل عن (١٥) فرقة لتدعيم الأمن على خطوط مواصلاتهم، لأن الأنصار كانوا يضايقونهم عليها.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون – ساقية الجنزير
ت : ٣١٢١٥٦ – برقياً « موكيالي » بيروت
ص . ب . ١١/٥٤٦٠ بيروت

الثمن ١٠ ل.ل.
أو ما يعادلها